

المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد

فَاتَّقُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي تَدْعُونَ بِهِ السُّلْطَانَ



إشراف الأستاذ الدكتور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م



الذوق

إلى أمي الغالية متعباً الله بالصحة والعافية
أهدي ثمرة جهدي .

المَعْرِفَةُ

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أهدى بهداه إلى يوم الدين ، وسبحانه الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم .

أما بعد : فإن الدولة العثمانية ، كان لها دورها العظيم في حمل راية الدين الحنيف ، إلى جنوب شرق أوروبا ، ورعايتها للمسلمين في تلك المناطق ، وتوفير جميع السبل التي سهلت نشر الإسلام في أوروبا ، فالدولة العثمانية انبثقت من امارة صغيرة في شرق الأناضول ، ولم تلبث أن اتسعت في قارات ثلاث وأصبحت دولة لها وزنها ، وعملت على نشر الإسلام ، بمقامات به من مجهودات عظيمة في ذلك المجال ، من بناء المساجد ، وكفالتها للحرية الدينية ، مما أدى إلى اتساع نطاق الاسلام .

ولذلك فان اختيار موضوع (أثر الدولة العثمانية في نشر الاسلام في أوروبا) لهذه الدراسة التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستير له أهمية عظيمة لاسيما وأن المكتبة العربية تعاني من قلة ماكتب عن الدولة العثمانية في هذا المجال ، إضافة إلى أن مثل هذه الدراسة ستلقى الضوء على كثير من المواقف والحقائق والمفتريات ، ضد الدولة العثمانية ، وتحليل تلك المواقف على أساس من الموضوعية والبعد عن الأهواء الشخصية .

وهذه الدراسة - التي أرجو الله أن أكون قد وفقت في اختيارها - تشتمل على أربعة فصول على النحو التالي :-

الفصل التمهيدي : بعنوان " النشأة والتكوين " ويتضمن ثلاثة مباحث يتضمن الأول منها أصل الاتراك العثمانيين ، وأقوال المؤرخين في ذلك كما جاء في الكثير من المصادر والمراجع ، العربية وغير العربية

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فيتعلق بإسلام العثمانيين ، وإسلام زعيمهم ، ثم انتشار الإسلام بعد ذلك بين القبائل التركية ، ووصولهم إلى الأناضول - من أواسط قارة آسيا - تحت زعامة أرطغرل واستقرارهم بها ، ومن ثم عملهم على القيام بالفتوحات في شبه جزيرة الأناضول والجانب الشرقى من أوروبا ، وتمكنهم من فتح عدد من المناطق الخاضعة للدولة البيزنطية ، والمبحث الثالث فهو بعنوان " العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم " منذ تأسيس إمارتهم على يد السلطان العثماني ، المؤسس الأول للدولة العثمانية ، إلى اتساع الدولة على أيدي سلاطين آل عثمان - وماقاموا به من فتوحات في الأناضول وأوروبا حتي تطورت الإمارة المغيرة إلى دولة واسعة ضمت ممالك متعددة في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

أما الفصل الذي يلي الفصل التمهيدي فهو الفصل الأول وهو بعنوان " الوجود الإسلامى العثماني في أوروبا " ويتضمن أربعة مباحث الأول منها حول دخول الإسلام إلى شرق أوروبا بطرق مختلفة ، مثل طريق الرحلات التجارية إلى تلك البقاع ، والفتوحات العثمانية ، أما المبحث الثاني فهو عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوروبية " مثل تفكك الوحدة السياسية في البلقان ، والحروب بين صغار الأمراء على الحكم وانحيار البنيان الإقتصادي والاجتماعي في تلك البلاد ، والمنافسة الدينية التي كانت على أشدها بين الكنيستين الشرقية والغربية ، والمبحث الثالث في هذا الفصل فهو يتعلق " بالنظم العثمانية في الولايات الأوروبية " وماقام به السلاطين العثمانيون من إصلاحات ونظم ، ونشر الإسلام ، وحماية المسلمين ، وتعبيد الطرق ، وإقرار الأوضاع هناك ، أما المبحث الرابع فهو عن " أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام في شرق أوروبا " .

والفصل الثاني في هذه الدراسة عنوانه " موقف الدول الأوروبية من

الدولة العثمانية " وهو ينقسم أيضاً الى أربعة مباحث : الأول منها يتعلق " بموقف روسيا من الدولة العثمانية " ، خاصة فيما يتعلق بأطماعها في المضائق ومحاولاتها الحصول على امتيازات خاصة بها في المناطق الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، وإشارة القلاقـل والفتن ، ضد الدولة العثمانية ، ويشمل المبحث الثاني " موقف دولة النمسا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف العدائي - على الرغم من عدم وجود حدود مباشرة بينها وبين الدولة العثمانية - ولكنها على الرغم من ذلك خوفاً وحرصاً على مصالحها كانت تثير دول البلقان وتمدها بالأسلحة والأموال للثورة ضد العثمانيين ، أما " موقف فرنسا من الدولة العثمانية " فقد كان موضوع المبحث الثالث ، وفيه تناولت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية ، سلباً وإيجاباً ، لأن فرنسا - مثلها مثل الدول الأوروبية الأخرى - تنظر إلى أملاك الدولة العثمانية - وبخاصة تلك القريبة منها في الشمال الأفريقي - نظرة أطماع ومصالح ، والمبحث الرابع يتضمن " موقف بريطانيا من الدولة العثمانية " ، ذلك الموقف الذي لا يختلف عن مواقف الدول الأوروبية الأخرى ، وذلك لأنها لا تشارك الدولة العثمانية في الحدود ، لهذا كانت أطماعها لا تخرج عن تحقيق مناطق نفوذ في الشرق الأوسط ، إضافة إلى منافسة بعض الدول الأوروبية الأخرى في تحقيق ما يخدم مصالحها التجارية في المنطقة .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : " ردود الفعل الأوروبية على الوجود العثماني في أوروبا " فقد عالجت فيه : الرأي الأوروبي العام وآراء المؤرخين في الدولة العثمانية ، حيث انقسموا إلى فئتين : الفئة الأولى هي فئة معتدلة - بعض الشيء - فسي موقفها من الدولة العثمانية ولكن وراء ذلك الاعتدال بعض

الأمر التي لاتخلو من نوايا الحقد والخبث ،والفئة الثانية فهي التي أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية ، فأشاعت بأن الدولة العثمانية وصلت إلى ماوصلت إليه بالبطش والدمار والإرهاب ،وتسليط السيوف على الرقاب ،وأرجعت انتصارات الدولة العثمانية إلى الضعف الذي انتاب ممالك أوروبا في تلك الفترة ،وعالجت في هذا الفصل أيضاً بعضاً من حملات التشهير ضد الدولة العثمانية المدفوعة بالحقد والبغضاء على الدولة العثمانية ،لأنها وصلت إلى أوروبا باسم الإسلام ،وحملت رؤية الجهاد حتى دقت أبواب فيينا في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م . وكان من بعض الحملات التي ناقشتها ،إطلاق بعض المسميات للتشهير بالدولة العثمانية كسمى " الرجل المريض " الذي لايرجى شفاؤه ، والزعم بأن الدولة العثمانية عملت على " عزلة العالم العربي " والقول بأن " الدولة العثمانية حرمت البلاد العربية من علمائها البارزين "،وعالجت أيضاً في هذا الفصل التفاوض العثماني في أوروبا وكيف بدأ التراجع ؟ نتيجة لأسباب داخلية وخارجية أدت في النهاية إلى ضياع ممتلكات الدولة واحدة إثر الأخرى ،حتى لم يبق سوى ما آلت إليه الدولة من دولة أناضولية ،بعد أن كانت تمتد فــــــي قارات ثلاث .

وأخيراً ذيلت الفصول السالفة الذكر بخاتمة موجزة تضمنت ما أثبتته هذه الدراسة من نتائج ،وكذلك بعدد من الملاحق الهامة .

أما مراجع الدراسة فقد اعتمدت على مجموعة من المخطوطات والوثائق والمصادر والمراجع العربية ،والتركية والإنجليزية التي لها صلة بالموضوع ،وقد حصلت على البعض منها من مكتبة الحرم المكي ومكتبة جامعة أم القرى ،ودارة الملك عبد العزيز ،كما زرت

مكتبة الطوب قابى سراى باسطنبول ، ومكتبة جامعة اسطنبول والمكتبة
السليمانية ، والمكتبات الخاصة بتركيا ، كما قمت بزيارة معهــــد
المخطوطات بالقاهرة ، ودار الوثائق القومية ، والهيئة العامة
للكتاب ، وساقنى البحث إلى الوصول إلى لندن والإطلاع على المصادر
في الوزارة الهندية (India Office) حيث حصلت منه على
بعض المراجع الهامة التى لها علاقة بموضوع الدراسة .

ولأنسى فى هذا المقام حصولى على الكثير من المصادر التى زودنى
بها المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / يوسف الثقفى فله منى
الشكر على ما بذله من مجهود يشكر فى هذا المجال ، وله منى الشكر
والعرفان على توجيهه وإرشاده خلال سير البحث . وأشكر المسؤولين فى
كلية الشريعة وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الاسلامية .

كما أشكر جميع المؤسسات العلمية التى زودتني بالمادة العلمية
وأخص بالشكر الدكتور / عابد ياشاة بمركز البحث العلمى بجامعة
أم القرى على ما قدمه لي من المساعدة النافعة ، كما أشكر الدكتور
نبيل رضوان على تعاونه معي وإسهامه ببعض المراجع ، كما أشكر أخي عبد
الصمد بحري ، على ما بذله من جهد في جلب الكثير من المصادر الإنجليزية
ومساعدتى في إنجاز البحث ، كذلك أشكر أخي عادل وأختى نجاح لمرافقتهم
لي في رحلاتى الى تركيا ومصر ولندن وباقي أفراد أسرتي على جهودهم
الطيبة والموفقة . وأخيراً أشكر عضوي المناقشة لإسهامهما معي فى
قراءة هذه الرسالة العلمية وإبداء ملاحظاتهما القيمة
وأسأل الله العلى القدير أن يديم عزة الاسلام ويوفقنا جميعاً الى ما فيه
خدمة الدين والوطن .

" والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل "

فائقة محمد حمزة بحري

الفصل العاشر

الشيء والتكوين

- ١- أصل الأتراك العثمانيين.
- ٢- إسلام العثمانيين.
- ٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم.

قال الحسن البصري : رضى الله عنه : (أصل الترك من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، يافث هو أبو الترك ، ويأجوج ومأجوج بنوعم الترك ، وسبب تسمية الترك تركاً : أن الإسكندر ذا القرنين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد ولم يعلموا ببناؤه فتركوا خارجاً عنه ، فسميت هذه الطائفة تركاً لكونهم تركوا خارج السد) (١) ، ولكن مؤرخى الدولة العثمانية من الاتراك - وهم بلاشك - أعلم بأصل سلاطينهم من غيرهم من المؤرخين مثل جودت باشا في مؤلفه (تاريخ جودت) (٢) ، وطه زاده عمر فاروق في تاريخ (أبو الفاروق) (٣) ، وغير أولئك من مؤرخى الترك ، كلهم أجمعوا إلى أن أصل شجرة آل عثمان - التى ابتدأت سلطنتهم من عهد الغيازى عثمان خان - يتصل فرعها بيافث بن نوح عليه السلام ، (لان عثمان هو ابن الأمير أرطغرل بن سليمان شاه ، بن قيالب ، بن قزل بوغيا ، بن باتيمور ، ابن قايلعة ، بن طغرا ، بن قرانيو ، بن ماينفر ، بن يولعاي بايسنقور ، بن توفتحور ، بن ياسان ، بن حميده ، بن افلق ، ابن قارى جلتيمور ، بن طورج ، بن قزل بوغيا ، بن باشبوى ، بن جورمز ، بن بايو ، بن طغرا ، بن سونج ، بن جارينا ، بن تورلست ، بن فورخان ، بن بالحق ، بن خاس ، بن قراعلان ، بن سليمان شاه ، بن فرحلق ، بن بورلوعان ، بن تيمور - بن تورمس بن كولوالب ، بن ادعون بن مورخان بن قابي خان / ابن ابولجاي ، بن ماجية بن أبى الحارث ، بن يافث بن نوح . (٤)

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، القسم الأول ، ص ٢٨ .

(٢) جودت باشا تاريخ جودت (شمس مطبعة س مخطط مصور رقم ١٣٢٨ / ١٣٢٦ ،

ص ٣٢ .

(٣) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الاول ، ص ٧ - ١٠ .

(٤) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

هذا وقد ورد الحديث عن أصل شجرة الأتراك العثمانيين في الكثير من المصادر كـالقطبي في (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام) الذي يري بأن أصل الأتراك يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام حيث يذكر (أن عثمان يتصل نسبه بيافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون للسلطان سليم خان بن بايزيد خان يرحمهم الله ..)^(١) وكذلك ورد مثل هذا القول في كتاب (التحفة السنية)^(٢)

هذا وقد ورد ذكر أصل آل عثمان في كثير من المراجع وأن أصلهم من قبيلة أو عشيرة تركية هي قابي خان ، وروى ذلك العديـد من المؤرخين مثل ساطع الحمري^(٣) ، والسعيد سليمان^(٤) ، ومحمود زيادة^(٥) وكارل بروكلمان^(٦) ، كما أثبت هذا النسب عدد من المصادر الأوروبية .^(٧)

واستناداً لما سبق ذكره في المصادر والمراجع مؤيداً بماورد في المصادر التركية ، فإن أصل الأتراك العثمانيين يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام ومن المصادر التركية التي أثبتت هذا الأصل كتاب محمد فؤاد كوبرلي^(٨) ، وابن فضلان الذي يقول : (وأفضينا إلى قبيلة

(١) قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، ص : ١١٤ - ١١٥ .

(٢) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ، ج٢ ،

ص ٤٢ ، كامل باشا ، دولت عليه المجلد الأول ص ٢ .

(٣) ساطع الحمري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٣-١٦ .

(٤) أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة

ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٥) محمود محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الاسلامي ، ص ٥١٣-٥١٤ .

(٦) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ١٣ .

(٧) Robinson, Stewart, The Traditional Near East, PP, 97-98.

(٨) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١١٩ .

من الاتراك يعرفون بالغزيرة (١) مما يجعل ما أوردته المصادر المعاصرة حول نسب آل عثمان شيئاً مقبولاً متفقاً مع الحقيقة .

وهذه القبيلة التركية هاجرت من موطنها الأصلي في أواسط اسيا إلى الأناضول نتيجة لفظ المغول (٢) واستوطنوا بها تحت سلطان السلاجقة ، وقد سنحت الفرصة أمام زعيمهم عثمان بن أرطغرل بعد وفاة علاء الدين السلجوقي حيث أخذ يضم إليه ما قرب من المناطق ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت الدولة . (٣)

-
- (١) أحمد بن فضلان (رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) ، ص ٩١ .
- (٢) مجلة الاوقاف ، نشریات مديرية الاوقاف العامة العدد الثاني أنقرة ١٩٤٢ م ، ص ٥٩ - ٦١ .
- (٣) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية ، ص ١١٨ .

أما عن إسلام الأتراك العثمانيين فهو ما سنتطرق إليه في الصفحات التالية فقد تهيأ للمسلمين في منتصف القرن الثاني الهجري أن يبسطوا نفوذهم على البلاد ماوراء النهر ، وبذلك اعتنق الكثيرون من أهلها الإسلام ، وقد تعاون من أسلم من أهل تلك البلاد مع المسلمين لنشر الإسلام ورد اعتداً من لم يسلم من الترك أنفسهم .

كان قائد الجيوش الإسلامية في تلك البلاد ، القائد المسلم قتيبة ابن مسلم الباهلي ، ووجد من الترك الكثير من العناد والصمود ، حيث عرفوا بالشدة والقوة ، ولكن المسلمين بفضل الله ثم بالايمان بمبدأ الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الإسلام ، استطاعوا فتح عدد من المدن مثل سمرقند ، وبخارى ، المغد ، وفرغانة ، وعندما شرح الله قلوب الترك للإسلام ، تركوا ماكانوا فيه من خزعبلات وأباطيل ، وأضحى للحياة مفاهيم جديدة . حيث أصبحوا هم أنفسهم من المدافعين عن الإسلام ، بعد أن كانوا بعيدين عنه ، ومنذ القرن الثالث الهجري خرجت أمور المسلمين من يد العرب لتكون طوع يد الترك ، الذين حسن إسلامهم وكانوا على المذهب السني وتركوا المذاهب المبتدعة . (١)

لم يمض على ظهور الإسلام نحو قرن ، حتى خفقت آيات الإسلام على مقربة من حدود الصين ، مما كان له أثر عظيم في إنتشار الإسلام في مناطق واسعة . (٢)

(١) حسن مجيب المصري ، صلات العرب والفرس والترك دراسة تاريخية

ص ٢٢٨ - ٢٣٠ .

(٢) أحمد راسم ، عثمانلي تاريخي ، ص ٣ ، عبد الرحمن زكي ،

المسلمون في العالم اليوم ، ص ١٢١ .



أن العثمانيين أراد الله لهم أن يحملوا لواء الإسلام
ويتجهوا في فتوحاتهم نحو القسطنطينية (عاصمة الدولة البيزنطية)
ويتمكنوا من فتحها ، ورفع راية الإسلام خفاقة في أجوائها .

وعلى العموم فالأتراك نزحوا من موطنهم الأصلي في أواسط
قارة آسيا ، ثم نزلوا في بلاد فارس حيث اعتنقوا الإسلام ، وهناك
اندمجوا مع السلاجقة الذين ينتمون اليهم بالنسب ، والمراجع الأوروبية^(١)
توضح ذلك ، فبينما كان السلاجقة مسلمين منذ قرون كان العثمانيون
لا يزالون على دينهم القديم ، وأسطورة زواج زعيمهم عثمان ابن رئيسهم
أرطغرل يجعلنا نعلم أن الأتراك العثمانيين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد
وصولهم إلى آسيا الصغرى حيث وجدوا بيئة إسلامية في ظل الأتراك^(٢)
السلاجقة وسلطانهم علاء الدين السلجوقي .

(١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٢٩ ، أحمد راسم ،
عثمانلي تاريخي ، ص ٣ .
(٢) Robinson, Op, Cit., PP. 97 - 98 .

أما عن توسع العثمانيون ، فقد استقروا أولاً في آسيا
المغرى في ظل السلطان السلجوقي علاء الدين ، آخر سلاطين السلاجقة ،
تحت زعامة أرطغرل ، وبعد وفاة (أرطغرل) تولى الحكم ابنه عثمان ،
(١)
مؤسس الدولة العثمانية وإليه تنسب .

ولد عثمان بن أرطغرل سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) وتولى زمام
(٢)
الحكم سنة (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م) وكانت وفاته سنة (٧٢٥ هـ / ١٣٢٦ م) ،
(٣)
أو في عام (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) وفي تاريخ جودت المجلد الأول إشارة
(٤)
إلى أنه كان على فراش الموت عند فتح بورصة سنة (٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) ،
وهذا هو الأرجح .

وقد انفتح المجال أمام عثمان بعد مقتل علاء الدين
(٥)
السلجوقي فاستأثر بجميع الأراضي المقطعة له ، واتخذ من مدينة
(*) قاعدة لملكه ، وعمل على تحصينها وتجميلها ، ومن ثم
واصل توسيع رقعة بلاده ، وبعث إلى جميع الأمراء من الروم يخبرهم بين
الإسلام أو الجزية أو الحرب كعادة المسلمين دائماً في حروبهم ، فأنضم
إليه البعض وأسلم من أسلم ، واستعان عليه البعض الآخر بالتتار ، ولكن

-
- (١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
 - (٢) قطب الدين النهر والي ، الإعلام ، ص ١١٤ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .
 - (٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ١٢٢ .
 - (٤) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .
 - (٥) إبراهيم أفندي الطيب ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٨١-٨٢ ؛ أحمد
مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .
 - (*) يكي شهر : تلفظ الكاف نون فهي يني شهر معناها البلد الحديـث
ويكتبها الأتراك Yenisehir وتقع إلى الشمال الشرقي من بورصة
(محمد فريد بك ص ١١٨ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣ - ٤) .

(١)
عثمان ندب اليهم ابنه ، أورخان فشبت شملهم ، وتمكن من الانتصار على الأعداء ، وأصبحت هذه المدينة الحصينة من أملاك الدولة العثمانية وقد دام حصار السلطان أورخان لمدينة بورصة ما يقرب من عشرين سنوات فيكون فتحها على الأرجح في عام (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) وذلك لأنها فتحت ووالده على فراش الموت حيث توفي عثمان سنة (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) هذا وقد اتخذ أورخان من بورصة بعد ذلك مقراً وعاصمة له ، وقد تميزت مدينة بورصة بحصانتها وقوتها ، مما جعلها تستعصي على الفتح ، فصمدت في وجه الحصار ما يقرب من عشرين سنوات حتى سقطت أخيراً في يد أورخان . (أنظر الخريطة ص ١٤)

إن الدولة العثمانية منذ قيامها اتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً لها ، وأقامت شرع الله في أحكامها ، وكان سلاطينها الأواثـل ابتداءً من عثمان يولون الشريعة الإسلامية إهتماماً كبيراً ، ووضعوا نصب أعينهم القيام بمهمة الفتوح باسم الإسلام .

واستمرت مسيرة الفتح والعمران في عهد خليفة أورخان ، الذي آل إليه الحكم في عام (١٣٢٦هـ/١٣٢٦م) على أثر وفاة والده ، وقد كان قبل ذلك على رأس الجيوش الفاتحة في عهد والده ، حيث فتح بورصة وأزينق ، وفي عهده وبعد أن تولى الحكم بعث جيشاً بقيادة ابنه سليمان إلى بلاد الروم

Robinson, Op, Cit., P, 98.

- (١) نشأنجي محمد باشا ، سير أنبيائي عظام وأحوال خلفاء كرام ، ص ١٠١ .
- (٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .
- (٣) زبيدة عطا ، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم العثمانيون ، ص ١٥٨ .
- (٤) عرف السلطان عثمان بتقريب العلماء والفقهاء إلى مجلسه ، ومن جلسائه ، الشيخ آده بالي ، وهو شيخ جليل ، تفقه على مشايخ الشام ، وقرأ التفسير والحديث ، وكان السلطان يرجع إليه في شؤن الدولة الدينية ، (طاشكيري زاده ، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ دار الكتب المصرية ، ص ٦) .
- (٥) نفس المخطوط السابق ص ٦ ؛ إبراهيم أفندي ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٦٧ - ٦٨ .

(14)



(١) ففتح كلا من قلعة ملعزة ، وأبسالة ويولاير، ووزره ، كما أن السلطان أورخان هو أول من سك العملة من الفضة ، فكتب على أحد وجوهها محمد رسول الله (٢) وعلى الوجه الآخر اسمه في بورصة سنة (٥٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) ، وهو أول من رتب طبقات الجند في جيشه ، وجعل الجيش دائماً ، بعد أن كان يجمع وقت الحرب (٣) ثم يصرف ، وقد سمي هذا الجيش (يني تشاري) أي الجيش الجديد ثم عرف فيما بعد بالإنكشارية (٤) وهي أول فرقة من المشاة يشكل منها جيش شرقي ، وهم من رعايا الدولة المسيحيين من الأطفال الذين يؤخذون وهم صفار السن ويوضعون في ثكنات خاصة ، ويعلمون طبقاً لادق قانون إسلامي ويدربون تدريباً عسكرياً ، ويحاربون بالقوس والسيف ، ويتمتعون ببنيّة متينة ، ولم يعرف عن أحد (٥) منهم أنه اعتزل أو ارتد إلى المسيحية .

يذكر بعض المؤرخين أن السلطان مراد هو أول من اتخذ المماليك وسماهم ينكجارية (العسكر الجديد) (٦) أو يكي جري (٧) ولكن كل المصادر تجمع على أن أورخان هو أول من اتخذ الإنكشارية ، وقد يكون تطور نظام الإنكشارية وتقدمه في عهد السلطان مراد .

ونلاحظ أن الجيش الإنكشاري ، كان من أكبر عوامل النصر في عهد قوة الدولة ، وتروى ماري باتريك في كتابها (سلاطين آل عثمان) أن هذا الجيش هو جيش الأرقاء لخدمة السلاطين (٨) فتصفهم بهذه الصفة لأنهم

(١) عبد الملك بن حسين العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي في أنبياء الأوائل والتوالي ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) Halil Inalick, The Ottoman Impire, P, 88. (٣) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٤) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥) أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٨ .

(٦) قطب الدين النهر والي ، الإعلام ص ١١٧ ، أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٧) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) ماري ملز باتريك ، سلاطين آل عثمان الخمسة ، ص ٢٣ .

ليسوا من أبناء الشعب التركي، وإنما هم أبناء أسر مسيحية، ينخرطون في خدمة الدولة، وهذا ليس مبتدعاً، فقد اتخذت الدول السابقة للدولة العثمانية الجنود من غير شعوبها، كالفرس والترك وغيرهم، كذلك فإن الدولة عندما تشرف على الضعف أو الإنهيار فإنها تتخذ جنوداً من غير جلدتها حفاظاً على استمرارها، وهذا ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال: "إن الدولة إذا طرقها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها، ممن تربوا على الخشونة، فيكونون أصبر على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش" (١).

من ذلك نستدل على أن معظم الدول والممالك، قد اتخذت الجنود من غير شعبها للخدمة في الجيش والحرب وليس ذلك بدعة، ولم يقتصر ذلك على الدولة العثمانية بل فعلت ذلك الدول الأوروبية، فقد اتخذت المرتزقة والمأجورين للانخراط في سلك الجندية .

واستكمالاً لأعمال السلطان أورخان الحربية، نلاحظ أن ابنه سليمان باشا تمكن من الإستيلاء على قلعة تراقيا، وأعقب ذلك زلزال في هذه المنطقة أدى إلى تلف جزء من أسوار مدينة غاليبولي، فانتهر سليمان تلك الفرصة ودخل غاليبولي سنة (٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م) دون مقاومة، واستدعى على الفور جماعة من العثمانيين من شبه جزيرة آسيا الصغرى

(١) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٦٩ - ١٧٠ .
(*) غاليبولي مدينة واقعة على الشاطئ الأوربي، وتابعة لولاية أدرنة وتبعد عن القسطنطينية ب ٢١٢ كم جنوباً وهي أول مدينة استولى عليها المسلمون في أوربا، وقد شيد فيها السلطان بايزيد برجاً عظيماً، (إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٤٦٤) .

(١) للإستقرار بها وتبع ذلك احتلال كل من ملاقرا ، بولار ، والسهـل الأوربي
(٢) المطل على بحر مرمرة .

ومجمل القول فان مدينة غاليبولي على الشاطئ الأوربي هي أول مدينة على البر الأوربي تطأها الجيوش العثمانية في أوربا ، عن طريق هذه المدينة فتح المجال أمام المسلمين لنشر آيات الإسلام خفاقة في شرق أوربا ، وبسط قواعد الدين الإسلامي أمام شعوب تلك البلاد لأن فتح غاليبولي كان قبيل سقوط القسطنطينية ، لذلك أصبحت قاعدة الإنطلاق الإسلامية الأولى لنشر الإسلام في تلك الأصقاع ، ويقول في ذلك محمد فؤاد كوبرلي : وقد كانت إقامتهم في غاليبولي عاملاً من عوامل تقوية بنيان الدولة ، وذلك أن كثيراً من العناصر البدوية وفقراء الدولة جاءوا ليتوطنوا الأراضي الخصبة الخالية . (٣)

ومما قام به أورخان أيضا ، بناء مدرسة في أزنسيق وعين للتدريس بها الشيخ داود القرماني ، الذي تفقه على يد علماء مصر وأخذ عنهم التفسير والحديث والأصول ، وتبرز أهمية هذا السلطان (أورخان) إلى أنه شهد أول استقرار إسلامي للعثمانيين في أوربا من جهة البلقان ، وأول من وضع أساس نظام عسكري جديد أربع أوربا لمدة أربعة قرون وثبت كيان إمارة قوية امتدت من أنقرة إلى تراقيا ، ويعتد هذه (٥)

-
- (١) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
(٢) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، ص ٢٨ - ٢٩ .
(٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ ؛ طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الأول ، ص ٨٢ - ٨٤ .
(٤) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٨ .
(٥) عبد العزيز نوار ، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الفرس ومسلموا الهند ، ص ٢٤ .

الانتصارات توفي أورخان سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة بعد أن أنجز ما أنجز من الأعمال وآل الحكم بعده إلى ابنه مراد سنة (٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م) في بورصة وكان له من العمر ٣٤ عاماً، واستمرت مدة حكمه ٣١ عاماً حيث كانت وفاته (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) وفي عهد السلطان مراد، كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف نظراً لنمو إمارته العثمانية، على هذا النحو السريع ومنها إمارة قرمان التركية، ولكن شجاعة السلطان مكنته من أن يوجه إلى خصومه ضربات موجعه، أقعدتهم عن التحرك ضده، وفي القسطنطينية كان الإمبراطور البيزنطي أمانويل باليولوج يسعى للإنقضاء عليه، ولكن السلطان لم يمهلهم واستولى على أدرنة سنة (٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)، وجعل منها عاصمة له، وكان لذلك مدى سيئاً في أنحاء العواصم الأوربية، خاصة لدى البابا أريانوس الخامس في روما الذي دعى إلى قيام حروب صليبية ضد العثمانيين، وقد تمكن السلطان من الاستيلاء على سالونيك وكان ذلك سبباً في تحالف صليبي ضد القوى العثمانية، وبفضل الله تمكن السلطان مراد الأول في معركة قوصوه سنة (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) من صد هذا التحالف واستولى قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي على معظم ممتلكات بيزنطية في أوروبا (أنظر الملحق رقم ١)

(١) العصامي المكي، سبط النجوم العوالي، ج ٤، ص

٦٠ - ٦١ .

(٢) نشأجي باشا، سير أنبياي عظام، ص ٧٠٥ - ٧٠٧ .
 (*) سالونيك: أو سلاونيك هي مقر ولاية تعرف باسمها، تبعد عن القسطنطينية ٥٢٠ كم من الشغور المهمة تجارياً، واشتهرت بحسن المنظر، وجمال جوامعها، وبها آثار قديمة، وذات تجارة واسعة، يخرج منها خط حديدي يتصل بالأستانة وقد وسعها الإسكندر المقدوني سنة (٣١٥ ق م) وسماها سالونكي على اسم زوجته، وفتحها السلطان مراد الثاني ٨٣٥ هـ وهي أهم شغل تجاري بعد القسطنطينية . (إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار ج ١، ص: ٤٦٦) .

(٢) عبدالعزيز نوار، الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الغرب ومسلموا

الهند، ص ٢٤ .

- باستثناء القسطنطينية - حيث تم فتح بلغاريا وجزء من صربيا والبوسنة،
 ووصل إلى هنغاريا وتمكن العثمانيون في نيقوبولس في بلغاريا سنة
 (٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م) من هزيمة جيش أوربي ضم ملك البلغار سيسمان^(١)
 ولازار ملك الصرب ، هذا وقد سقط السلطان شهيداً بعد معركة قوصوة سنة
 (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) ، بعد أن عين الولاة والقضاة حيث عين على قضاء
 بورصة القاضي المولى محمود وكان عالماً ، صالحاً ، ورعاً ، أحبه الناس^(٢)
 لزمه وعلمه ، وقد سار على هذه العادة ، من تعيين الولاة والقضاة^(٣)
 كل سلاطين آل عثمان لإقامة الشريعة الإسلامية ومساندة السلاطين .^(٤)

توالى بعد ذلك الفتوحات الإسلامية العثمانية ، وسيطرتها على
 مناطق البلقان ، إلى أن كان الفتح العظيم الذي تحقق على يد
 السلطان محمد الفاتح بن مراد بن بايزيد بن عثمان محي الدين ، وصاحب
 القسطنطينية وفاتها والذي أنشد الشيخ شهاب الدين الكوراني فيه^(٥)
 قصيدة منها :-

لَمِیَاءٌ اذْ سَفَرَتْ عَنْ ثَغْرِهَا الشَّنْبُ
 سَارَتْ بِلَبِیْ وَأَسْرَى بَعْدَهُ أَدَبِیْ
 فَهَذِهِ حَالَتِي بِالْعَيْنِ تَنْظُرُهَا
 الْقَلْبُ فِي مَقْدٍ وَالْعَيْنُ فِي حَلَبِ
 سُلْطَانُنَا الْبَاهِرُ لَهُ شَرَفٌ
 یَسْمُو عَلَى الْبَدْرِ وَالْجُوزَاءِ وَالشَّهَبِ

(١) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ، ص ٣٤ ؛ محمد فريد بك ، ص ١٣٤-١٣٥

(٢) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ١١٧ .

(٣) طاشكبري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ١٢ .

(٤) نفس المخطوط السابق ، ص ١٢ .

(٥) جلال الدين السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، مخطوط رقم ١١١١ ،

مُحَمَّدٌ أَنْتَ فَخْرُ الْقَوْمِ قَاطِبَةٌ
 سُمِّيَتْ بِدُرِّ السَّمَامِنِ أَنْجُمُ الْعَرَبِ
 رياض مدحك أزهار مفتوحة
 (١) وَصَوْتُ شِعْرِي لَهَا كَالْبُلْبُلِ الطَّرِبِ

وقد تعرضت القسطنطينية للحصار تسعاً وعشرين مرة ، وأخذت سبع
 مرات ، آخرها عندما سقطت في يد السلطان محمد الثاني ، الذي ضمها
 إلى ممتلكاته ، وأصبحت قصة المملكة ، وقد تمتعت القسطنطينية بأهمية
 كبرى منذ أن أنشأها قسطنطين الأول (٣٠٦ هـ / ٣٣٧ م) ونقل كرسي
 الإمبراطورية من روما على ضفاف التيبر ، إلى روما الجديدة التي
 شيدت على ضفاف البسفور ، وقد شيد عاصمته الجديدة محل بلدة
 بيزنطة القديمة . أنظر الشكل (٢١) .
 (٢)

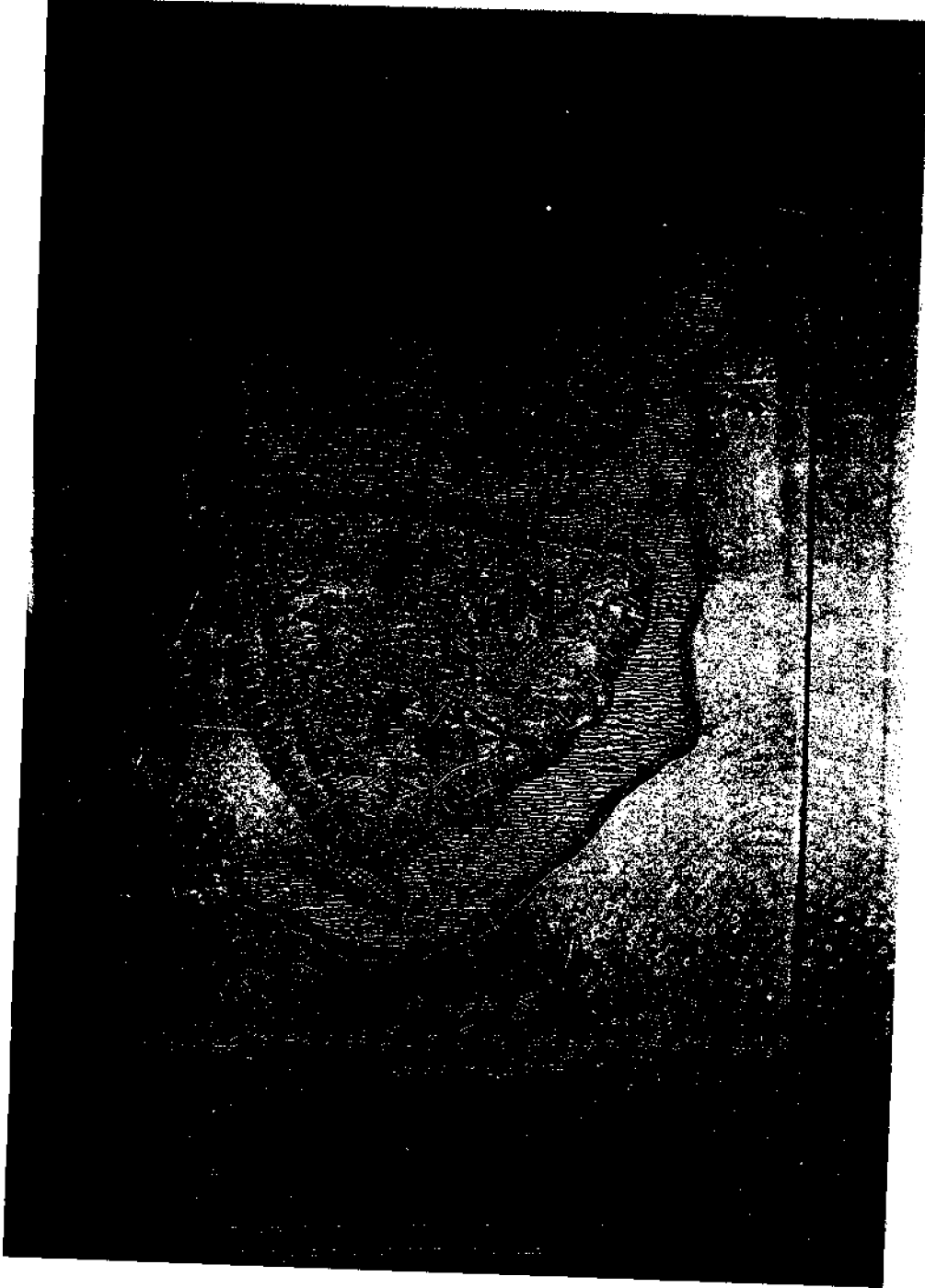
وقد تمتعت القسطنطينية بحصانة كبيرة حيث كانت تحيط بها
 المياه من ثلاث جهات ، من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق
 مياه البسفور ، ومن الجنوب بحر مرمرة ، فكانت بذلك على درجة كبيرة
 من المنعة لسيطرتها على المضائق التي تربط البحر الأسود بالبحر
 المتوسط ، وقد أطلق عليها قسطنطين إسمه ، وعمل على تجميلها حيث
 شيد بها القصر الإمبراطوري وسوقاً ومحاكم ، وحمامات وملعباً .
 (٤)

(١) نفس المخطوط السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) سليمان بن خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ - ٢٩ .



خارطة اسطنبول القديمة :

إن النسخة الأصلية من هذه الخارطة التي تصور أحوال اسطنبول المسمى بـبيزنطة قديما
في عهد القياصرة . محفوظة في باريس .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

وكان للمسلمين محاولات عديدة لفتح تلك المدينة (القسطنطينية) منذ العهد الأموي إلى العهد العثماني ، فكانت أولى هذه المحاولات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان عام (٥٠ هـ / ٦٧٠ م) حيث سير إليها جيشاً بقيادة سفيان بن عوف ، ثم أمده بجيش قاده يزيد بن معاوية وبمعيته عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري^(١) الذي استشهد تحت أسوار القسطنطينية بعد أن قال قولته المشهورة : (إذ مت فاركب بي ، ثم سغ بي في أرض العدو ما وجدت مساعاً ، فإذا لم تجد مساعاً فادفني ثم ارجع ، فلما مات ركب به يزيد بن معاوية في أرض العدو ما وجد مساعاً ثم دفنه ورجع) ، ودفن أبو الأنصاري هناك بعد أن استشهد وعاد بعد ذلك الجيش دون أن يحقق^(٢) نصراً .

ثم حدث أن حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، الذي وجه جيشاً لفتحها سنة (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م) وكان على رأس ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك ، ولقد ظل الجيش الذي أرسله الوليد محاصراً للقسطنطينية إثني عشر شهراً ، ولاقى الكثير من المصاعب ، بسبب دخول الشتاء ، ونقص المؤن واستخدام الروم للنار الإفريقية ، وبعد وفاة الخليفة ، سليمان

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ ؛ ابن كثير

البداية والنهاية ، ج ٨ ، ص ٦٤ .

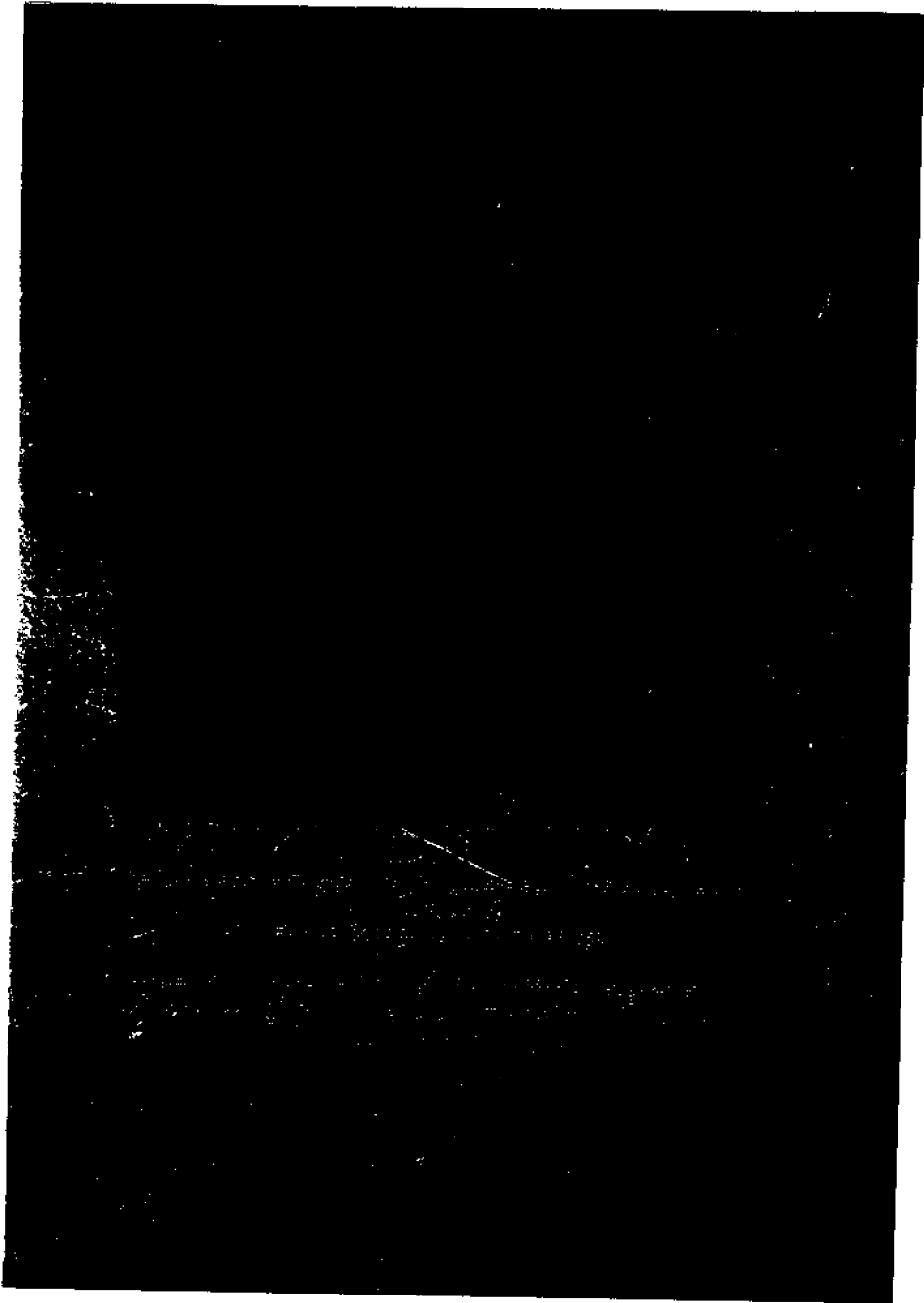
بن عبد الملك أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز برفع الحصار
(١) وعودة الجيش .

كذلك واصل العباسيون الجهاد ضد القوى البيزنطية ،
ونالوا منهم الكثير ، فقد تمكن الخليفة هارون الرشيد
من جعل الملكة إيريني تدفع الجزية للخلافة العباسية ،
كما أنه خرج على رأس جيش لمحاربة خليفتهما نقفور فوقباس ،
وهزمه وأجبره من جديد على دفع جزية مضاعفة لخليفة
المسلمين ، وقد أكمل السلاجقة - الذين ظهرُوا على مسرح
الأحداث والذين قاموا بدور عظيم في الجهاد ضد البيزنطيين -
المسيرة فقد تمكن ألْب أرسلان (٥٥٥ - ٥٦٥ هـ / ١١٦٠ -
١١٦٩ م) من هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانيوس ديوجنيوس
في موقعة ملاذكرد وأسرهُ ، كما قام في قونية فرع آخر من
السلاجقة سموا بسلاجقة الروم وكان لهم الفضل
في تفتيت قوة الدولة الرومانية الشرقية ، حيث وصلوا
إلى سواحل بحر أيجه . (٢) أنظر شكل ص (٢٤) .

وفى العهد العثماني كانت هناك محاولات لفتح
القسطنطينية قبل عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) وهو عام
الفتح ، قبل ذلك حاصر السلطان بايزيد الأول

(١) عماد الدين اسماعيل بن أيوب ، تقويم البلدان ، ص ٢٠٠ ، عيد السلام فهمي ،
السلطان الفاتح قسطنطينية وقاهر الروم ، ٨٣٣ هـ - ١٤٢٩ م ، ١٤٨١ م ،
ص ٦٦ - ٦٨ .

(٢) عيد السلام فهمي ، السلطان محمد الفاتح ، ص ٦٨ .



الأحوال القديمة للقسطنطينية :

الخارطة التي تصور لنا أحوال اسطنبول وتقسيماتها الداخلية وماحولها وذلك في القرون الوسطي (اثناء محاصرتها الأخيرة) • (١) القصر الملكي على رأى (HERTZBERG)
(٢) آيا صوفيا • (٣) هيبودروم (ملعب الخيل والسباق) • (٤) كنيسة سن سه رزئة بافكوس
(٥) كنيسة الحواريين • (٦) باب سينة كوم يقع على الخليج • (٧) عمود قسطنطين •

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية •

(٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) (١) القسطنطينية وكادت أن تقع في يده لولا قدوم تيمور لنك لقتاله وفي ذلك يورد ابن عريشاه : (فعندما علم ابن عثمان (بايزيد) بقدوم تيمور لنك وأنه قادم لقتاله ، استعد لاستقباله وكان على رأس استانبول محاصراً اشامها وكفارها ، وقد قسارب على أن يفتحها لولا أن دهم خطر التتار . . ولكن نزلت به الهزيمة على يد تيمور لنك وقبض عليه وبعث به إلى بورصة بطائفة من الجند والأعوان عملوا على أخذ ما بها من أموال ابن عثمان وخدمة . . .) (٢)

لولا هذا الخطر المفاجيء الذي لم يحسب حسابه ، والذي داهم السلطان بايزيد ، أثناء حصاره للقسطنطينية لفتحت ، منذ تلك الفترة ولما تأخر ذلك الفتح إلى سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) .

وجاءت اللحظة الحاسمة ، وودقت ساعة الفتح ، وكانت الخطوة الجريئة الفعالة والتي دكت أسوار القسطنطينية دكاً ، وأسقطت ذلك الحصن الذي استعص على الغزاة والغاتحين ، ولم يصمد أمام قوة الإيمان ، وتصميم الرجال ، وخر ذلك الحصن على يد السلطان محمد الثاني يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة . (٣)

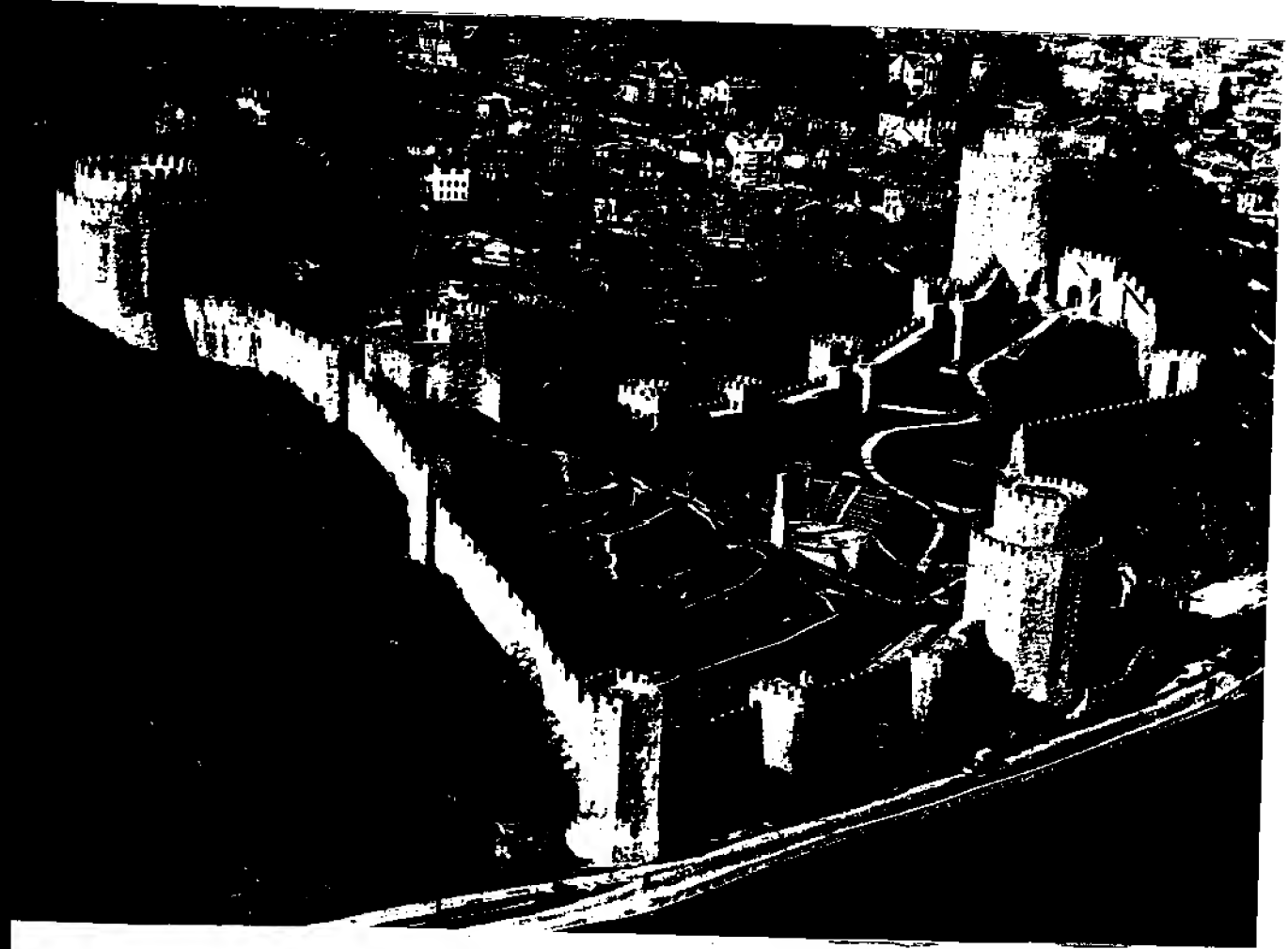
-
- (١) سليمان خليل جاويش ، التحفة السنية ، ج ١ ، ص ١٥ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ص ٥ ، تاريخ تيمور لنك ، ص ١٤٧ .
- (٢) ابن عريشاه محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ، عجائب المقدور في نواب تيمور ، ص ١٩٢ - ١٩٥ ، ١٩٨ ، تاريخ تيمور ، ص ١٤٧ .
- (٣) جمال الدين أبي المحاسن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١٦ ، ص ٧٠ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ص ٢٨٨ .

يعتبر المؤرخون سقوط القسطنطينية من أهم الأحداث في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، ويمثل هذا الحدث نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، والقسطنطينية هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، التي فقدت معظم أراضيها وممتلكاتها أمام ضربات المسلمين وغدت من أصغر الدول القائمة في شبه جزيرة البلقان. (١)

وكان أول عمل قام به السلطان محمد الفاتح هو بناء قلعة روم حصار الحصينة على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية (أنظر الشكل ص ٢٧) وقد حاول قسطنطين الحادي عشر استنفار أوروبا ودعم البابا بيوس الثاني، للوقوف أمام الفتح العثماني، ونجدة المدينة الوحيدة المتبقية في أيدي المسيحيين، وكرد فعل لذلك فقد شرع السلطان محمد في عقد المعاهدات والاتفاقيات مع كل من المجر وصربيا وولاشيا والبندقية وجنوة، وذلك لضمان عدم تدخلهم، ولتأمين القوات العثمانية عند مهاجمتها للقسطنطينية، وكان السلطان محمد على رأس الجيش. (٢)

ومن أجل تحقيق النصر، لجأ السلطان لخطة ذكية وهي أنه تمكن من إنزال ما يقرب من ثمانين سفينة عثمانية إلى مياه القرن الذهبي، والذي كانت تحميه سلسلة ضخمة، حيث مهد طريق من الخشب دهنه بالشحوم

-
- (١) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.
 (٢) إدورد جيبون، إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج ٣، ص ٣٤٤.
 (٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.



حصار بوغاز كسـن:

سورة عن روم ايلي حصارى المسمى ببوغازكسن حصارى وقد أنشأها السلطان محمد خان الثاني الفاتح ، على أن يسد مضيق البحر الأسود ، وأنشء هذا الحصار في ساحل روم ايلي .

يسهل إنزال القسطنطينية إلى مياه القرن الذهبي، وبينما كان هو يقوم
 بهذه المهمة كانت القوات البرية مشتبكة مع الجيش البيزنطي وبعده
 ذلك بدأت القوات البرية والبحرية في قصف المدينة برأ وبحراً
 واندفع المقاتلون العثمانيون نحو المدينة، وقد ورد ذكر الفتح
 في تاريخ أبو الفاروق على النحو التالي : (أحطنا بهم وحاربناهم
 وحاربونا، وقتلناهم وقتلونا، وجرى بيننا وبينهم القتال أربعة
 وخمسين يوماً وليلة .. فمتى طلع الصبح الصادق من يوم الثلاثاء يوم
 العشرين من جمادى الأولى هجمنا مثل النجوم رجوماً لجنود الشياطين، سخرها
 الحاكم الصديقي ببركة العدل ...) (٣)

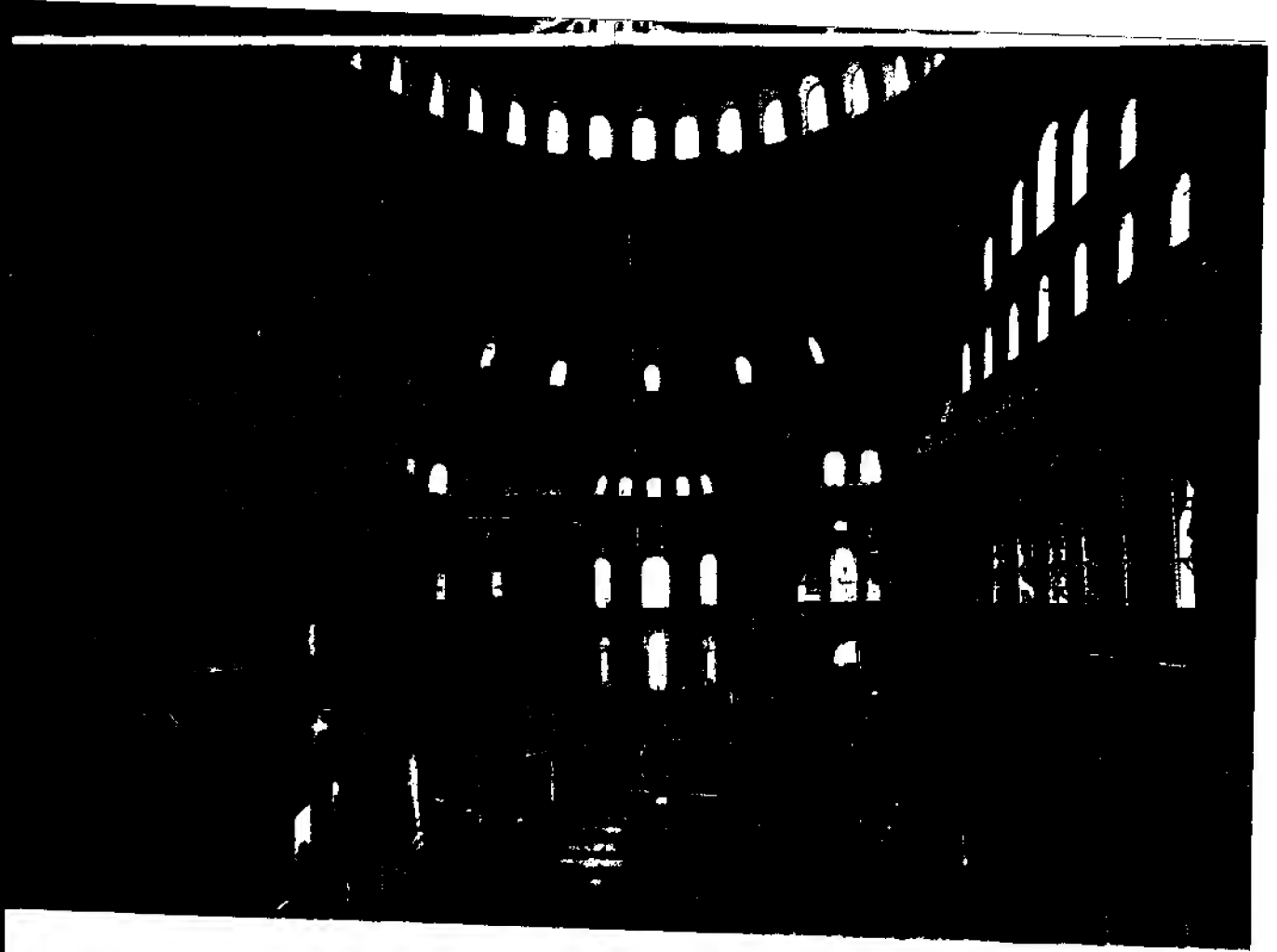
وفي أثناء القتال قتل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين، كما قتل
 الآلاف من جنده، وقد حافظ السلطان على المدينة ولم يدمرها، أو يقتل
 أهلها، كما حدث عندما استولى الصليبيون على بيت المقدس، فقد قاموا
 بمذبحة رهينة ضد المسلمين فيها، بل أن السلطان محمد الفاتح أظهر
 الكثير من التسامح، ودخل المدينة في موكب النصر مع جنده وتفقد
 أحوالها . ومن أهم أعمال السلطان محمد الفاتح تحويل كنيسة آيا صوفيا
 إلى مسجد، فأقام على أركانها الأربعة أربع ماذن باذخة الطول، وأضاف
 إلى بنائها أبنية ذات طابع إسلامي جميل، ووشق جدرانها بآيات من

(١) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٥، ص: ١٤٨، بسام العسلى الفاتح
 القائد، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) أحمد مختار، فتح جليل قسطنطينية، ج ١، ص ٢٩٥ .
 (٣) طه زاده عمر فاروق، تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ١١ - ١٤ .
 (٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥ .
 (٥) طاشكيري، الشقائق النعمانية، مخطوط رقم ١٥٠٨، ص ٧٠ .
 (٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولته عثمانية، ج ١، ص ٨٧ .

(١) القرآن الكريم ، (أنظر الشكل ص : ٣٠) ووضع على قضاء القسطنطينية المولى حضر بك ، ولما توفي أعطى قضاءها مع خواصها وقضاء غلطة لمونا خسرو وضم إليه التدريس في مدرسة أيا صوفيا وقد كان عالماً وقوراً حميد الأخلاق ، وقد قال السلطان عنه : " أنظروا هذا أبو حنيفة زمانة " (٢) وحولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، واتخذ السلطان من القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية ، وأصبح إسمها (إسلام بول) أي مدينة الإسلام وأعطى الحرية الدينية للمسيحيين وأعاد مآتهم من أسوار المدينة أثناء الحصار ، وبنى عند بحر مرمرية قلعة عظيمة اشتهرت باسم قلعة الأبراج ، كما أنه عني بالأسطول فأنشأ داراً لصناعة السفن ، كما شيّد مدرسة القصر ، وللسلطان مآثر عديدة من مدارس وزوايا وجوامع ، وقد بعث السلطان بالبشرى إلى سلاطين العالم الإسلامي ، ومنهم الشريف بركات بن الحسن شريف مكة ، كما أرسل بالبشرى إلى سلطان مصر المملوكي ، وقد أورد ابن إياس نص الرسالة المرسلة لسلطان مصر حيث يقول : (وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان ، يخبر السلطان بفتح القسطنطينية ، العظمى وقد منع المكائد في فتحها وكان يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى من هذه السنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فلما بلغ السلطان ذلك دقت البشائر في القلعة ونودي في القاهرة بالزينة ، ثم أن السلطان عين برشباي أمير أخور ثاني رسولاً إلى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برشباي وتوجه إلى بلاد ابن عثمان) ، وقد تناقل المسلمون أخبار هذا النصر ، (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

- (١) مجلة عالم السعودية ، العدد الأول ، المجلد الثامن يناير ١٩٨٩ م ، ص ٢٤٠
- (٢) طاشكبرى زاده ، الشقائق النعمانية مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٧٠ - ٧١
- (٣) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٢٣ - ٤٣٧
- ٤١ - ٤٦ ؛ إدورد جيبيون ، ج ٣ ، ص ٣٤٥
- (٤) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧
- (٥) فريد بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ؛ أحمد دحلان ، خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام ، ج ١ ، ص ٤٣ ؛ إبراهيم رفعت مرآة الحرمين ، ج ١ ، ص ٣٦٣
- (٦) فتح جليل قسطنطينية ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ؛ كامل باشا ، تاريخ سياسي ، ج ١ ، ص ٨٧
- (٧) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٢ ، ص ٣١٦



صورة من الداخل لمسجد آيا صوفيا .

حيث يذكر ابن تغرى بردي أن القاهرة دقت الباشر وزينت أياماً، وأشار
المؤرخ العثماني فريدون بك أحمد إلى عدد من رسائل التهنئة التي
وصلت إلى السلطان محمد من الدول المجاورة لدولته إنذاك تعبيراً عن
تأييدهم ومؤازرتهم للدولة العثمانية . (أنظر الملحق رقم (٢)) .^(١)

أتاح فتح القسطنطينية للقوى الإسلامية العثمانية أن تتجه إلى
باقي أوروبا ، إلى رومانيا ، وبلغاريا ، واليونان ، ويوغسلافيا ، وألبانيا
والمجر وبذلك قلبت الدولة العثمانية ميزان القوى ، فبعد أن كان
العالم الإسلامي يقف موقف الدفاع ، والعالم الأوروبي يتخذ موقف الهجوم
انعكس الوضع حيث ظلت أوروبا منذ ذلك التاريخ (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) وإلى
ثلاثة قرون متصلة تقف موقف الدفاع في وجه الفتح العثماني .^(٢)

بهذا الإنجاز الباهر العظيم ، سقط أهم معاقل المسيحية في الشرق
(القسطنطينية) التي صمدت ما يقرب من ألف عام أمام القوة الإسلامية
بعد سقوط الإمبراطورية الغربية سنة (٤٧٦ م) ، وبعد سقوط القسطنطينية
انفتح المجال أمام الفتح الإسلامي نحو أوروبا .

بعد هذا النصر المؤزر أخضع السلطان محمد الثاني كل من المورة
والصرب والبوسنة واقترب إلى كل من المجر ، وألمانيا ، وإيطاليا ، ودانت له^(٣)

-
- (١) ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة ، ص ٧٠ - ٧١ .
(٢) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ - ١٥٨ .
(٣) أنور الجندی ، الإسلام وحركة التاريخ ، ص ٣٠٧ .
(٤) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ ابو الفاروق ، المجلد الثاني ، ص ٤١
بسام العسلى ، الفاتح القائد ، ص ٨١ - ٨٣ .

(١)

طرابزون ، والقرم في آسيا • (انظر خريطة ص : ٢٣) •

وفي سنة (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) سار السلطان محمد الفاتح إلى بغداد فخاف رئيسهم وهرب فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر وأجبر ستيفان على دفع الجزية ، كما أنه في عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) خاصر رودس ثلاثة أشهر ولم يتمكن من فتحها لحصانتها ، وقد توفي السلطان بعد ذلك سنة ست وثمانين وثمانمئة عندما توجه إلى بورصة ثم نقل جثمانه إلى اسطنبول .^(٢)

تولى الحكم بعده ابنه بايزيد الثاني (٨٨٦ - ٩١٨ هـ / ١٤٨١ - ١٥١٢ م) وكان والياً على أماسيا عندما توفي والده ، وعندما وصل إليه الخبر توجه إلى اسطنبول ، فوجد الإنكشارية شقوا عصا الطاعة ، ونهبوا الكثير من المنازل ، فعندما وصل بايزيد عمل على تهدئتهم ووعدهم بالعطايا والهدايا ومن ذلك الوقت وجدت عادة العطايا والهبات عند تولية اي سلطان جديد . وفي عهد السلطان بايزيد توقفت الفتوحات نظراً للمشاكل التي واجهته من جهة أخيه (جم) في داخل الدولة بالإضافة إلى مشكلات^(*)

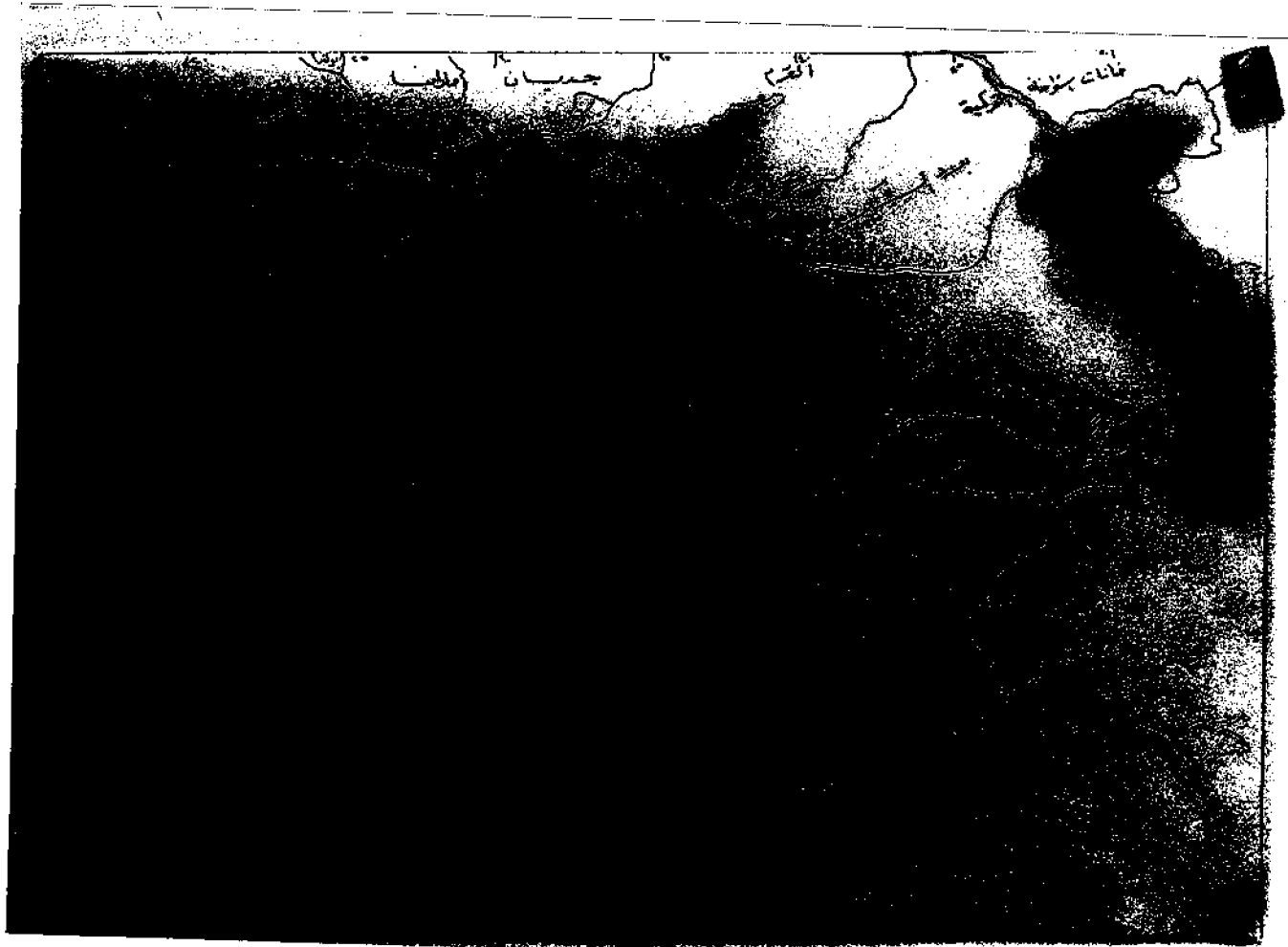
(١) موفق المراجعة ، صحوه الرجل المريضي ، ص ٤٠ .

(٢) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

(*) أماسيا : تقع في شمال شرق الأناضول جنوب صامسون ، الواقعة في شمال تركيا على البحر الأسود ، وهناك بلدة أخرى باسم أماسيا تقع إلى الجنوب الشرقي من أزمير والثانية هي المقصودة هنا لأن أماسيا الأولى لم تكن داخلة في ملك آل عثمان (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٢٣) •

(*) جم أحد اخوة السلطان بايزيد ، وقد سار إلى بورصة بعد وفاة والده ، وهزم ألفي إنكشاري ثم أرسل إلى أخيه يعرض الصلح ، بشرط تقسيم المطكه بينهما ، فيختص جم بولايات آسيا ، وبايزيد بأوربا ، فلم يقبل بايزيد ذلك ، فحاربه وهزمه ، فالتجأ جم إلى مصر ، وحاول بعد ذلك إثارة رئيس فرسان القديس حنا ضد أخيه ، ولكن فرسان القديس يوحنا بالاتفاق مع بايزيد قبضوا عليه ، مقابل مبلغ من المال يدفعه له السلطان بايزيد (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨٠ - ١٨٢) •



الحدود بينه وبين دولة المماليك وقد التزمت الدولة في عهده جانسب السلم ولم يخلو الأمر من الفتن والمشاكل الداخلية ، كما ابتدأت في عهده العلاقات مع دول أوربا ، حيث قامت علاقة بينه وبين الروس ففسي سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه هدايا للسلطان بايزيد الثاني وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حصل على امتيازات للتجار الروس كما ربطت الدولة العثمانية في عهده صداقة مع مملكة بولونيا ، حيث عقد بينهما معاهدة سنة (٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م) وتجددت تلك المعاهدة سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) .^(١)
^(٢)

وابتدأت الإتصالات في عهده بينه وبين البابا إسكندر السادس وملك نابولي ، ودولة ميلانو ، وجمهورية فلورنسا ، وقد تكدر صفو حياة السلطان بسبب عصيان أبنائه فاستقال في ثمانية من صفر سنة (٩٨١ هـ - ١٥١٢ م) ، متنازلاً لابنه سليم بالحكم وكان سليم حاكماً على أماسيا سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م) وجلس على عرش السلطنة سنة (٩١٨ هـ / ١٥١٢ م) وكانت مدة حكمه تسع سنوات ولقد قام بمحاربة الشاة إسماعيل الصفوي وهزمه في تبريز ، وأكمل مسيرة الفتح فحارب المماليك في بلاد الشام وانتصر عليهم في معركة مرج دابق سنة (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) . حيث هزم السلطان الغوري وبعد أن استتب الأمر له في الشام ، سار إلى مصرفي أول محرم سنة (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) وقصد^(٣)

(١) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، ج ١ ، ص ٥١٩ - ٥٢٣ .

(٢) نشانجي باشا ، سير أنبياي عظام ، ص ١٦١ .

(٣) تاريخ جودت باشا ، المجلد الأول ، ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) نفس المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٩ .

(٥) ابن زنبيل ، آخر المماليك واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ،

مخطوط رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .

اجتمع المماليك الجراكسة في مصر على طومان باي الذي هُزم في الريدانية وألقي القبض عليه وأمر السلطان العثماني بشنقه على باب زويلة، وبقتلة انتهت دولة الجراكسة في مصر والشام، وابتدأ نجم العثمانيين يلوح في الأفق، وقد دعى للسلطان سليم على المنابر، ولقب بخادم الحرمين الشريفين. (٢).

وقد قام السلطان سليم بإجراء الرواتب للأيتام والشيخو المقيدين وقرر المرتبات للأوقاف، والخيرات وغلل الحرمين الشريفين، وقد اضطرب السلطان معه من مصر من أصحاب الصنائع التي لم توجد في بلاده، بحيث أفقد مصر نيفاً وخمسين صنعة. (١) ولكن هؤلاء الصنائع الذين رحلهم السلطان إلى إسطنبول سنة (٩٢٣ هـ) لم يظل بعدهم عن مصر أكثر من ثلاث سنوات، هذه مدة قصيرة لا تؤثر على مستوى البلد المهني، حيث توفي السلطان بعد ذلك بثلاث سنوات، وأمر السلطان سليمان بن سليم بعودتهم إلى مصر وعندما رفض الصنائع العودة إلى مصر، أصدر قانوناً يقضي بعودتهم وفي ذلك يورد ابن اياس في حوادث شهر جمادي الأولى عام (٩٢٧ هـ) حيث يقول: "وفي هذا الشهر حضر جماعة كبيرة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاة أسرهم وأخرجهم من مصر، فلما مات سليم شاة بن عثمان واستقر ولده سليمان أصدر مرسوماً بعودة الأسرى قاطبة إلى بلادهم، ورأف عليهم وأظهر العدل فيهم". (٤).

(١) البكري، عيون الاخبار ونزهة الأبصار، مخطوط رقم ٧٢، ص ١٠٢ - ١٠٣

(٢) طه زاده عمر فاروق - تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ٢٩٦.

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الاثار في التراجم والافكار، ص ٦٤ - ٦٥

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٥، ص ٣٩٧ - ٩٧٤.

وقد توفي السلطان سليم الأول سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وخلفه
 ابنه سليمان الثاني، تولى الحكم سنة (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) وكان له
 من العمر ستة وعشرون عاماً وحكم لمدة ثمانية وأربعين عاماً وهي أطول
 فترة حكم قضاها سلطان عثماني وتوفي وله العمر أربعة وسبعون عاماً^(٢) .

يعتبر عصر السلطان سليمان الأول من أزهى العصور في العهد
 العثماني^(٣)، حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي كما وفق في
 فتوحاته شرقاً، واتبع هذا السلطان في سياسته مع أوروبا سياسة مخالفة
 لمن سبقوه، فيما يتعلق باستمرار القتال بين المسلمين والمسيحيين
 وقد أطلق عليه العثمانيون اسم سليمان القانوني، وذلك لكثرة القوانين
 والنظم التي صدرت في عهده، كما أطلق عليه الأوروبيون لقب العظم، ويرجع
 السبب في ذلك إلى أنه بالإضافة لشجاعته، فقد استطاع أن يحتفظ
 بهيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير، أمثال فرنسو الأول^(٤)
 ملك فرنسا، وهنري الثامن ملك إنجلترا، والإمبراطور شارل الخامس
 ملك أسبانيا والمانيا، وأمانويل ملك البرتغال، وإيوان الثالث ملك
 روسيا، وإسكيل الثالث^(٥) .

وقد واكب شهرة هؤلاء الملوك وجود شخصيات تركية ذات أهمية أمثال

-
- (١) سليمان خليل جاويش، التحفة السنية، ج ١، ص ١٥؛ كامل باشا، تاريخ
 دولت عليّة، ج ١، ص ١٦٣ .
 (٢) تاريخ جودت باشا، المجلد الأول، ص ٤٠ .
 (٣) طه زاده عمر فاروق، تاريخ أسواق الفاروق، المجلد ٣، ص ٦ - ٣ .
 (٤) محمود زيادة دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٥٥٧؛ يوسف آصاف سلاطين
 آل عثمان ص ٧٢ .
 (٥) السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج ٢، ص ٤٤٤ .
 (٦) علي بك حليم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ٩٥ .

سنان باشا ، وهو من أعظم رجال المعمار ، وكمال باشا زاده مفتي الدولة ومن رجال البحر أمثال طرغود ، وخير الدين بربروسا وأخوه عروج وصادفت أيام السلطان القانوني نهضة شاملة في أوربا في القرن السادس عشر الميلادي ، وسائرهم العثمانيون في ذلك بل فاقوهم في هذا المضمـنـار الحربي ، ولم يوجد في أوربا في عهده من يفوقه حربياً أو سياسياً أو إدارياً ، وقد أطنب الشعراء في الدول الأجنبية في وصف السلطان سليمان القانوني ، وما يدل عليه مظهره من أنه ولد ليكون سلطاناً لماتمتع به من الذكاء والثقافة العالية ، حيث كان ينظم الشعر بالفارسية وإن لم يصل إلى ما وصل إليه والده ، وكان ورعاً تقياً كتب ثمانية مصاحف بيـدة ولا تزال موجودة في الجامع السليمانى باسطنبول . (١)

أما فتوحاته فلم تكن بأقل من فتوحات والده حيث تمكن من فتح بلغراد في (٢٦ رمضان ٩٢٦هـ / ١٥٢١م) (أنظر الملحق رقم (٣)) ، وفتح رودس من فرسان القديس يوحنا في (٥ صفر ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م) كما غزا بلاد المجر ، والتقى بجيوشهم في معركة موهاكس (٩٣٢هـ / ١٥٢٦م) وقتل ملكهم لويس الثاني ، وفتح العديد من القلاع ، كما حاصر فينا عشريـن يوماً عام (٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) ولم يتمكن من فتحها ، فارتد عنها ، وكان هذا أول فشل يلحق به في أوربا ، وقد اتسعت البلاد في عهده ، حيث امتدت من بودابست على نهر الطونة إلى أسوان بالقرب من شلالات النيل ومن نهر الفرات إلى مسافة قريبة من جبل طارق كما أصبحت الجزائر في عهده

(١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٤٢ .

(٢) تاريخ بجـوي ، ص ٦٨ .

ولاية عثمانية تابعة لدولته ، وكان لخير الدين بربروس وأخاه عروج دورهما في البحر المتوسط وحماية شواطئه ، وبلغ الحكم العثماني في عهده أوجه . (أنظر خريطة ص ٢٩) .

جاء إلى الحكم بعده ابنه سليم الثاني سنة (٩٧٤ - ١٥٦٦ م) وله من العمر خمسة وأربعون عاماً ، وقد عمل السلطان سليم على إتمام فتح ممالك اليمن ، وكان والده قد بدأ في فتح اليمن فأكمل هو فتح ذلك القطر ، كما تمكن من الإستيلاء على جزيرة قبرص ، كما أرسل السلطان نجدة لمسلمي غرناطة - في الأندلس - الذين أرسلوا يستنجدوا بالسلطان سليم خان سنة (٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م) ضد مسيحي أسبانيا حيث لبى السلطان طلبهم بأن أرسل لأمير أمراء الجزائر بأن يبعث النجدة والمعونة لهم . (أنظر الملحق رقم ٤) .

وفي عهد السلطان سليم الثاني مني الأسطول العثماني بهزيمة بحرية في معركة ليبانتو عام (٩٧٩ هـ / ١٥٧١ م) وعلى الرغم من سيطرت الدولة العثمانية على قبرص كما ذكرت آنفاً ، وهزيمتهم للنمساويين سنة (١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) في سهل واج إلا أنهم لم يعودوا يشكلون خطراً على أوروبا . (٦)

(١) محمد باشا ، الدرة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت على الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ ، ص ٣ .

(٢) Halil Inalick , Op, Cit., P, 35 .

(٣) عبد الواسع اليماني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ - ٢١٩ .

(٤) مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧ هـ ؛

تاريخ سلانيك المجلد التاسع ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٥) مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٨٩ حكم رقم ٢٣١ بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ .

(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ، المجلد الأول ص ٢٧٢ ؛

السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٤٤٥ .



من خلال دراستنا للصفحات السابقة ، رأينا كيف أن الدولة العثمانية انبثقت من إمارة صغيرة في شرق الأناضول إلى أن اتسعت في ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا ، والذي يهمنها هو فتوحاتها في القسارة الأوروبية وفي الجانب الجنوبي الشرقي الذي يضم الدولة الرومانية الشرقية (الإمبراطورية البيزنطية) هذه الدولة التي استنزفت الكثير والكثير من جهود المسلمين وكانت معقلاً من معازل الوثنية والشرك ، وظلت ألف عام تقريباً تدافع عن أوروبا ، وتحول دون انطلاق أنوار الحق إلى تلك البلاد ، فكانت بمثابة الحصن المنيع الذي حمى أوروبا كل تلك الفترة . ولكن شاءت عناية الله أن يدك ذلك الحصن ويسقط منهارة أمام ضربات المسلمين وبقوة الإيمان على يد السلطان محمد الفاتح حيث كان دعماً للإسلام الذي انطلق منها مبشراً بدين الحق والنور ، وأصبحت القسطنطينية معقلاً من معازل الإسلام بعد أن كانت شوكة في جنب المسلمين ، وبؤرة فساد .

بعد ذلك توالى الفتوحات والإنتمارات ضد التكتلات والزعامات الأوروبية الصليبية ، وأخذ جند الإسلام يسرون والنصر في ركابهم ينشرون الإسلام في جنوب شرق أوروبا ووصلت الجيوش العثمانية إلى أبواب فينسا وكانت فينسا هي أقصى اتساع للدولة العثمانية في أوروبا ، ولا يخفى أن أنتشار الإسلام رافق الفتوحات التي قام بها آل عثمان في أوروبا حتى أنهم لم يعرفوا في ذلك التاريخ بالترك لدى الشعوب الأوروبية بل جند الإسلام .

الفصل الأول

الوجود الإسلامي العثماني في أوربسا

- ١- دخول الإسلام إلى شرق أوربسا.
- ٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربيّة.
- ٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية.
- ٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام.

تحدثنا في الفصل السابق عن نشأة الدولة العثمانية ، وأصل الأتراك ، وتوسيعهم لرقعة بلادهم .

بدأنا نسمع لأول مرة عن العثمانيين في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وذلك عندما نزحوا من بلادهم ، في قسار (١) آسيا أمام غارات المغول ، ثم تقدموا نحو آسيا الصغرى ، وقسار أسدوا خدمة للسلطان علاء الدين السلجوقي ، الذي أقطعهم ولاية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، مكافأة لهم ، وقد كانت هذه الولاية (٢) نواة للدولة العثمانية .

أما عن دخول الإسلام إلى جنوب شرق أوروبا ، فقد انتشر على مراحل متعددة المرحلة الأولى منها عن طريق التجار المسلمين ، الذين عرفوا برحلاتهم التجارية في مختلف أنحاء العالم ، فقد ارتادوا تلك الأماكن للتجارة تجارة الفراء وكافة السلع الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية ، ويفضل التجار المسلمين وتوغلهم في تلك البلاد واستقرار البعض كان له أثر في دخول المسيحيين في الإسلام ، إذ اجتذب التاجر المسلم بسبب أمانته وإخلاصه ، وصدقه في المعاملة ، وحسن الخلق الذي حض عليه الدين الإسلامي الحنيف ، اجتذب كثيراً من سكان تلك البلاد إلى الإسلام . (٣)

-
- (١) محمد السيد غلاب ، البلدان الإسلامية ، ص ٧٠٥ .
 (٢) محمد فريد بك الدولة العلية ، ص ١١٨ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .
 (٣) أحمد بن عباس بن فضلان ، رحلة ابن فضلان ، ص ٩١ .

ففي نهاية القرن (الثالث الهجري وأوائل الرابع / التاسع الميلادي وأوائل العاشر) • عاش جماعة من قبائل البلغار على نهر الفولجا ووصل اليهم الدين الإسلامي ، عن طريق التجار المسلمين الذين يتاجرون بالفراء ، وهم أول جماعة اعتنقت الإسلام ، وقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر ، قائده أحمد بن عباس المعروف بابن فضلان ليفقهم في الدين بعد أن وصلت جماعة منهم (البلغار) إليه تطلب ذلك وقد تحدث ابن فضلان عن تلك الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً ، وذكر بأن الغاية منها دعوة البلغار إلى الدين وتعليمهم الإسلام وشعائره ^(١) وأشار ابن فضلان في وصفه إلى اعتناق أحـد ملوك السلاف " الطش بلظمور " الإسلام ، وذكر بأنه عندما وصل إلى بلاده خف لاستقبالهم ، فلما رأى ابن فضلان ومن معه ممن أوفدهم الخليفة العباسي المقتدر خر ساجداً شكراً لله عز وجل • ^(٢)

وقد كان لقبائل البلغار المسلمة دور في نشر الإسلام ، ففي جنوب شرق أوروبا ، في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث هاجر البلغار الذين اعتنقوا الإسلام إلى حوض نهر الفولجا ، وجنوب شرق أوروبا ، وانتشر أولئك المهاجرون في بلغاريا ، ويوغسلافيا ، ^(٣) وألبانيا ، والمجر ، وكانت نسبتهم ضئيلة إلى مجموع السكان •

(١) ابن فضلان ، رحلة ابن فضلان ، ص ٩١ •

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٩٣ - ٩٥ •

(٣) محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ٣٩ •

أما عن المرحلة الثانية لانتشار الإسلام في شرق أوروبا فكانت عندما وصلت القبائل التترية في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي إلى تلك المناطق واستقرت بها ، وقد اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، وكان أوزبك الكبير القائد المغولي هو خان القبيلة الذهبية أو إمبراطورية الكبشان ، التي بلغت أوج عظمتها في عهده ، وقد اعتنق الإسلام ، وتحمس له بشدة ، واليه يرجع الفضل في ترسيخ دعائمه هناك ، وقد اشتقت قبائل الأوزبك التي عاشت في أواسط آسيا اسمها من اسمه تبركاً ، ويقال أنه وضع خطة لنشر الإسلام في كافة أرجاء روسيا ، وازدهرت الأسرة الذهبية في عهد عبدالله خان أوزبك (٧١٤ - ٧٤٢ هـ / ١٣١٤ - ١٣٤١ م)^(١)

كما اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، فقد اعتنقه خانوات الجغتاي من المغول ، اعتنقوا الإسلام طوعاً وعلاً ، وتحول رعاياهم من البدو إلى الإسلام ، كما استبدلوا الشريعة الإسلامية بقانونهم الوضعي ، لتنظيم حياتهم ، وبذلك دخل الأتراك المغول الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة مؤسس دولتهم جينكيز خان ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس التي كان زعماءها من المسلمين وانتهاءً بنشوء الدولة العثمانية^(٢) .

أما المرحلة الثالثة من مراحل دخول الإسلام إلى أوروبا فكان أهمها الفتوحات العثمانية في أوروبا . وبدأت هذه المرحلة منذ عهد السلطان أورخان بن عثمان حيث تمكن ابنه سليمان من فتح مدينة غاليبولي

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ - ٣٤ .

على أثر زلزال أدى إلى سقوط أسوارها ، وكان ذلك بداية للوجود العثماني في أوروبا عام (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨ م) ، وقد قام سليمان باستدعاء جماعة من الأناضول للاستقرار في غاليبولي ، وعاملهم معاملة حسنة ، ووعدهم بالهدايا والمكافآت ، وقد تمكن من نقل جيشه إلى غاليبولي بواسطة الزوارق .

هذا وقد ترك السلطان أورخان آثاراً عديدة ساهمت في نشر الإسلام في شرق أوروبا ومنها الجيش الإنكشاري الذي قام بتكوينه وبناءه ، من أبناء المسيحيين اليتامى الذين تربوا تربية إسلامية ودينية عميقة وتعلموا القرآن الكريم وحفظوه ، واتصفوا بالأخلاق والعبادات والمعاملات الإسلامية الحميدة ، والنظم العسكرية التي توفرت لهم للعمل العسكري كذلك تعلموا اللغة التركية ، وعرفوا وخبروا التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الدولة العثمانية ونظمها .

وقد كان ذلك الجيش الإنكشاري عوناً للدولة العثمانية ، لتجنيد فرقاً عسكرية كاملة من المشاة ، يضعون عقولهم وأجسامهم وخبراتهم في خدمة الإسلام والسلطان وميادين القتال ، ابتغاء إحراز الانتصارات العسكرية التي تحقق بها الدولة مزيداً من الفتوحات

-
- (١) أبو الفاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، ص ٨٢ - ٨٤ .
 - (٢) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .
 - (٣) محمد فؤاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
 - (٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٠ .
 - (٥) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .
 - (٦) حسن ليب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١١ - ١٢ .

(١)

في أنقارات الثلاث .

وضع السلطان أورخان قانوناً خاصاً بالإنكشارية جاء في أربع عشرة مادة تضمنت النظام الداخلي لهم وتنظم علاقات أفرادهم بعضهم ببعض ، كما نصت على الطاعة المطلقة والانقياد التام للسلطان ، وكان الإنكشارية ينظرون إلى أعداء السلطان على أنهم أعداء لهم ، وكانت شجاعتهم مضرب الأمثال ، هذا وقد بارك ذلك الجيش الحاج بكتاشي حيث أعطى كل واحد منهم قطعة من عباءته ، وكان الضباط يعلقونها على رؤوسهم تبركاً .^(٣)

لقد كان للجيش الإنكشاري أثره الكبير في الفتوحات العثمانية التي خاضت غمارها الدولة في آسيا وأوروبا وأفريقيا ، حيث أحرز النصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي والقرون التي تليه ، بالإضافة للجيش الإنكشاري الذي أنشأه السلطان أورخان فقد بني المدارس ، ومن تلك المدرسة مدرسة نيقية عام (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، كما أنشأ العديد من المدارس والمساجد والمستشفيات في مختلف أنحاء مملكته .^(٤)

-
- (١) حسن لبيب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، القسم الأول ، ص ١٢ .
 (٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .
 (*) البكتاشية : من الطرق الصوفية التي انتشرت في الدول العثمانية ، حيث أولتها الدولة أهمية بالغة وأمدتهم بالعون والحققتهم بالجيش (من الطرق الصوفية النقشبندية والمولوية والرفاعية والأحمدية والرشيدية والخلوتية) وهذه الطرق شوهت الإسلام وساعدت على إدخال البدع في صلب الدين (محمد فوءاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٦٨) .
 (٣) عبد اللطيف البحر اوي ، حركة الإصلاح العثماني ، ص ٥١ .
 (٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .
 (٥) Halil Inalick, Op, Cit., P, 8.

كما نظم أمور الدولة الداخلية والخارجية وقال عنه المؤرخ الرومي خالقوفونديل : ان أورخان كان حليماً على الفقراء ، وأرباب الصناعة والعساكر ، حيث أنه لم يتخلف عن إعطاء الصدقة لكل واحد من رعيته .^(١)

وقد كان لهذه المعاملة الحسنة الأثر العميق في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي ، وتوسيع قاعدة الإسلام في المناطق الأوربية ولم يكن أورخان هو السلطان الوحيد الذي عمل على تثبيت الإسلام في تلك النواحي من أوربا ، بل إن حكام آل عثمان وأثرياءهم كانوا يتبارون في تخليد أنفسهم ، ببناء المساجد ، التي أوقفوا عليها الأوقاف الواسعة فلم يكن الحاكم ، أو الثري يهتم بأن يبني داراً لنفسه أو أن يملك الضياع والعقارات ليورثها أبناءه من بعده ، بل كان يهتم بأن يبني مسجداً أو تكيه ، أو مدرسة ، أو مستشفى ويوقف عليها الأوقاف لينتفع بها المسلمين ، ويشهد بذلك الآثار الإسلامية المنتشرة في أجزاء كثيرة من المناطق الجنوبية الشرقية من أوربا .^(٢)

وهذا هو سر نجاح الدولة العثمانية في تقدمها نحو الغرب ، ووصولها إلى أسوار فيينا عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٩ م) مقارنة بالفترة المتأخرة التي لم يلتزم فيها سلاطين آل عثمان بالمبدأ الإسلامي .

ومن هؤلاء السلاطين الذين حرصوا على تقدم الإسلام في جنوب شرق أوربا السلطان مراد ، حيث قام بالتقدم السريع نحو أوربا ، فقد

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) إحسان حقي ، المسلمون أمام التحدي العالمي ، ص ٢٥ .

ورث عن والده جيشاً منظماً ، وكان صاحب عزيمة وإرادة وتربية علمية عالية كما اتصف بالجرأة والشجاعة ، وأصبح المجال أمامه مفتوحاً لإظهار نشاطه وقدراته الحربية وقد تمكن السلطان من فتح أدرنة عام (٧٦٣ هـ / ١٣٦١ م) واتخذها عاصمة له ، وهى الطريق المؤدى من القسطنطينية (١) إلى الدانوب ، وأصبحت أدرنة مركز القيادة العامة لمراد في أوروبا ، (٢) وسار نحو البلقان وفتح حصونها وعقد صلحاً بينه وبين ملك اليونان ، كذلك تمكن السلطان مراد من التصدي للبيزنطيين وأجبرهم على دفع الجزية واحتل نيس التابعة للصرب ، ثم أجرى صلحاً مع لازر ملك الصرب مقابل جزية سنوية يدفعها للسلطان ، ويبعث بألف جندي مقاتل لمساعدة العثمانيين حين الحاجة ، وقد أشار ذلك مخاوف ملك البلغار الذى أرسل وفداً للسلطان يطلب الصلح حيث قبل السلطان مراد ذلك ، ولم يغير عليه لعدة سنوات . (٣)

عاد السلطان إلى أدرنه بعد ذلك وعمل بعض الإصلاحات والتسي تتفمن : تقوية حكم العثمانيين في الأماكن التي فتحتها الدولة من قبل ، وتطبيق النظام بالنسبة للجيش كما في عهد والده هذا في الروم إيلي ، إضافة إلى تشكيل فريق من الجيش مهمته نقل المعدات العسكرية الثقيلة إلى المناطق التي تحتاجها ، وتعيين تيمور طاش باشا مسوئلاً عن تنسيق الجيش في روم إيلي .

واعتباراً من هذا التاريخ فقد تم وضع تقسيمات للجيش العثماني: أمير الأمراء الأناضولي، وأمير الأمراء الروم إيلي واختار مدينة فلبة

(١) Halil Inalick, Op, Cit, P, 8 .

(٢) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، مجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٣ .

وأنقرة مركز لهذه المهمة ، وبجانب هذه الإصلاحات في الجيش فكر السلطان
(١) بتوسع مملكته وكيفية الوصول إلى ذلك .

في الوقت الذي كان السلطان مشغولاً بتقوية نفوذه في أقطار
الأناضول كان أمراءه يعملون على تقوية نفوذ الدولة في بلاد الروم ،
ويركزون همتهم على منطقتين هما مقدونيا ، وصوفيا لذلك تمكن أمير
روملي من احتلال البانيا ، كما تمكن الجيش الآخر من احتلال قلعة صوفيا .

في هذا الوقت كان ملك البلغار يتأهب للانضمام إلى ملك الصرب
حينما فاجأت الجيوش العثمانية جيوش البلغار واحتلت ترنوه* وشوملة* ،
مما اضطر ملك البلغار للفرار والإحتماء بمدينة نيكوبلس ، ولكن
الجيوش العثمانية تمكنت من هزيمته ، وفي معركة قوصوة سنة (١٧٩٢هـ /
١٣٨٩م) أحرز العثمانيون نصراً على الصرب ووقع لازر ملك الصرب أسيراً
في يد المسلمين الذين قاموا بقتله ، وبهذه الواقعة المهمة التي
بقي ذكرها شهيراً في أوروبا بأسرها زال استقلال الصرب ، كما فقدت
الروملي والأناضول والبلغار استقلالها من قبل ، وقد انتقم الصرب لمقتل
ملكهم بأن تمكن جندي صربي اسمه (ميلوك كابلوفتش) من قتل السلطان
مراد بعد أن ضم كثيراً من البلاد إلى ما تركه له والده ، هذا إضافة إلى
مقام به قواد الدولة في عهده من تنظيم أمور البلاد المفتوحة ،
وتعيين قاضي لكل منهم ليحكم بينهم ، كما حولت العديد من الكنائس

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٥٣ .

(*) ترنوه : هي تورنوفو (Turnovo) تقع إلى الجنوب الشرقي من بلغاريا .

(*) شوملة : هي شومن (Shumen) تقع إلى الشمال من تورنوفو .

(محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٤) .

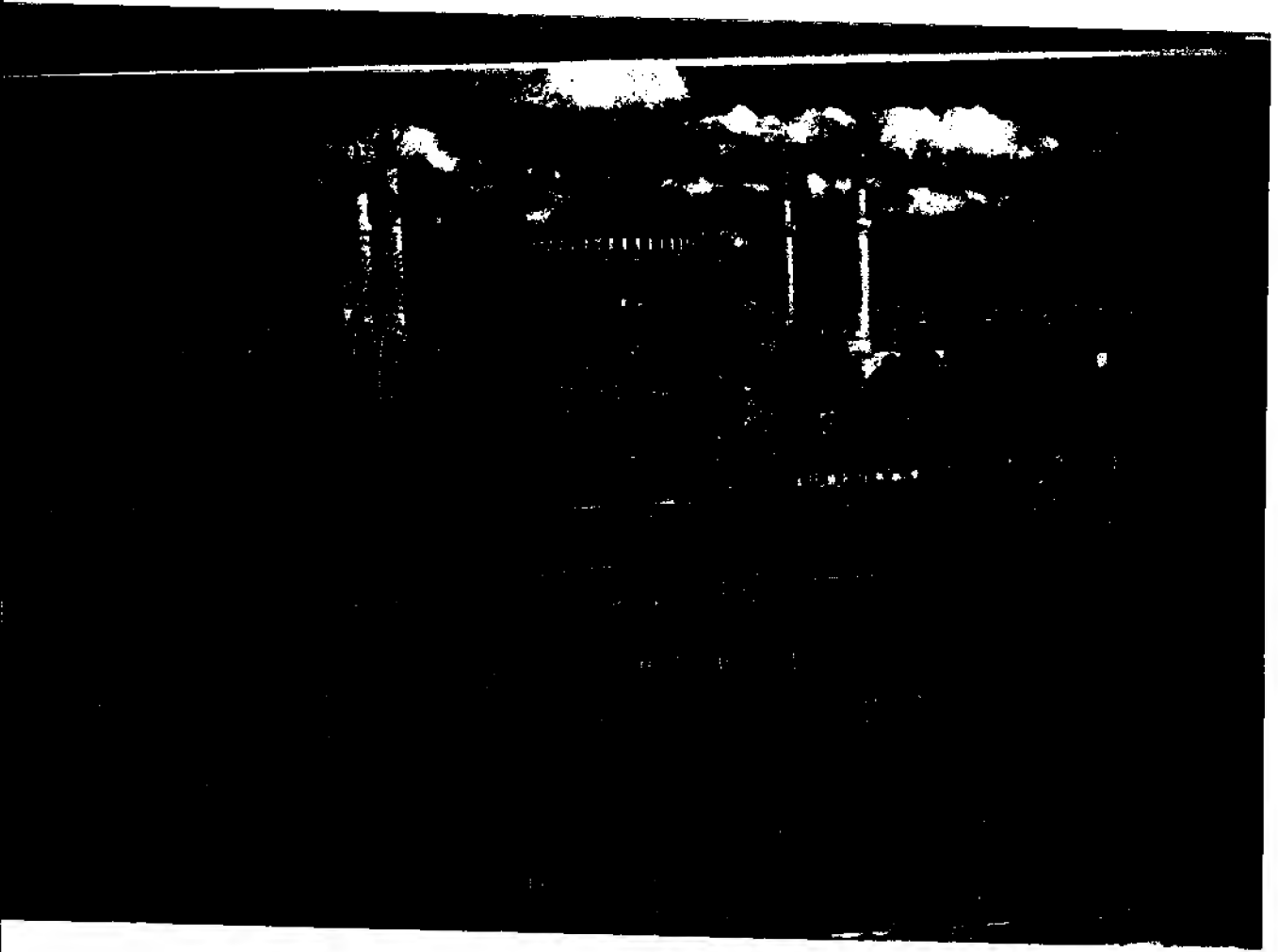
(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .

إلى مساجد وبنيت مساجد جديدة ، هذا ونلاحظ أن الجيش لم يتعرض لأموال الناس كما أنهم لم يتدخلوا في شئونهم التجارية ، أما البلاد المتمردة فقد أغاروا عليها وأخذوا منها الأسرى ومثيري الفتنة .^(١)

ومن سلاطين آل عثمان الذين كانت لهم إنجازاتهم في داخل القسطنطينية وفي البلاد الأوروبية السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح فبعد الفتح الكبير والإنجاز العظيم الذي حققه بفتح القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد اتخذ منها مقراً لحكمة ، وأطلق عليها إسم إسلامبول ، وعمل على تحويل كنسية آيا صوفيا لتصبح جامع العاصمة الرئيسي ، وعمل فيها بعض التعديلات حيث قام بتغطية روائع الفسيفساء الذهبية التي كانت تزين العقود وتمثل الفن البيزنطي قام بتغطيتها بطبقة من الكلس ، أما القبة فقد أدخلت على تصميم البناء الكنسي بواسطة محراب ، وضع وسط جناح الكنيسة الجنوبي، وقد أقيم المنبر على عمود الكنيسة الجنوبي والشرقي ، وقد أنشأت من الخارج أربع مآذن رفعت أواها في عهد السلطان الفاتح ، ثم أضيفت الثلاثة الأخرى في عهد السلطان سليم الثاني وخلفائه . (أنظر الشكل ص ٥١) كذلك أنشأ السلطان الجامع المسمي باسمه (جامع محمد الفاتح) أو (الجامع المحمدي) في قلب العاصمة وعهد بإنشائه إلى المهندس اليوناني خريستو دولوس وقد بدأ العمل فيه من (٨٦٨ - ٨٧٤ هـ / ١٤٦٣ - ١٣٦٩ م) . وكان هذا الجامع تحفة معمارية ، ومن أروع آثار العثمانيين في فن العمارة التي تشهد باهتمام آل عثمان بيوت الله وقد هدمت الزلازل الجزء الأصلي من البناء ، والجزء الداخلي تعلوه قبة مركزية تقوم

(١) أحمد رفيق : بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٢ .

(٢) فتح جليل قسطنطينية ، ص ٧٥ .



* مسجد آيا صوفيا •

كان فى السابق كنيسة حيث أنشأت عام ٢٣٤م ثم احترقت وقام الإمبراطور الرومانى جوستينيان ببنائه بالشكل الذى هو عليه الآن ،وقد تحول إلى مسجد على يد السلطان محمد الفاتح عند فتحه للقسطنطينية عام ٨٥٧ هـ /

١٤٥٣م •

أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية •

على أربعة أعمدة بين أربعة من أنصاف القباب المتماثلة في الإتساع وتظلل الزوايا أربع من القباب أصغر حجماً ، ويدخل الضوء إلى الجزء الداخلي من صفوف النوافذ الستة القائم بعضها فوق بعض وهنالك مشذنتان ، ويلحق بالجامع المدارس والحمامات وخان لنزول الغرباء ، وداراً للعجزة ، ومستشفى ، وإلى يمين الباب الرئيسي لوحة من الرخام كتب عليها بأحرف من ذهب الحديث النبوي (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش) ، هذا بالإضافة إلى عشرة مساجد بناها السلطان في أنحاء مملكته ، كما قام ببناء مسجد قرب قبر أبي أيوب الأنصاري الذي لاقى وجه ربه أثناء حصار الجيش الأموي للقسطنطينية وتعلوا هذا المسجد قبة ، كما عمل السلطان على إعادة ماتهدهم من أسوار القسطنطينية وبنى قلعة الأبراج عام (٨٥٩هـ / ١٤٥٤م) كما قام ببناء قصره على ربوة مرتفعة داخل المدينة ، وبنى قصراً آخر على بحر مرمرية . (أنظر ص ٥٣)

واهتم السلطان الفاتح بالأسطول إهتماماً عظيماً خاصة وأن تلك الفترة تقتضي النزول إلى ميدان المنافسة البحرية مع الدول الأخرى ، فقام ببناء داراً لصناعة السفن وتطويرها ، وأنشأ مدرسة القصر والتي تعد

-
- (١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٤٧ .
 - (٢) محمد كامل الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤١ - ٤٤ .
 - (٣) البخاري ، التاريخ الكبير ، المجلد الثاني ، القسم الثاني من الجزء الأول ، ص ٨١ ؛ صحيح مسلم ، ج ١٨ ، ص ٢١ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ .
 - (٤) إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية البيزنطية الرومانية وسقوطها ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .
 - (٥) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

اسطنبول سور

في ليلة قوسى آرمينية وكنزى حين عاصمته

في ليلة قوسى آرمينية وكنزى حين عاصمته

في ليلة قوسى آرمينية وكنزى حين عاصمته

* سور اسطنبول :

صورة عن سور اسطنبول الواقع بين طوبقيو وأدرنه قابو، وان هذا القسم من السور قد اتخذ مكاناً للهجوم عند محاصرة اسطنبول، وقد أصيب بالضربات والهجمات . والصورة تشير إلى هذا القسم من السور .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

نموذجاً رائعاً للمعهد العالي وظلت هذه المدرسة تقوم بعملها حتى القرن العشرين ويتلقى الدارسون بها اللغات والأدب والفنون العسكرية والموسيقى والقانون والألعاب الرياضية .^(١)

بعد استكمال استعدادات تقوية الجيش واصل السلطان فتوحاته الموفقة في البلقان من أجل نشر الإسلام . فاستولى على كل من المورة والصرب ، والبوسنة ، وهدد المجر والمانيا ، وإيطاليا ، ودانت لــــه طرابزون والقرم في آسيا .^(٢) وقد جهز السلطان محمد الفاتح جيشاً سار به إلى البغدان عام (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) فخاف رئيسهم وهرب ، فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر ، وأجبر استيفان على دفع الجزية ، كما أنه عام (٨٨٥ هـ / ١٤٥٤ م) حاصر رودس ثلاثة أشهر ولكنه لــــم يوفق لحصانتها .^(٣)

أما السلطان بايزيد الثاني فقد ابتدأت في عصره علاقات الدولة العلية مع أوروبا ، حيث وصل في عهده أول سفير روسي (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ومعه جملة من الهدايا للسلطان ، وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حصل على امتيازات للتجار الروس داخل الدولة العثمانية ، وابتدأت في عهده الاتصالات مع مملكة بولونيا ، والبابا اسكندر السادس ، وملسك نابولي ، وجمهورية فلورنسا ، وقد عني بايزيد بالإنشاء والتعمير ، حيث أنشأ المباني العامة الضخمة ، ومد شبكة الطرق ، والجسور في طول

(١) الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) موفق المرجه ، صحة الرجل المريض ، ص ٤٠ .

(٣) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

الدولة وعرضها مستعيناً بالمهره من الصناعات اليونانيين والبلغار ، وقد يسرت هذه الشبكة من الطرق الإتصال بين أنحاء الدولة ، ومن آثاره العمرانية المسجد الذي يحمل اسمه والذي شيده تجاه السرايا القديمة في استانبول ، ويمتاز بالفخامة ، وبزخرفته على الطريقة الفارسية ، حيث تحيط به من الجهات الأربعة عقود مصنوعة من الرخام الأبيض والأسود ، قائمة على أعمدة من الزبرجد والمرمر الأخضر ، وتعلوها سقائف مقببة فخمة في وسط الصحن وترتفع على عدد من الأعمدة ، وللمسجد أربع عشرة (١) أبواب خارجية على الطريقة الفارسية وبه عدد من المآذن .

وسارت مسيرة سلاطين آل عثمان في التقدم في البلقان بهداف نشر الإسلام ، ولم يكن هدفهم التسلط والطغيان ومن هؤلاء السلاطين السلطان سليمان القانوني ، فقد أتاح له الأسطول القوي الذي جرى تشييده خلال ربع قرن ، أتاح لسليمان سلاحاً جديداً يمكنه من التصدي لأعدائه براً وبحراً ، بالإضافة إلى أن ضم السلطان سليم للبلاد العربية في المشرق وفرت لسليمان مصادر دخل وفيرة وهيبة كبيرة في العالم الإسلامي بحيث استطاع أن يمل بدولته إلى قمة الإزدهار والعظمة ، مما جعل الأوروبيين يخلعون (٢) عليه لقب العظيم ، حيث ابتدأ حكمه بإقامة العدالة وذلك بالتوسع في تنظيم المحاكم ، وفرض على رجال البوليس والمفتشين التأكد من إطاعة أحكام المحاكم وقوانينها ، وإعادة تنظيم الإدارة ، وقد شهدت فترة حكمه الطويلة إصدار القوانين ، التي حددت كيان الحكومة وحقوق وواجبات كل أعضاء الطبقة الحاكمة والرعايا ، وهذا هو السبب الذي

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٥٨ - ٥٩ .

(٢) برنارد لويس ، استانبول وحضارة الخلافة ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) أحمد دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(١)

من أجله أطلق عليه لقب القانوني .

وقد كرس السلطان سليمان معظم جهده للقيام بسلسلة من الحروب من أجل التوسع في نشر الإسلام ففي عام (٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) تمكن من فتح بودا العاصمة المجرية ، وولى صلاة الجمعة في إحدى كنائسها التي تحولت إلى مسجد ، كما ألحقت هنغاريا بالدولة العثمانية بعد الانتصار الذي حققه السلطان في معركة موهاكس عام (٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م) ، وعقد (٢) إتفاقية مع البندقية ، كما تمكن من الاستيلاء على جزيرة رودس عام (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م) ، حيث كان قراصنتها يهاجمون السفن الإسلامية التجارية ، وسفن الحجاج المتجهين للأماكن المقدسة ، وباستيلائه عليها أمكن تأمين تحركاته وأملكه في شرقي البحر المتوسط . (٤)

وفي عهده تمكن خير الدين بربروسا رئيس البحرية من الاستيلاء على عدة جزر واقعة على حدود إيطاليا ، ثم سار السلطان ومعه ابنه مصطفى وسليم إلى مدينة وان واستولى عليها سنة (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) وبعد ذلك عاد إلى اسطنبول . (٥)

ومن أروع آثاره المعمارية جامع السلمانية الذي أنشأه في إحدى أجمل مناطق اسطنبول ، وقد وضع الأساس لهذا الجامع في عام

Halil Inalick, Op, Cit., P, 35. (١)

Ibid. P, 36 . (٢)

محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٩٦ ، ٢٠٢ . (٣)

Halil Inalick, Op, Cit., P, 36. (٤)

يوسف آصاف ، سلاطين آل عثمان - ٢ - ، ص ٨٧ - ٨٨ . (٥)

(٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م) حيث شرع في إنشائه المعماري الكبير سنان باشا ، وبذل فيه قصارى جهده بعد أن تعهد للسلطان بإتمام الجامع في مدة قصيرة لاتتجاوز الشهرين ، وحتى يعمل على سرعة الإنجاز فقد قام بتوزيع الأعمال ، فمن العمال من يقوم بالبناء والتشييد ، والبعض الآخر يقوم بالأعمال الفنية والزخرفية الخاصة بالمسجد ، ومن أبرز أجزاء المسجد المنارات حيث يوجد به أربع منارات بنيت مناسبة لعظمته تنقسم المنارات إلى قسمين منارتا الجامع ومنارتا الحرم ، كذلك هناك الفناء الداخلي الواسع الذي يحيط به الرواق ذو الثمان والعشرين قبة وتستقر أقواس القبة على أربعة وعشرين عموداً ، ووسط الفناء الداخلي مجمع حجري لتقسيم المياه ، وإلى جانب الفناء الداخلي هناك الفناء الخارجي الذي يفتح على إحدى عشر باباً ويحمل كل باب اسماً خاصاً به مثل باب المرعي ، وباب القصر القديم ، وباب المكتب ، وباب السوق ، وباب كبير الحكماء ، وباب العمارة ، وباب القبة ، وباب الأغا ، وباب الحرم ، وللغناء الداخلي ثلاثة أبواب ، أحدها رئيسي والإثنان جانبيان ، أما الدخول إلى داخل الجامع فبواسطة ثلاثة أبواب ، وهناك بابان آخران أحدهما على يمين المحراب والآخر يسارة وهذا يستخدم للمعود إلى مقصورة السلطان والآخر لخروج الإمام ، ونحتت هذه الأبواب غاية في الجمال ، وقد كتب على الأبواب والنوافذ آيات وأحاديث ، ويضاء المسجد عن طريق مائة وثمان وثلاثون نافذة ، أما القبة الرئيسية للجامع فتستند على أربعة أعمدة كبيرة وتسمى أرجل الفيل أما أقواس القبة فهي متكئة على أربعة أعمدة وقد بني المحراب والمنبر من المرمر ، أما القسم الواقع إلى يمين المسجد فيستخدم كمكتبة نقلت إليها الكتب من المكتبة العامة .

(١) سليمان ملا إبراهيم أغلو، جامع السلیمانیة إنشاؤه وخصائصه، ص ١٣، ٢٣.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٤٢ .

(أنظر الشكل ص ٥٩) .

ويتضح إهتمام السلطان سليمان بنشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا، عندما شرع في بناء إثنين وثمانين جامعاً كبيراً، وخمسين مسجداً صغيراً، وخمس وخمسين مدرسة، وسبعة معاهد لتحفيظ القرآن الكريم وسبعة جسور وثلاثين مقراً، وثمانية خانات، وخمسة متاحف، وثلاثة وثلاثين حماماً موزعة في جميع أنحاء مملكته .
(١)

لم يقتصر الأمر على ما قام به السلاطين من العمل على نشر الإسلام عن طريق الفتوحات، وماشيدوه من المساجد والمعاهد الدينية في البلقان، بل كان للجيش الإنكشاري - الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية - دور في نشر الإسلام في تلك الأمقاع، فقد شهدت العقود الأولى للدولة العثمانية دخول أعداد كبيرة من البيزنطيين والأرناؤط والسلاف في الإسلام، وقد حرص العثمانيون على معاملة هؤلاء المسلمين الجدد معاملة حسنة وفتحوا المجال أمامهم لمشاركتهم أعباء الجهاد في سبيل الله، والعمل على نشر الإسلام، وإدارة الدولة دون أي قيود، ولم يكن لانتماهم العرقي أو القومي السابق أي تأثير يمنع ارتقاءهم في مناصب الدولة العسكرية، حيث كان الهدف من إنشاء هذا الجيش الإسلامي، مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين وفتح المزيد من أراضيهم بهدف نشر الإسلام فيها والاستفادة من البيزنطيين والأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام، ففي نشره بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية وجهادية، ورسخت في قلوبهم مبادئ الإسلام سلوكاً وجهاداً .
(٢)

(١) بروكلمان، تاريخ الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ج ٢، ص ٧٢ .
(٢) زيادة أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص ٦٠، ١٥٤ - ١٥٥ .



• صورة لجامع السلیمانیة - باسطنبول

كما أنه مما ساعد على إزدياد إنتشار الإسلام في تلك المناطق من أوروبا ، هي السماح الدينية للإسلام ومعتنقيه من العثمانيين الذين ساروا على سيرة من سبقهم من الفاتحين المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأمورية والعباسية هذه السماح مهدت لدخول تلك الشعوب في الإسلام .^(١)

هذا ونلاحظ أن العثمانيين ساروا في نشرهم للإسلام بين تلك الشعوب المسيحية على مانمت عليه الآية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين قسداً تبين الرشد من الغي ﴾ (سورة البقرة : آية ٢٥٥) .

فالعثمانيون لم يكرهوا أحداً من تلك الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لهم الحرية الدينية فمن أراد البقاء على دينه لم يصبه أذى ، ونتيجة لهذه السماح ، فقد دخلت أفواج كثيرة منهم في الإسلام ، وقد سارع الكثير من الإغريق والذين أصبحوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية يسارعون في الدخول إلى الإسلام واعتبروا العثمانيين منقذين لهم مما كانوا يلاقونه من الإضطهاد البيزنطي الذي كان واقعاً عليهم .^(٢)

إن الدولة العثمانية هي أول دولة في العصر الحديث تأخذ بهذا المبدأ - وهو كفالة الحرية الدينية لمنسوبيها - باعتباره الدعامة الأساسية لقيام الدولة ، وهذا جعل كل من المسلم والمسيحي يعيشان

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .
 (٢) توماس وأورنولد ، الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، مترجم ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار الخفية ، ص ٧٠ .

(١) في وثام في ظل الحكم الإسلامي مما ساهم بطريقة فعالة في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي .

ولو قارنا بين هذا التاسمح الديني وما لحق بالمسلمين من الإضطهاد الديني ومحاكم التفتيش التي دارت رحاها ضد مسلمي الأندلس ولم تنته الا باخراجهم من البلاد التي عمروها قروناً طويلة بسقوط آخر معقل لهم في الأندلس وهي مدينة غرناطة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) حيث اضطر المسلمون بعد ذلك إلى الخروج من الأندلس ، نظراً لما لحق بهم من الإضطهاد والتعذيب على أيدي مسيحي اسبانيا ، ولم يكتفوا بذلك بل أن المسيحيين أرغموا من بقي من المسلمين على التخلي عن دينهم وإسلامه ، ومن لم يرض أجبر على ترك البلاد واتجه إلى البلاد الإسلامية . (٢)

لم يكن الأوروبيون أقل تعصباً من مسيحي أسبانيا ، حيث صيوا جام حقدهم الأعمى على المسلمين في المشرق الإسلامي ، في حملاتهم الملبية المدمرة ضد الإسلام والمسلمين ، فعندما أستولوا على بيت المقدس قاموا بذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى سالست دماء المسلمين الشهداء حسب ماترويه المصادر التاريخية . (٣)

وقد قمت بهذه المقارنة لكي أوضح ماتمتع به المسلمون من سماحة ولين جانب لرعاياهم من الشعوب المسيحية التي دخلت تحت سلطانهم ، وعدم إكراههم أو اضطهادهم ، مما أدى بالتالي إلى إسلام

-
- (١) أحمد مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .
 (٢) عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٢ .
 (٣) شبيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٢٨ - ٢٣٩ .

الكثير منهم ودخلهم في الإسلام ، في مقابل ما قام به مسيحي أسبانيا
وأوريا ، من التعذيب والتنكيل بالمسلمين ، لحقدهم الدفين على
الإسلام والمسلمين •

أما عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية فقد كان الوضع السياسي في البلقان ، مرتبطاً مع الوضع الجغرافي ، فإن الجبال فسي البلقان لم تكن عائقاً أمام التقدم العثماني ، ومرور الجيش ، كما أن وجود الأنهار ساعد في الوصول إلى وادي الدانوب ، مما سهل على العثمانيين بعد ذلك الوصول إلى بلغاريا ، ووسط أوروبا ، حيث تحركوا بعد ذلك بسهولة إلى البحر الأسود ، ومولدافيا ، وولاشيا ، كما أن الدفاع عن تلك الأراضي يحتاج إلى الوحدة السياسية ، والعسكرية ولم يتوفر ذلك للبلقان في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث كان النزاع والتنافس بين أمراء البلقان على أشده (١) ومن الطبيعي جداً أن يتجه العثمانيون نحو شبه جزيرة البلقان ، في عهد مراد الأول حيث كان عدد من صغار الحكام - لايكاديحي - يتنازعون السلطان ، ويفني بعضهم بعضاً ، في حروب متواصلة ، فسار مراد إليهم وشن هجوماً ساحقاً فتساقطوا واحداً إثر الآخر ، في قبضة الجيش العثماني ففي عام (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) فقد البيزنطيون أدرة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للعثمانيين حتى سقوط القسطنطينية ، كما أن اختلاف صقالبة (٢) البلقان ، وتفرق حكامهم ساعد في تغلب العثمانيين عليهم حيث استولوا على كل من صوفيا ، ونيس عام (٧٨٧ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٥ - ١٣٨٦ م) وأكمل بعد ذلك خير الدين فتح مقدونيا ، من غاليبولي واستولوا على سالونيك (٣) وقد التقى العثمانيون في عام (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م) بالقوات المربية ،

(١) Norman Itzkowitz. The Ottoman Empire, P, 13.

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

تويعدها جيوش البشناق والمجر والبلغار والألبان ، وكان السلطان مراد على رأس تلك الجيوش العثمانية ، والتقى بالنمارى فى معركة قوصوه ، حيث استشهد السلطان العثماني وأكمل ابنه بايزيد المعركة وانتصر وأسر ملك المرب ، وفي عام (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م) فقـسند البيزنطيون آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى مدينة الاشهر .^(١)

إن العثمانيين عندما بدأوا زحفهم نحو البلقان كانوا يحاربون أمماً أخرى ، من موقع إستراتيجي ممتاز ، لذلك حققوا تلك الإنتصارات ، وأن هذه الأمم لم تتمكن من إعداد قوة تستطيع عن طريقها الوقوف أمام قوة العثمانيين المتحمسين المزودين بأفضل آلات الحرب ، أضف إلى ذلك ماكان بين الدول الأوروبية من العداوة الشديدة ، ولم تستطيع دول البلقان وأوروبا - ذات التكوين الضعيف - الوقوف أمام القوة العثمانية ، وبالتالي انتصر العثمانيون على أرض المعركة ، ولم تتمكن أوروبا من تجنيد أربعين ألفاً لمحاربة القوة العثمانية ، وأصبح الجيش العثماني الإنكشاري أقوى الجنود الفعالة في أوروبا .^(٢)

أما الوضع الإقتصادي والإجتماعي لرعايا البلقان قبل الفتح العثماني لها ، فقد كان مضطرباً ، حيث كان السكان يعيشون حياة اجتماعية سيئة للغاية ، فقد كان الفلاح مضطهداً يئن تحت الضرائب الثقيلة والأعباء الإقتصادية المجحفة ، التي كان ملزماً بها من قبل البيزنطيين ، دون مراعاة لحالته الإجتماعية والإقتصادية ، لذلك فلم^(٣)

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101.

(٣) Norman Itzkowitz, Op, Cit., PP, 16 - 17 .

يكن هذا الفلاح يكن أي حب لطائفة الأشراف والأعيان ، فهم الجلادون في نظره ، يكرهونه على دفع الضرائب الباهظة للدولة ، دون شفقة ولارحمة أو تقدير للحالة المادية والمعيشية السيئة التي يحيهاها ، وإذا لم يوءد ما عليه من الزامات عومل بمنتهى القسوة والعنف ، وطرد ممن أرفه ، وصودر ما يملك^(١) لذلك فقد رحب هؤلاء الفلاحون بالنظام العثماني وانضمت شعوب البلقان تحت لواء الحكم العثماني ، ورفرف العدل فوق ربوعها ، وقد تمتع الرعايا النمساوي في البلقان بقدر واسع من الحرية الدينية ، وسمح لهم بالتحاكم بشريعتهم ، وانتعشت أحوالهم في ظل الحكم الجديد ودخل الملايين منهم دين الإسلام ، رغبة وطواعية ، وفضلت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم العثماني المسلم الإدارة الجديدة على الأوضاع التي كانت تعاني منها في ظل الإقطاع أو البيزنطيين أو البنادقة ومنذ البداية رحب العثمانيون بكل من يعتنق الإسلام ، ويلتحق من ثم بالجيش أو البلاط ، منحوه حق المواطنة المألحة ، وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي منحه العثمانيون لرعاياهم البلقانيين مغرياً حيث أقبل الكثير منهم على اعتناق الإسلام وفتحت أمامهم سبل الترقى إلى مناصب القيادة وتبوء أرفع المراتب فالمسلمون فقط الذين أمكنهم الإنتساب إلى سلك الجيش والخدمة في إدارات الدولة ، وكانت تدار في عهد السلطان سليمان القانوني أرفع مكاتب الدولة من قبل المدراء ذوي الأصل البلقاني^(٢) .

هذا وقد ضمنت الحكومة العثمانية لأهل البلقان الأمن على

(١) هريبرت فشر ، أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية

حتى الثورة الفرنسية ، ص ٢٧٤ .

(٢) على حسن ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٧ - ١٢٨ - ١٣١ .

الروح والممتلكات ، ومجىء العثمانيين لتلك البلاد يعني تحسن أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وخاصة من ناحية تحسين الطرق ومدها ، حيث امتدت الطرق التجارية البرية والنهرية من البلقان إلى اسطنبول ، وفي نفس الوقت ألغي استيلاء الإقطاعيين على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، وأعيد تقسيم الأراضي وتوزيعها على الفلاحين .^(١)

أما من الناحية الدينية ، فقد كان الصراع على أشده بين الكنيسة الشرقية والغربية ، كل منهما تعمل جاهدة من أجل إحكام سيطرتها على الكنيسة الإغريقية واللاتينية ، ففي العصور الوسطى كان الفرق واضحاً بين الشرق والغرب ، ففي الشرق أسلمت الكنيسة زمامها للبابطة الذين ازداد تدخلهم في شؤون الكنيسة فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين وسياستها الداخلية ، فكان الإمبراطور يجمع بين السلطتين السياسية والدينية ، أما في الغرب فان الوضع كان مختلفاً عن ذلك كثيراً ، لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسيم العالم الروماني ضعيفة لا تستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث في القسطنطينية ، وقد استمر هذا الصراع الكنسي بين الكنيستين كل واحدة تحاول فرض سيطرتها على الأخرى ، وحياسة زعامة العالم المسيحي ، وهذا العداء تسبب في قدوم العثمانيين إلى البلقان والسيطرة عليها ، أضف إلى ذلك العداء والخصومة بين كل من فرنسوا الأول ، وشارل الخامس فقد أدى ذلك إلى تثبيت مركز العثمانيين وتوسعهم وتقدم فتوحاتهم نحو أوربا ،^(٢) وفي ظل الأوضاع الجديدة والحكم العثماني للبلقان ، تمكن

Raphaela Lewis. Everyday life in Ottoman Turkey. (١) P, 180.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) هيربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٢٧٣ .

الرعايا النصراني من الانتقال بسرعة وسهولة ويسر إلى صف الفئة الحاكمة ،
أما الذين يرغبون في الاحتفاظ بعقيدتهم فيبقون خاضعين للتنظيمات
المذهبية النصرانية السائدة لدى الشعوب العثمانية غير المسلمة .
(١)

وقسمت الطوائف وفقاً للتنظيمات العثمانية إلى خمس طوائف ،
أو جاليات دينية ، على أساس الملة ، وأطلق عليها (ملة) وتمتعبت
بالحقوق المدنية والدينية الكاملة ، وبخاصة اليونان ، وهذه الطوائف
هي : الأرثوذكس ، الأرمن ، الأغريقيون ، الرومان ، الكاثوليك ،
والبروتستانت ، واليهود ، وخضعت كل مجموعة لإشراف وتوجيهات رؤسائها
الدينيين ، حيث كانت غالبيتهم الساحقة تعتنق الأرثوذكسية ، ورئيسهم
الديني والمدني مقره القسطنطينية ، كذلك مركز اليونان في القسطنطينية
وللبلغار مطرانيته في (أوهريد) * أما سكان رومانيا فلمهم مؤسسة
قومية مشابهة ، أما مركز الرئيس الديني أو البطريق الخاص بالصرب
في مدينة (بيج) بالقرب من جنوب غرب مقدونيا اليوغسلافيا .
(٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه مما دفع بالعثمانيين إلى الاتجاه
بفتوحاتهم نحو أوروبا ، إنما هو قوة الإيمان والعمل على نشر الإسلام
وماتمتمعوا به من القوة وحياسة الأسلحة والعتاد ، وعزيمة الرجال ،
ومهما حاول بعض المؤرخين الأوروبيين من إرجاع إنتصاراتهم في أوروبا

(١) على حسن . العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٨ .

(*) أوهريد : مدينة يوغسلافية تقع جنوبى جمهورية صربيا . (على

حسن ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٩) .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

إلى تصدع البنيان السياسي وتفككه وانهيار الناحية الإجتماعية والإقتصادية لشعوب البلقان ، إضافة إلى الخلافات الدينية والمذهبية مهما حاول أولئك المؤرخون أمثال ربنسون ، وبروكلمان ، وفشـــــر فان هذا لا يصدد أمام الحقيقة في أن سيطرة العثمانيين على تلك المناطق أدت إلى انتعاش الحالة الإقتصادية ، والإجتماعية وإقرار الأمن والقضاء على التوتر الديني ، بما كفله الإسلام من الحرية الدينية ، لذلك فضل أهالي البلقان الحكم العثماني على حكـــــم البيزنطيين ، لما لمسوه من حسن المعاملة والإستقرار والطمأنينة .

وحقيقة الأمر أن اتجاه الدولة العثمانية نحو أوربا لم يكن يهدف الأطماع أو استغلال الضعف السياسي والتفكك القائم فيها آنذاك ولكن الهدف الحقيقي هو نشر الإسلام ، ومقاومة كل من يقف في طريق ذلك وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يتقدمون ، وينتصـــــمرون ، ويحققون ما وصلوا اليه من فتوحات عظيمة ، وصلت إلى فينا في عهد السلطان القانوني . والقائلين بأن انتمار العثمانيين يرجع إلى الضعف السياسي للأقاليم الأوربية في شبه جزيرة البلقان ، إنما يقدمون بذلك إيجاد التبريرات الواهية ليقبلوا من عظمة التقدـــــم الإسلامي في بلادهم .

رأينا من الصفحات السابقة الوضع في المناطق الأوربيسة،
وستحدث هنا عن النظم التي قامت بها الدولة العثمانية في تلك
المناطق ، فلقد اشتهر الأتراك بنظامهم الإداري الجيد ، الذي ارتكسز
أساساً على العنصر التركي ، ولكن عندما تحولت الدولة إلى الإسلام
تكونت طبقة حاكمة جديدة ، ليس على أساس رابطة الدم فقط ، بل على
أساس رابطة العقيدة ، التي هي أقوى الروابط ، وقد أصبحت هذه
الطبقة الجديدة في خدمة السلطان ، ومع مرور الأيام وكثرة الحروب
عظم شأنها ، وإن غير الأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل تفوقاً
من الأتراك ، وسموا أنفسهم بالعثمانيين إحتراماً لسلالة عثمان،
وعلى رأس هذه الطبقة السلطان العثماني الذي كان يعمل من أجل المصلحة
(١)
العامة .

في عهد كل من عثمان وأورخان ومراد كان الحاكم يلقب
(بيه) ، أما في عهد السلطان بايزيد فقد تغير اللقب إلى سلطان
وخان ، وكان السلطان يهتم بالعادات التي تقربه من شعبه ، ولكن بعد
اتساع الدولة أصبح السلطان لا يرى إلا نادراً .
(٢)

أما مجلس الوزراء فقد كان يتكون من الوزير الأول ، وقاضي
اسطنبول ، وقائد الجيش ، ومدير الخزينة ، وغيرهم ، وكان هذا
المجلس يقدم النماذج للسلطان .
(٣)

أما بالنسبة للإدارة العثمانية فكانت الفروع المدنية

Robinson - Stewart, Op, Cit., PP, 104 - 106. (١)

Ibid. PP, 101 - 108 . (٢)

Ibid. PP, 108 - 109 . (٣)

والقضائية والعسكرية متداخلة بعضها في بعض ، وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات وسناجق ، وكان رؤساء الولايات والسناجق هم من الضباط العسكريين ، كذلك من يحيط بهم الحاشية ، وفي حالة الحرب كانوا يقودون الجيش ليساندوا رؤساء الإقطاع ، وعلى درجة أعلى من بهاتوات الأناضول، وفي حالة سحب الثقة من قادة الأناضول وروملي ، كان هناك إثنان (*) مهمتهما قيادة الجيش يسموا (بيلربيك) .

ويتحدث البعض عن النظم العثمانية التي سادت في الأقطار الأوربية ، نظام ضريبة الغلمان (ديفشريم) ويعني أخذ الأطفال وجمعهم من الأقطار المحيطة بالدولة العثمانية ، وقطع أي صلة بينهم وبين ذويهم وإدخالهم في الإسلام ، لذلك لم يكن لدى هؤلاء الأطفال أي عاطفة أبوية أو وطنية ، والشيء الذي كانوا يتعلمونه هو الطاعة العمياء لسيدهم السلطان . (١)

ليس هناك في الشريعة الإسلامية ما يعرف بهذه الضريبة ، ضريبة الغلمان ، ولا إكراه في إدخال غير المسلم في الدين الإسلامي ، قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٢)

أما كلمة ديفشريم فهي كلمة تركية تعني الإسقاط أو السقوط وتطلق على المواليد حديثي الولادة ، والذين تجهض بهم أمهاتهم

(*) بيلربيك: أي أمير الأمراء أو سيد السادات، وهو لقب إداري وعسكري، ورثة العثمانيون عن الدولة السلجوقية والإمارة من الوظائف المهمة فسي التشكيلات الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية وقد استخدم هذا اللقب في عهد السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩هـ) (محمد فريد بك، الدولة العلية ، ص ١١٣) .

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 107 - 108 .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

فيخرجون أمواتاً ، أو على الذين تلدهم أمهاتهم سراً ثم يقذفون في الطرقات ، أو على أبواب الملاهي ، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طفل لقيط أو مشرد ، لأي سبب من الأسباب ، وحقيقة هذا النظام نظــــام (الديفشريم) ماهو سوى فرية مزعومة دست على السلطان أورخان ومراد ، والمقت بعد ذلك بالعثمانيين ، حيث لم يكن هذا النظام لإرغام النصرى على الإسلام وأخذهم بالقوة وإنما كان نظاماً إنسانياً ، أخذت الدولة على عاتقها بموجبه مسئولية رعاية اللقطاء والمشردين لأن الإسلام دين الرأفة والرحمة وهو الذى يدين به العثمانيون ويحترمون كما أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً الطريقة الغير إنسانية في انتزاع الأطفال من أحضان أمهاتهم وآبائهم ، وقطع أي صلة لهم بذويهم كما أنه ليس في الشريعة الإسلامية ضريبة تعرف بذلك .^(١)

لو صح عن هؤلاء الأطفال الذين انخرطوا فيما بعد في الجيش أنهم لم تكن لديهم الحمية الوطنية لو صح ذلك عنهم ، لما كان ماكان من تحقيق الانتصارات على الأوربيين في جميع حروبهم إبان قوة الدولة ، فليس ذلك الامحض افتراء ، للنيل من الدولة العثمانية ، التي حملت الإسلام خفاقاً نحو أوربا .

وهناك طبقة نشأت في وقت متأخر في عهد السلطان محمد الثاني وهي طبقة العلماء ، وقد لعبت هذه الطبقة دوراً كبيراً في الدولة الإسلامية .^(٢)

(١) زياد أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ الأتراك العثمانيين ،

ص ١٢٦ ، ١٢٨٠ - ١٢٩ .

Robinson, Op, Cit, P, 104 .

(٢)

وحقيقة الأمر أن طبقة العلماء نشأت منذ تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان ، حيث اعتمدت عليهم الدولة فسي تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي اتخذتها الدولة نبزاً ومنهج (١) حياة .

كانت مهمة العلماء في البداية محصورة كقضاة في الجيش ، ولكن في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ، لم يعد هناك منصب مستقل للمفتي ، بل تحولت مهامه إلى قاضي اسطنبول أو أي شخص آخر متعلم خاضع لسلطة الدولة . (٢)

إن مهمة القضاة لم تكن محصورة فقط في الجيش ، بل فسي جميع شؤون الدولة الدينية ، والمدنية ، كما أن القضاء لم يعط لأي شخص كما يذكر رينسون ، فإذا صح ذلك فاليهودي ، والمسيحي خاضعان لسلطة الدولة فهل يسوغ لهما الحق في أخذ منصب القضاء ، إن هذا المنصب لم يكن يعطى لأي شخص بل لعالم الشريعة العالم الورع التقى العالم بأمور الشريعة .

كما اعتمدت الدولة في الأمور الدينية على العلماء والقضاة فقد اعتمدت في أمور الحرب على الجيش الإنكشاري ، الذي يمثل القوة الضاربة للدولة ، والذي حقق الكثير من الانتصارات ، بالإضافة لهذا الجيش فقد كانت هناك قوة منظمة أخرى لاتقل أهمية عنه ، وهي قوة أمراء

(١) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦ .
Robinson, Op, Cit., P, 104.

(٢)

الإقطاع الذين كانوا يزودون الدولة بالجنود والمشاة والفرسان لينضموا إلى معسكرات الجيش ، ووصل تعداد الجيش إلى أربعة عشر ألف فارس ، وهي قوة كبيرة لم تستطيع أوروبا إعدادها ، وكان أصحاب الإقطاع يحصلون على إقطاعات دائمة ، والبعض الآخر على إقطاعات مؤقتة ، تعود للدولة بعد وفاة الإقطاعي .^(١)

إن البلاد المسيحية في ظل الدولة العثمانية ، قد ترك لأهلها الحرية الدينية ، وحرية الحكم الداخلي ، بشرطين هما : أن يدفعوا الجزية المطلوبة ، وأن يحترموا قوانين الدولة ، مع احترامهم لسيادة المسلمين وألا يظهرُوا أي احتقار أو عداوة ، كما أن الحكومة قد ضمنت لهم أمن الأحياء ، وأمن الممتلكات وحقوقهم الدينية . وإن مجيء الدولة العثمانية إلى شرق أوروبا كان يعني تحسن الأوضاع المعيشية وامتداد الطرق التجارية بينها وبين العاصمة اسطنبول .^(٢)

إن الدولة العثمانية لم تحاول صبغة الشعوب التي دانت لحكمها بالصبغة العثمانية ، أو ربطها بالحضارة الإسلامية ، وقد اتسمت سياسة الدولة بالسلبية في هذه الناحية وذلك لسببين : سطحية الحكم العثماني بحيث مارست الدولة نفوذها في نطاق ضيق ، والإستعلاء الذي كان سمة من السمات البارزة في الحكم العثماني ، واشترك الشعب في هذه السمة فكان الشعب والولاة على حد سواء .^(٣)

Robinson, Op, Cit., PP, 104 - 120. (١)

Rophaela - Lewis . Everyday Life In Ottman Turkey. (٢)
P, 180.

Ibid . PP, 108 - 113. (٣)

(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

أما وضع رعايا دول جنوب شرق أوروبا تحت الحكم العثماني من حيث الأنظمة ، فكان هناك نظام (الملل) ، ويقوم ذلك النظام على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفاً على أساس المذهب الديني لأولئك الرعايا ، ويطلق على كل مذهب ملة ولكل ملة رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية ، وله أتباع من رجال الدين المسيحي ، ولكل ملة من هذه الملل مدارسها الخاصة ، وأماكن العبادة والأديرة ، كما أنه لايتدخل أحد في ملتها، وقد أطلقت لهم الحرية الدينية وحرية التكلم باللغة التي يريدونها، ولكل ملة محاكم خاصة ، لاتستعمل فيها الا لغتها الأصلية ، وهناك محاكم أخرى تستعمل اللغة التركية، ويمكن رفع القضايا إليها اذا لم يرض المتهمون بأحكام المحاكم الكنسية ، لذلك كان هناك نوعين من الضرائب : الضرائب التي تجبها الحكومة المركزية ، وتلك التي يأخذها الرؤساء الروحيون .^(١)

ويمثل المسلمون في الدولة العثمانية الأكثرية ، ثم يليهم الروم الأرثوذكس، وباقي الملل الأخرى كاليهود والأرمن ، وسائر الطوائف المسيحية يعرفوا بالملة ، ورئيس الملة ، الديني يعتبر المسؤول الذي يتولى تطبيق الأحوال الشخصية على أفراد طائفته، ولم تطبق قوانين الزواج والطلاق والإرث والتبني الإسلامية على غير المسلمين ، بل كانت المحاكم المذهبية للنصارى واليهود تعني بهذه الأمور، وكان نظام الملة يطبق على الجاليات الأوروبية ،المقيمة في الدولة العثمانية^(٢)

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٢) ماري ملزباترك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٤) Stanford Shaw, History of the Ottoman Empire, PP, 151 - 152 .

(٥) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣٥ .

" وقد بلغ عدد سكان الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حوالي خمسين مليون نسمة ، وهو عدد ضخم في مقابل الدول الأوروبية ، والتي لم تكن تزيد على العشرين مليون في تلك الآونة ، فانجلترا نفسها لم يكن يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين (١) .

يورد صبحي بك معلم قسم الحربية في المدرسة الحربية العثمانية عن عدد سكان السلطنة العثمانية وأديانها فيقول :

ومن الملل غير المسلمة الأروام أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وكان عددهم مليونان ، ويدخل في هذا العدد المسيحيون الألبان، والعنصر الروماني ، الذي يدين بالتبعية للدولة العثمانية بعد فتح القسطنطينية ، ومسيحيوا الأناضول ، الذين يتكلمون اللغة التركية ، ومسيحيوا سورية ، واليونان الذين تميزوا عن العناصر السابقة لأنهم سكنوا البلاد اليونانية القديمة والأروام لاختلاطهم الأول بأقوام عربية حتى أنهم أضاعوا (٢) جنسيتهم اليونانية .

كذلك كان هناك المسيحيون أتباع الكنيسة الأرمنية وبلغ عددهم مليون ، ومن هذا العدد ستون ومائة إلى ثمانين ومائة ألف ، سكنوا الأستانة وسبعمائة ألف سكنوا الولايات الست الحاوية على ثلاث ملايين وسبعمائة ألف من السكان أما الباقون فكانوا متفرقين في أنحاء (٣) الولايات العثمانية .

(١) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٦٣ .

(٢) حقي العظم ، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ، ص ١٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٩ - ٢٠ .

أما العنصر السلافي فبلغ عدده في الولايات الثلاث أدرنة،
وسلافيك ومناستر خمسمائة ألف بلغاري ومائة ألف صربي، وعاش أكثر هذا
العدد على الفلاحة أو العمل عند أصحاب المزارع الواسعة من المسلمين،
واليهود وصل عددهم من ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف، وقطن هؤلاء المدن
والموانئ التجارية، مثل اسطنبول، وسلافيك^(١)، وإذا أضفنا إلى هؤلاء
أصحاب المذاهب المختلفة الذين سكنوا سورية مثل المارونيين اليعاقبة،
فإن عدد السكان المسيحيين واليهود كان يصل إلى سبعة ملايين ونصف،
ويطرح هذا العدد من سبع وعشرين مليون مجموع سكان الدولة العثمانية،
فإن المسلمين منهم وصل عددهم إلى تسعة ملايين ونصف (إحصائية عام
^(٢)
١٢٩٤ - ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م) .

أما الأجانب فكانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية إما
تجاراً، أو زارعين، في شروط خاصة ولأغراض معينة .^(٣)

وقد حافظت الدولة على حقوق الأجانب، وكان للمسلم حقوق
إعطاء الأمان لمن التجأ إليه من دار الحرب فرداً أو جماعة، وكان هذا الحق
للإمام والعلماء فقط، وكان للأجانب حق التجول في البلاد الإسلامية
كزوار أو السكن إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين، وكان لكل ملّة
من هذه الملل سلفة الذكر منظمات خاصة، مثل المنظمات التعليمية
والدينية والاجتماعية، والأمنية، وكان هناك المستشفيات، والمدارس

(١) Stanford Show, History of The Ottoman Empire , PP, 151 - 152 .

(٢) حقي العظم، تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان، ص ٢٠، ٢٧ .

(٣) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163 .

(١) والفنادق التي استمرت حتى القرن العشرين .

إن وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية
لهو دليل على التسامح الديني وسماحة الإسلام ، وإن وجود مثل هذا النظام
داخل الدولة العثمانية ، أتاح الفرصة للمسيحيين الذين عاشوا داخل
إطار السلطنة للتعرف على محاسن الإسلام وما كفله هذا الدين القويم
لأتباعه من الحقوق والواجبات ، وقد كان لهذا التسامح أثره العميق
في دخول آلاف المسيحيين في الدين الإسلامي ، والإقبال المنقطع النظير
للتمتع بعدالة الإسلام .

إن الدولة العثمانية استوعبت بداخلها كل هذه الملل
والأجناس ، وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به المسلمون من السماحة
الدينية ولين الجانب ، مما شجع الكثير من أهالي الشعوب المفتوحة على
الإنخراط في ظل الدولة العثمانية ، والتمتع بالمزايا الرفيعة العالية
التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية ، وفي ذلك إشارة ظاهرة
على عظمة الإسلام ومعتنقيه من العثمانيين .

ومن النظم العثمانية التي كانت في الأقاليم الأوروبية ، نظام
التيمار ، فقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح البلقان تترك إدارة (٢)

(١) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163

(٢) التيمار : كلمة فارسية معناها كل ما يعطى للمريض أو الحيوان
أو حتى للأرض والنباتات من موعونه أو عناية ، وأطلق هذا
اللفظ على أراضي الدولة التي كانت تعطى للجنود والفرسان
ليعيشوا منها .

(محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٢) .

الأراضي للمزارعين على أن يقوموا بإعداد عدد معروف من الجنود يلحقون بالجيش العثماني ، وكان هؤلاء المزارعون من أسر نبيلة ، أو من الأمراء (١)
المعروفين بشخصيتهم واستقلالهم .

لقد استطاع العثمانيون التخلص من حكم الأمراء تماماً ، وضموا الأراضي المفتوحة إلى دولتهم ، ومن القيادة المباشرة تولد نظام التيمار في الأراضي المفتوحة ، هذا وقد كان صاحب التيمار مسؤولاً وظيفته تحت مراقبة أمير المنطقة ، وبهذا النظام التيماري عمل العثمانيون على إيجاد طبقة موالية للسلطان العثماني ، تساعد وقت الحرب بتقديم الجيش ، وفي السلم بالمحافظة على الحدود . (٢)

وكان التيمار ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، على حسب الضرائب التي كان يجمعها والعمل الذي يقوم به ، وإيراد التيمار لا يزيد عن ١٩٩٩٩ آقجه سنوياً ، وكان ذلك يعطى للفرسان الذين يقومون بمهمة الحرب ، ويتميزون بتلك الأمور أو غيرها وينتجون من ٢٠.٠٠٠ إلى ١٩٩٩٩ آقجه سنوياً ، ويطلق عليهم زعامات ، ولهم دور كبير في الحرب ، ولهم مكانة عالية لدى الأشراف والطبقة الأولى ، أما الذين يأخذون ١٠٠.٠٠٠ آقجه يطلق عليهم خاص ، وهؤلاء لخدمة السلطان ، وحواشيه ، ويطلب منهم خدمة الجيش مقابل ذلك الإيراد ، ومن واجب أصحاب التيمار تربية الخيل ، وتجهيز الجيش ، والأكل ولوازم أخرى . (٣)

ومن النظم العثمانية الأخرى نظام الديوان ، والمـ

Norman. Op, Cit., PP, 14 - 15 . (١)

Ibid., P, 15. (٢)

Stanford - Show Op, Cit., P, 125 . (٣)

بالديوان هو المكان الذي تحفظ فيه القرارات ، والسجلات الخاصة بالدولة ، وفي القرن السادس عشر كان الديوان يتألف من قسمين رئيسيين :-
 هما مكتب دوائر الديوان الملكي ، ودوائر المالية ، وثلاثة مكاتب للإدارة المركزية . المكتب الأول يعرف باسم مكتب الديوان ، ويهتم بجمع وترتيب المخطوطات وترتيب الملفات والمعاملات المالية التي تحوي المعاهدات والإمتيازات الأجنبية (مثل وزارة العدل في الحكومات الأوروبية) . والمكتبان الآخران للديوان فيهتمان بأمور الموظفين المحليين ، مثل الولاة وأمراء اللواء ، ويقومان بتسجيل الموضوعات المتعلقة بتخصصات الإقطاعيين . وكان الرئيس الرسمي للديوان يسمى برئيس الكتاب ، وقد تطور هذا المسمى إلى رئيس سكرتاريا في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي كموظف يهتم بالعلاقات الخارجية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي ، سمي هذا المكتب بوزارة الخارجية ، وقد كانت هناك الكثير من المكاتب الإدارية التي بلغت خمسة وعشرين مكتباً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانت تلك المكاتب تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالإيرادات والمصروفات ، الإيرادات التي كانت تجمع من الضرائب والزكاة وضريبة المرور على الجسر ، أما المصارف كانت تصرف للرواتب ومصاريف الدفاع .^(١)

إن الأتراك الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين لم يكونوا في يوم من الأيام متوحشين ، بل كانوا ورثة حضارة قديمة ورفيعة وهي حضارة الإسلام العتيدة ، والتي هم أنفسهم أضافوا إليها قدراً غير يسير ، فكان الفن المعماري السلجوقي والعثماني يمتاز بتقليد رفيع ، وقد كان العثمانيون يملكون المهارة والمصادر لصيانتها وتحسينها ، ولما كان الإسلام يحرم الصور الإنسانية ورسمها في المساجد لذلك ستر العثمانيون فسيفساء آيا صوفيا (الجامع الشهير) الذي غطي بطبقة (١) من الجص الرمادي اللون .

ومن كان له مثل هذه الأعمال والإنجازات في العديد من المجالات السياسية والحضارية ، فليس صحيحاً ما نسب إليهم وإلى السلطان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية أنه أباحها لجنده ثلاثة أيام ، فليس هذا من أخلاق المسلمين وطبايعهم ومثل ذلك يرفضه الإسلام .

هذا ما كانت عليه النظم العثمانية في الولايات الأوربية ، وسنرى في الصفحات القادمة أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام .

(١) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ١٣٥ .

(٢) أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم

مع العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

لقد امتاز المسلمون الفاتحون منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى عهد الخلفاء السراشدين بالسماحة الدينية ، والحرية الدينية ، والإعتدال في فرض الضرائب ، وحصرها في حدود معينة ، وهذه السماحة والإعتدال مهد للمسلمين سبيلهم إلى تأييد الشعوب المفتوحة لهم ، بل تعدى ذلك إلى معاونتهم الفعلية في محاربة الدولة الرومانية الشرقية .

ولقد كان فوز الإسلام في مصر والشام أسرع وأيسر عنه فسي أي بلد آخر ، وذلك أن النصرانية فرضت على أهلها بالسيف والنار ، ثم أن العسف والإرهاق والمصادرة الدينية ، كل هذه الأمور أدت إلى أسوأ الأطوار والإنحلال السياسي والفوضى الإجتماعية ، فكان الإسلام بسماحته هو الظافر المرجح ، كما أن ضروب العدالة والتعفف التي اقترنت بسياسة المسلمين الأوائل كانت حجة قائمة على جور تلك الحكومات .^(١)

ولقد سار الأتراك العثمانيون في نشرهم للإسلام بين الشعوب المسيحية على مانت عليه الآية القرآنية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين ﴾^(٢) قد تبين الرشد من الغي ﴿ فهم لم يكرهوا أحداً من الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لمن أراد البقاء على دينه الحرية في ذلك ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة في نشر الإسلام فقد دخلت أفواج عديدة في الإسلام .^(٣)

نلاحظ على الرغم من أن الاغريق كانوا يفوقون الأتراك عدداً

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .

(٣) توماس وأرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .

في الولايات الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، فقد كانوا يسارعون في الموافقة على تغيير سادتهم وإثارة سيادة السلطان على أية سيادة مسيحية ، وكان العثمانيون يلقون ترحيباً كبيراً في كثير من الولايات المسيحية ، وكان الإغريق يعدونهم مخلصين لهم من حكم الفرنجة المستبد فقد صير أهل البندقية الشعب في حالة من العبودية يرثى لها، لإدخالهم نظام الإقطاع في اليونان ، وكانوا مكروهين من قبل رعاياهم ، لاختلافهم عنهم في اللغة والجنس والعقيدة ، بالإضافة لسوء المعاملة ، ووجد هؤلاء الرعايا في العثمانيين تخليماً لهم مما هم فيه ، نظراً لحسن المعاملة التي أبداها العثمانيون لهذه الشعوب في المجر، وترانسلفانيا فقد آثروا الخضوع للعثمانيين على الوقوع في يد أسرة هابسبورج (١) المتعصبة .

كذلك نلاحظ تطلع أقوام في إيطاليا بشوق عظيم إلى الترك، لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يشعرون من التمتع بها في ظل أي حكومة مسيحية ، ولقد رأى الأتراك أن أعظم هدية يقدموها لأي فرد هي هدايته إلى الإسلام . لذلك لم يتركوا وسيلة من الوسائل للترغيب في الدخول إلى الإسلام إلا اتبعوها ، يحدثنا هولندي عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي أنه بينما كان يظهر إعجابه بمسجد آيا صوفيا الكبير حاول بعض الأتراك أن يوءثروا على عواطفه الدينية عن طريق إحساسه بالجمال ، فقالوا له : (انك لو أصبحت مسلماً لاستطعت أن تأتي إلى هنا كل يوم من أيام حياتك) . (٢)

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٨٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

ومما يدل على غيرة العثمانيين وحبهم الروحي الشديد للإسلام تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا في الإسلام طوعاً من المسلمين الجدد ، ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العامة والبسطاء بل تعدى ذلك إلى العلماء والرهبان والقساوسة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فكانوا قدوة لغيرهم تدفعهم للدخول في الإسلام .^(١)

وبينما كان في المجتمع المسيحي ما يدعو إلى الصدود والنفور، كان في أخلاق الأتراك وحياتهم ما يبعث على التقريب والإجذاب ، وكان للتقدم العثماني في العصور الوسطى، إذا ما قورن بالانحطاط الكنيسة وتدهورها ما يوتر بطبيعة الحال في العقول التي سئمت الأطماع المنبعثة من الأنانية ، وبيع الوظائف الكنسية ، وفساد أفراد الكنيسة وظالمها أشنى الكتاب المسيحيون على غيرة العثمانيين وصلابتهم في حياتهم الدينية ، ومظهر الحشمة والتواضع البادي في زيهم وأسلوبهم ، وليس أدل على ذلك من ثناء مؤرخ السفارة التي أرسلها الإمبراطور ليوبولد الأول إلى الباب العالي من سنة (١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ) (١٦٦٥ - ١٦٦٦ م) ، وفيها ثناء خاصاً على تعبد الأتراك وانتظامهم في الصلاة بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : " يجب أن نتكلم عن فوضى المسيحيين . إن الأتراك يظهرون كثيراً من الاعتناء والغيرة في أداء شعائرهم الدينية ، أما المسيحيون فلم يظهروا شيئاً من ذلك في دينهم ... بل أكثر من ذلك كله أننا عرفنا بالتجربة المتدين بين المسيحيين ... ذلك الذي لا تراه في أثنائها لاهياً بعيينه لا ترى في أثنائها شخصاً غير متعلق بموضوع

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ١٩٦ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

صلاته ، ولا شخصياً لا يبدو بين يدي خالقه في مظهر التبجيل الشاهـري
الذي يتطلبه من المخلوق " .^(١)

إذا ما قارنا بين ما أبداه المسلمون العثمانيون من تسامح
تجاه الشعوب الأوروبية ، وبين ما كان من تعصب المسيحيين تجاه المسلمين
في أثناء حروبهم الصليبية في مصر، وبلاد الشام ، وشبه جزيرة إيبيريا^(٢)
(الأندلس) . فإن ذلك يعطينا دلالة واضحة على مدى الوحشية والقسوة^(٣) ،
وإنّ البون شاسع بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعطف ، وبين ما كان
من الصليبيين من حقد وفضينة برزت من خلال أعمالهم الوحشية تجاه
المسلمين .

لم يكن الأوروبيون في عصر الحروب الصليبية إلا رمزاً للتعصب
والحقد والجفاء فتاريخهم في تلك الحروب وما جرى منهم عند فتح بيت
المقدس من ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى غاصت الخيل
إلى صدورهم في الدماء^(٤) لدليل على الوحشية والبربرية والقسوة كما أسلفنا .

إنّ هذه الحروب الصليبية لم تعبر عن نفسها في الشرق الأدنى ،
بل ظهرت جليلة واضحة حيث دارت رحاها في القرن الحادي عشر بين
المسلمين والصليبيين الأسبان في بلاد الأندلس ، لم تنته إلا بعد عدة
قرون بطرد المسلمين من أسبانيا ، بعد سقوط آخر معقل لهم وهي مدينة^(٥)

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٩٦ .

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(٣) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٣٩٢ ؛ ل . ح . شيني
تاريخ العالم الغربي .

(٤) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(١) غرناطة عام (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) وقد نال المسلمون على أيدي الأسبان الكثير من العسف والإضطهاد والتنكيل ، بالإضافة لما قامت به محاكم التفتيش من إرغام المسلمين على اعتناق النصرانية أو القتل ، مما دعى بالكثير منهم للهجرة إلى مراكش ، وإنشاء حضارة إسلامية هناك. (٢)

أما الأتراك العثمانيون فإن الذي منعهم من إكراه النصارى الذين تحت أيديهم وسلطانهم على الإسلام هو الدين الإسلامي الذي يمنع الإكراه في الدين ، ويرضى من المعاهد بالجزية ، فإن الإسلام وسماحته هو الذي هذب الأتراك ، وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ، كما فعل الصليبيون في بلاد الشام ، والأندلس ، ولكن أتباع النصرانية من أقوام أوروبا لم يمنعهم دينهم المزيف ، ولم يمنع البابا إسكندر السادس ، وأساقفة الكنيسة في أسبانيا. والملك فرديناند وإيزابيلا وغيرهم من الملوك المشهورين بالكنيسة من نصب محاكم التفتيش وارتكاب الفظائع في المسلمين ممن بقى على دينه ، إلى أن أجلوهم من ذلك القطر الذي استوطنته المسلمون ثمانمائة وعشرين عام ، مع أن الإنجيل غير المحرف لا يجيز شيئاً من هذه الأفعال . (٤)

إنَّ مادفع النصارى على الفتك بالمسلمين ليس الإنجيل فـإنَّ الإنجيل كتاب مقدس قبل أن يتعرض للتحريف والتعديل على ماتهوى الأنفس ، ولكن الذي دفعهم لما فعلوا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين .

(١) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٣٩٢ ، ل : ح شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ١٧٤ .

(٢) شبيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٣٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٣٩ .

(٤) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٢ .

ولعل أهم عوامل انتصارات المسلمين هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى أن الملك الفارسي كيروس (Kyros) نفسه قال : " إن هؤلاء المسلمين لا يأتون كمخربين " فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها الأدلة والبراهين القاطعة على تسامح المسلمين وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لا يقدم لنا إلا عدداً قليلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل المسلمون ، وقد أتاح ذلك للحضارة الإسلامية أن تتفاعل وتختلط مع تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ، والحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها .^(١)

ومما ساعد على انتشار الإسلام السياسة التي اتبعتها الدولة في تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد ، ومن ذلك ما قام به السلطان محمد الثاني (الفاتح) عندما استولى على القسطنطينية سنة (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) من تحويله كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد ، وصلى بها صلاة الجمعة^(٢) كذلك حولت العديد من الكنائس إلى مساجد ، وللسلطان الفاتح مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع .^(٣)^(٤)

هذا وقد واصل السلاطين العثمانيون سياستهم في إنشاء العديد من المساجد والجوامع ، مما ساعده على انتشار الإسلام وتقدمه في كثير

(١) زيجفريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا) ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ; Stanford - Shaw , Op, Cit., P, 163 .

(٢) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٧ .

(٣) محمد الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٥ .

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ٤٧ .

من دول أوروبا الشرقية ، وقد أوردنا ذلك سابقاً .

كذلك عمل السلطان سليمان القانوني على تطوير قاعدة بناء الجيش الإنكشاري وتوسيعها ، على الأسس التي طبقها سلفه من الخلفاء العثمانيين ، وأظهر كفاءة عالية في حشد كافة القوة على تباينها واختلافها ، وإذا كان خلفاء العثمانيين قد حققوا نجاحاً في دمج الشعوب والأمم التابعة لهم في بوتقة الإسلام ، فإن السلطان سليمان في ظليعتهم حيث يعود الفضل إليه في صهر تلك الأمم في بوتقة الإسلام ووجه جهودها نحو هدف واحد هو رفع راية الإسلام عالية خفاقة وتجاوز حدود الإقليمية (١) والجنسية .

ولم يكن العثمانيون في هذا المضمار إلا متبعين لمن سبقهم من العرب قبل قرون عندما حملوا راية الإسلام ، وانطلقوا برسالتهم إلى أرجاء الدنيا ، فعرفوا الأمم والشعوب بفضائل دينهم ، ونقلوا إليهم الأمانة فصارت تلك الأمم من عرب وعجم ، وترك وفرنس ، وكرد ، وبربر ، بيض وسود ، وصفر ، يتنافسون جميعاً لرفع راية الإسلام والدفاع عنه . (٢)

لقد أخذت الدولة العثمانية بمدأ الحرية الدينية باعتبارها الدعامية الأساسية لقيام الدولة ، وهذا المبدأ جعل الشعوب غير مسلمة الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية تدين لها بالطاعة والولاء ، وتؤثر حكم الدولة العثمانية على حكم الشعوب النصرانية .

(١) تاريخ نعميا ، ج ١ ، ص ٣ .

(٢) بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

لقد حافظ العثمانيون على السياسة الإسلامية الخاصة بالتسامح مع الذميين من أهل الكتاب ، فكانوا يحمون حياتهم وأموالهم وملتهم ، طالما قبلوا حكم الإسلام ، ودفعوا الجزية ، مقابل الإعفاء من الجندية ، وقد قبل أبناء البلقان الإسلام ، لضمان المزايا التي كفلها لهم الإسلام ولأنهم أبناء أقليات دينية تعرضت للإضطهاد في ظل الحكم المسيحي ، ووجدت في الحكم العثماني خلاصاً لها من الظلم .^(١)

هذه هي سياسة الدولة العثمانية ، في نشرها للدين الإسلامي بين شعوب البلدان المفتوحة ، فقد استخدمت معظم الطرق التي تفتح المجال أمام الشعوب للدخول في الإسلام ، فقد تمتعت الدولة العثمانية — في سياستها بالسماحة الدينية التي شملت جميع تلك الشعوب ، مما أدى بالتالي لاعتناق الآلاف للإسلام ، وإفساح المجال أمامهم للتخلص من نير السدول المسيحية المسيطرة عليهم وإن نظام الملل الذي سمحت به الدولة — لا كبر دليل على ذلك التسامح الذي أبدته الدولة تجاه رعاياها .

فنلاحظ أن المجتمع الإنساني في هذه الدولة ضم العديد من المسلمين والأفرنج من أديان ولغات بشرية مختلفة كالمسلمين والسلاف والأورام ، والأكراد ، والأرمن والعرب ، والنصارى ، واليهود تجميع بينهم سماحة الإسلام ، وليس كما حاول بروكلمان أن يقرره من أن الذي يربطهم جميعاً هو رباط غير طبيعي ، رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون هكذا يفسر هذا الموضع الألماني وجود هذه الملل^(٢)

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .

(٢) بروكلمان . تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٢٥ .

المختلفة داخل الدولة العثمانية ، يبطل الزعم القائل بأن الرباط
الذى يربطهم جميعاً هو رباط السيف والنار ، إذ لو كان ذلك صحيحاً لما
كانت هذه الملل داخل اطار الدولة العثمانية ولأُرغموا على الدخول
قسراً في الإسلام ، كما فعل الصليبيون في بلاد الأندلس ، ولكن إن دل ذلك
على شيء فإنما يدل على مدى سماحة الدولة العثمانية ، وعملها على نشر
الإسلام باتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ولكن الذي دفع المؤرخ
لهذا القول هو حقه على الإسلام متمثلاً في هذه الدولة التي حملت لسواها
خفاقاً في ربوع أوروبا المسيحية .

الفصل الثاني

مواقف لدول الأوربية من الدولة العثمانية

- ١- موقف روسيا من الدولة العثمانية.
- ٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية.
- ٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية.
- ٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية.

إن تطور الدولة العثمانية ، وقفرتها السريعة من إمارة صغيرة في شبه جزيرة الأناضول ، إلى دولة واسعة الأرجاء في قسارات ثلاث عالمية ، وإن اقترانها بالإسلام ونشره في البلاد التي أصبحت فسي حوزتها خاصة في أوروبا ، ألّب الدول الأوروبية ضدها وناصبتها العداء ، أضاف إلى ذلك الأطماع الإقتصادية كموجه لمواقفهم ، والنواحي الاستراتيجية والدينية ، فأولئك الروس كانت لهم أطماعهم في الدولة العثمانية ورغبتهم في السيطرة على المضائق للوصول إلى الميـاه الدافئة ، والاتصال بأوروبا ، أما النمسا فعلى الرغم من عدم وجود حدود مباشرة لها مع الدولة العثمانية إلا أنها شنت على الدولة حرباً من منطلق خوفها على حدودها وذلك بإثارة دول البلقان بالثورة ضد الدولة العثمانية ، لإضعافها ولكي تبعد شبح الخوف عنها ، أما فرنسا فعلى الرغم مما حصلت عليه من امتيازات في الدولة العثمانية ، إلا أن ذلك لم يمنعها من العمل على الاستيلاء على الكثير من المناطق التابعة للدولة العثمانية في الشمال الإفريقي ، وتحقيق أطماعها الإستعمارية ، كذلك قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية سايكس-بيكو بينها وبين فرنسا وروسيا وقسمت بينهما أملاك الدولة العثمانية ضماناً لتحقيق أهدافها في الشرق الأوسط .

كان العداء العثماني الروسي عداً بين الأتراك كمسلمين - الذين يعملون على نشر الإسلام - والروس كدولة معادية للإسلام، هذا وقد دخل الأتراك المغول في الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة مؤسس دولتهم جنكيز خان، ابتداءً من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية (١) في بلاد الروس، وانتهاءً بتأسيس دولة العثمانيين كما أشرت إلى ذلك.

كان الصراع بين الروس والعثمانيين يتصف في الكثير من جوانبه بالطابع الديني فكان مراعاةً بين النصرانية والإسلام وتاريخ الإسلام في بلاد الروس قديم جداً حيث دخل إليها الإسلام قبل تأسيس دولة الأتراك . وكان العداء بينهما يعود إلى جذور موغلة في القدم . (٢)

وقد تحدث ابن فضلان عن رحلته إلى بلاد الروس والتي جرت عام (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) أن أحد ملوك السلاف واسمه (الطش بن بلطووار) اعتنق الإسلام وقد أشرت إلى ذلك حيث يقول (... فلما كنا من ملك المقابلة وهو الذي قصدنا إليه .. وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده واخوته وأولاده .. فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا بنفسه ، فلما رأنا نزل وخر ساجداً شكراً لله عز وجل ، ... وأخرجت كتساب الخليفة وقلت له : لا يجوز أن تجلس والكتاب يقرأ فقام على قدميه هو ومن حضر من وجوه مملكته .. وبدأت فقرأت صدر الكتاب ، فلما بلغت فيه سلام عليكم فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو قلت ردوا على أمير المؤمنين السلام فردوا (...) ، وفي نص هذا الكتاب دليل على دخول الإسلام إلى تلك البلاد قبيل العهد العثماني ، وإن التأثير الإسلامي

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) ابن فضلان ، ص ١٠٧ .

كان واضحاً في بلاد الروس ، حيث أرشد ابن فضلان ملك الروس إلى الطريقة
المحيحة في تأدية الشعائر الدينية ، فهو يقول (ورأينا منهم أهل
بيت يكونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم وقد بنوا
مسجداً من الخشب يصلون فيه لا يعرفون القراءة فعلمت جماعة ما يصلون
منهم . كذلك يذكر ابن فضلان عن المسعودي قوله إن ابن ملك البلغار
(١)
المقالية حج عام (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ومر ببغداد وأكرمه القوم فيها) .

وكان اهتمام الروس بالقسطنطينية حيواً منذ القدم نظراً
لموقعها المغري ، فهذه المدينة تتألف من شبه جزيرة تقع بين قارتي
آسيا وأوروبا وتحتضنها بحار ثلاثة هي القرن الذهبي ، والبسفور ، وهو
المضيق الذي يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بحر مرمرة ،
ومضيق الدردنيل ، ويفصل القرن الذهبي الضيق المدينة القديمة عن المدينة
الحديثة المسماة (بك أوغلي) أو ما كان يدعى سابقاً (بيرارغلطة)
ويفصل البوسفور المدينة الأوربية عن الجزء الآسيوي . واكتسبت
القسطنطينية أهميتها الدينية من حيث كونها مركزاً كنسياً معتبراً ، عزز
ارتباطها بالكنيسة الروسية ، وعد بطريقها في المرتبة الثانية بعد بابا
روما ، هذا بالإضافة لمكانتها التجارية ، حيث كانت المدينة التجارية
الأولى ، حتى ظهور الدول الإيطالية البحرية ، وكانت تعد المدينة الرئيسية
الأولى ، من حيث القوة والاعتبار حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي .
(٢)

إن فتح القسطنطينية على يد العثمانيين كان له السدوي

(١) ابن فضلان ، في وصف الرحلة ، ص ١٠١ .

(٢) على حسن تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤١ - ٤٢ .

(٣) بيبيرونوف ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

(١)

العظيم في كافة أرجاء العالم وبخاصة في الغرب النصراني ، الذي صفعه النبأ .

لذلك فان أهمية القسطنطينية لدى الروس قديمة ، وقد اعتنق الأمير الروسي (فلاديمر) النصرانية على المذهب الارثوذكسي ودعم النصرانية والمذهب البيزنطي كي يبنى كرسياً أسقفياً في كيف من هنا بدأ الارتباط المذهبي بين الروس وبيزنطية إلى أن أصبحت محط أنظارهم .^(٢)

ومن هنا ظهر العداء الطليبي الروسي ضد المسلمين متمثلاً في الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي تمكنت من فتح القسطنطينية والسيطرة عليها .

لذلك فان أهداف روسيا ومطامعها ومواقفها من الدولة العثمانية واحدة ، منذ نشأة تلك الدولة ، وبذلك يتضح أن اهتمامات الروس بالدولة العثمانية تتلخص في التالي :

السيطرة على المضائق التركية في سبيل الوصول إلى المياه الدافئة ومنافسة الدول الأخرى ، واسترجاع القسطنطينية من أيدي المسلمين وإعادة بنائها لحظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، والقصد من ذلك تدمير وحدة المسلمين وترباطهم والتوسع في الجهات الجنوبية ، والجنوبية الشرقية بحجة الوصول إلى الأراضي الحارة ، المنتجة لبعض السلع والتقليل من^(٤)

(١) بيبيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٢٢٠ .

(٣) بيبيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(١) الضغط السكاني الروسي ، ويمكن الهدف الرئيسي من وراء ذلك تشتيت المسلمين ، وهزيمتهم في تلك المناطق التي يقطنوها . وهناك دافع سياسي ، هو الحفاظ على توازن القوى مع الدول الأوروبية ، وتحقيق (٢) ما يمكن تحقيقه عن طريق بسط نفوذهم في جنوب شرق أوروبا .

ومن هنا نجد أن الروس بدءوا في التوسع على حساب الدولة العثمانية منذ عام (١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م) حيث انتصروا على العثمانيين (٣) وانتزعوا أوكرانيا ، وفي عام (١١٠٨ هـ / ١٦٩٦ م) استولى بطرس الأكبر على ميناء آزاق لأهميته لمملكته ، ووصلوا إلى سواحل البحر الأسود على أن ملح كارلوفتس (١١١٠ هـ / ١٦٩٩ م) أدى إلى فقدان الدولة العثمانية جزءاً ليس بالقليل من ممتلكاتها في أوروبا ، وبعد ذلك استمر السلام بين الدولتين ثلاثين عاماً بصلح عام (١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م) عمل فيها القيص على تحصين آزاق فقابل العثمانيون ذلك فاقامة الحصون والقلاع الجديدة في مواجهتهم ، وقد شغل بطرس الأكبر عن الكيد للعثمانيين عندما هاجمه عدوه شارل الثاني عشر ملك السويد ، فلما هزم ملك السويد ، لجأ إلى العثمانيين الذين رفضوا تسليمه إلى بطرس فشن حرباً عليهم غير مراعاة لصلح الثلاثين عاماً ، ولكنه بعد ذلك فوجيء بالجيوش العثمانية محاصرة له من كل جانب ولو استمر ذلك الحصار لأخذ أسيراً هو ومن معه ، ولمحت الدولة الروسية من العالم

-
- (١) فشر، في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧١ .
 (٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ٣٧١ .
 (٣) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥ .
 (*) آزاق : هي أزوف (Azov) وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف ويطلق إسم (بحر آزوف) على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود ، (محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٨٦) .
 (٤) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٠ .
 (٥) جلال يحيى ، معالم التاريخ الحديث ، ص ١١ .

(١) السياسي . وقد أبرمت بعد ذلك عدة معاهدات عام (١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) وتلتها معاهدة أخرى عام (١١٢٣ هـ / ١٧٢٠ م) وقضت سنوات قلائل بعد هذا ساد أوروبا اعتقاد عام بأن شمس الدولة العثمانية آذنت بالمغيب على أن إذلال بطرس الأكبر من قبل العثمانيين لم يبرح ، من أذهان الروس ورعايا روسيا ، وكانوا يلتهبون غيظاً على الأتراك ، كلما ذكروا ذلك العار وهنا جمع بطرس الثاني الجموع لمهاجمة العثمانيين ، ولكنه مات عام (١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م) وتأخر مشروعه إلى عام (١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) في مارس حيث تحركت الجيوش الروسية بأمر المملكة حنة للإنتقام من المسلمين ، وختمت الحروب بطلح بلغراد عام (١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م) ولكن الدولة الروسية لم تشف غليلها لأن مواد الصلح لم تكن كافية لإذلال العثمانيين .
(٣)

وهنا يظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين موجهاً ضد الدولة العثمانية وبعد مضي تسعة وعشرين عاماً عاد العداء بين الدولتين سنة (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) وسخط الرأي العام في الأستانة على احتلال روسيا لبولونيا ونشبت الحرب بين الدولتين ، وانتهت بصلح (قينارجة) المنعقد في عام (١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م) وبموجب هذه المعاهدة أجبرت روسيا الدولة العثمانية على الإعتراف لها بحق حماية المسيحيين في داخل الدولة العثمانية ، وبإمضاء معاهدة بخارست في مايو عام (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م) ، وبموجبها عدلت الحدود بين تركيا وروسيا فصارت تنطبق على نهر الدانوب ، وكان هذا الصلح

-
- (١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٣ .
(٢) محمد الديراوى ، الحرب العالمية الأولى ، ص ٢٥٤ .
(٣) حسين لبیب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٤١ .

في صالح الدولة العثمانية حيث أنهى الحروب بينهما والذي كانت تتعاظم
(١)
ويلاتها وخسائرها على مرور الزمن .

ونلاحظ موقف روسيا العدائي من الدولة العثمانية عندما
ثار أهالي الجبل الأسود ضد الدولة العثمانية ، ودخلت روسيا الحرب
إلى جانبهم ، وانضمت إليها رومانيا ، إلا أن روسيا تكبدت خسائر
فادحة ، مما جعلهم يجندون الجيش الإحتياطي ، بينما بقيت الحامية
التركية في استحكاماتها ، حتى نفذ الطعام ، وقد وصل الروس إلى أدرنة
فخشيت بريطانيا من استيلائهم على اسطنبول ، وأرسلت أسطولاً إلى الدردنيل
لحمايتها ، عند ذلك تقدم الروس إلى (استيفانو) في ضواحي اسطنبول ،
ولكنهم لم يجروا على الدخول حتى لاتقع الحرب بينهم وبين بريطانيا
وطلب السلطان الملقب من القيصر ، وكانت معاهدة (سان استيفانو) في
(١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) حيث اعترف السلطان باستقلال رومانيا وصربيا
والجبل الأسود ، ووجدت دولة بلغاريا الكبرى الممتدة من الدانوب إلى أدرنة
ومن سلافيك حتى البحر الأسود ، ونمت المعاهدة على إعطاء روسيا بسارابيا
التي خسرتها في حرب القرم ، وباستقلال البوسنة والهرسك ، ولم ترض بريطانيا
والمانيا بهذا وأجبرت روسيا على إعادة النظر وعقد مؤتمر برلين في الثالث
عشر من حزيران (١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨ م) وقد مثل المؤتمر السابق سبع دول
هي روسيا ، وبرلين ، والنمسا ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، وإيطاليا ،
تحت رئاسة بسمارك رئيس وزراء ألمانيا ونتيجة لذلك المؤتمر أدخلت
التعديلات الآتية : أصبحت بلغاريا الكبرى دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي ،
ووضعت مقاطعتي البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية ، وأيد المؤتمر

-
- (١) حسين لبیب ، تاریخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ - ١٤١ .
(٢) أحمد عبدالرحیم مصطفی ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

مانمت عليه معاهدة سان استيفانو من استقلال رومانيا وصربيا والجبل
الأسود استقلالاً تاماً وكانت نتائج هذا المؤتمر الرئيسية القضاء على
(١)
البلقان ، وإيقاف المطامع السلافية .

لم يقف العداء الروسي ضد الدولة العثمانية عند هذا الحد ، بل
كانت روسيا تعمل بين الحين والآخر على فرض وجودها على الساحة
الأوربية ، ولكي تصل إلى غرضها فهي تعمل كل ما من شأنه أن يصل بها
إلى المضائق التركية للاتصال بأوروبا .

فقد وقفت روسيا ضد مشروع سكة حديد بغداد والذي قامست
بإنشائه المانيا ، وهذا المشروع ظهرت فكرته منذ السبعين سنة الأخيرة
من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، عندما فكر فيه المهندس
النمساوي (الفون بريسل) والذي كان يعمل لدى الدولة العثمانية كخبير
في شؤون السكك الحديدية ، فرحب السلطان عبدالحميد الثاني بهذا المشروع ،
وأنجز القسم الأول منه في فترة مابين عام (١٢٨٥ - ١٢٩٠ هـ) (١٨٧٢ -
١٨٧٣ م) والذي يصل اسطنبول بأزمير ، ونفذ هذا المشروع بروءوس أموال
فرنسية ، ثم انتقل بعد ذلك الإمتياز إلى المانيا . لذلك شعرت روسيا
بخطورة المشروع على مصالحها الإستعمارية في الدولة العثمانية ، فحاولت
القضاء عليه في مهده ، وذكرت السلطات العثمانية بالمدافعة الذي تربطها
به ، ولكنه لم يعر لذلك أدناً صاغية ، كذلك لم تعر الحكومة الألمانية

-
- (١) محمد عابدين حمادة ، تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع
عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٢ - ١٤ .
(٢) جان بيشون ، بواعث الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ ؛
توبوليف ، الامبريالية والعسكرية الألمانية ، ص ٢٢٢ .
(٣) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ، ص ١٤٤ .

أذنًا صاغية للتهديدات الروسية بسبب قوة مركزها في السياسة الدولية،
 بعد حصولها على ميناء بورت أرثر في البر الصيني ، والذي حد ———
 نفوذ روسيا في الشرق الأقصى وهذا مما جعل المفاوضات الروسية العثمانية
 تتم إلى طريق مسدود. (٢)

إن نجاح ألمانيا في الحصول على امتياز سكة حديد بغداد،
 ووجود البعثات العسكرية الألمانية ، وتزويد الجيش العثماني بالسلاح الألماني
 أدى ذلك إلى قلق الروس وشعورهم بالخطر الألماني المتزايد مما جعلهم
 يحاولون جر كل من النمسا والمجر للوقوف معهم لعرقلة المشروع،
 ولكن كل ذلك لم يمنع ألمانيا من تنفيذ المشروع ، وقد عقدت اتفاقية
 بين ألمانيا وروسيا عام (١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م) تقضي باعتراف ألمانيا
 بالمصالح الروسية في شمال فارس وفقاً لمعاهدة (١٣٢٥ / ١٩٠٧ م) وتكف
 روسيا عن معارضة مشروع سكة حديد بغداد، كذلك وقعت معاهدة من قبل
 روسيا مع الدولة العثمانية ، عام (١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م) تقوم على
 أساس إلغاء معاهدة (١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م) ، وتعهد السلطان العثماني
 لمدة عشر سنوات بعدم إقامة خط حديدي في المناطق الواقعة إلى الشرق
 من طرابزون خربوط دياربكر ، وإذا كانت هناك حاجة لإنشائها تنشأ
 بروءوس أموال روسية ، ولذلك عندما فشلت روسيا في إحباط المشروع
 اتخذت لها موقف آخر من الدولة العثمانية ، وهو حماية مصالحها في
 الحدود الجنوبية .

-
- (١) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ١١ .
 - (٢) باسل دقاق ، تركيا بين جارين ، ص ٢٧ .
 - (٣) جان بيشون ، بواعق الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ .
 W.L.Langer, The Diplomacy of Imperialism, P, 640.
 - (٤) سياسة روسيا الخارجية، ج ١٢ ، وثيقة رقم ٣٢٩،٣٦٢٥ صفحة لغة روسية،
 ص ٤٢ .
 - (٥) مجموعة الإتفاقات الروسية مع الدول الأخرى ، ١٨٥٦-١٩١٧، ص ٤٢٥ .

يعود موقف روسيا من الدولة العثمانية وكرهم للعثمانيين بسبب أن الدولة العثمانية دولة مسلمة ، وأن نشر الإسلام في أوروبا سواء في المناطق الغربية وجنوب شرق أوروبا أو المناطق القريبة من الدولة الروسية ، إنما تعتبره روسيا إنتصاراً للإسلام والمسلمين ومن شأن هذا أن يعمل على تقويض نفوذهم تدريجياً ، وروسيا ليست إلاّ عدوة لدودة للدولة الإسلامية منذ زمن طويل ، ولا ترضى أو يطيّب لها بال أن يرتفع شأن الإسلام سواء في بلادهم أو أي مكان آخر، وإذا نظرنا إلى دورها في تقويض قوى الدولة العثمانية ، فذلك واضح من مواقفها خلال القرون الحديثة المتأخرة ومن ذلك اشتراكها مع فرنسا وبريطانيا ، وباقي دول أوروبا للتآمر ضد الدولة العثمانية ، هذا بالإضافة لما قام به نيقولا الأول من التشهير بالدولة العثمانية ، وإطلاقه عليها الرجل المريض ، وهذا دليل على مدى الحقد الروسي، الموجه ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

أضحى العثمانيون هم القوة الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى في أواخر القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، وذلك جعل حركتهم وفتوحاتهم التوسعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية في شرق أوروبا ، وتعتبر الحملات التي أعدها الأوربيون في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، لوقف التوسع العثماني في شرق أوروبا حملات صليبية قام بها الأوربيون لحماية شرق أوروبا من خطر التوسع الإسلامي على حساب الشعوب المسيحية .^(١)

وفي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي نجح العثمانيون في العبور إلى القارة الأوروبية ، واستمروا في توسعهم في شرق أوروبا .^(٢)

إن علاقة النمسا مع الدولة العثمانية كانت من أسوء العلاقات في تاريخ العلاقات الدولية ، ليس من ناحية العداوة المنبثقة عن المصالح فحسب بل من الناحية الإنسانية أيضاً ، وهناك مواقف عديدة توضح تلك العلاقات العدائية .

ففي عام (٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م) في عهد السلطان سليمان القانوني ادعى ملك النمسا فرديناند أحقيته في أن يكون ملكاً على المجر ، وسار لمحاربة ملكها الذي عينه السلطان سليمان القانوني ، مما

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) على بك حليم ، التحفة الحليمية ، ص ٣٩ .

(٣) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ .

أدى إلى استنجد ملك المجر بالسلطان سليمان القانوني ، الذي سار بنفسه عام (٩٣٦ هـ / ١٥٢٩ م) على رأس جيش ، سار به إلى بودا عاصمة المجر ، التي احتلها ملك النمسا ، وسرعان ما فر منها فرديناند إلى فيينا عاصمة النمسا ، وخرجت الحامية النمساوية من المجر بعد أن حصلت على عهد الأمان من السلطان ، وبعد إعادة ملك المجر إلى مملكته ، سار مع السلطان سليمان القانوني بجيوشه إلى فيينا عاصمة النمسا في (٢٧ سبتمبر ١٥٢٩ م) وسلط المدافع نحو أسوارها فهدم جزءاً منها ، ثم أمر السلطان الجيوش بالهجوم ، ولكن أمد القتال طال ، فعادت الجيوش دون أن تتمكن من دخول المدينة ، ثم لم يلبث السلطان سليمان أن أمر بسحب الجيش العثماني ، نظراً لاقتراب الشتاء ، وانتهاء ذخيرة الطوبجية ، وعندما عاود ملك النمسا مهاجمة بودا عاصمة المجر ، سار السلطان سليمان القانوني لمحاربته مرة ثانية عام (٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م) وهذه المرة أيضاً لم يكتب له النصر .^(٢)

كذلك نلاحظ ، أن النمسا عملت على تحريض أمير البغدان ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) تمرد أمير بغدان بتحريض من فرديناند ملك النمسا ، فهزمت الدولة العثمانية وعينت أخاه (اسطفن) وعززت حاميتها في البغدان لمنع حصول أي تمرد ، لذلك عمل فرديناند على الاتفاق مع ملك المجر (زابولي) لاقتسام بغدان لأن ذلك في رأيهم أفضل من تدخل العثمانيين في شؤونهم ، كما أن وجود المجر تحت الحماية العثمانية أمر مزعج لكافة الممالك الأوروبية وكانت هذه الخطة من فرديناند ملك النمسا ، تستهدف الإيقاع بملك المجر الذي قبل الحماية العثمانية ولكن تلك الخطة باءت بالفشل ، لأن ملك المجر قضى نحبه ، فلم يكن من

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

السلطان سليمان القانوني ، الا أن دخل المجر وجعلها ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها إلى مسجد جامع ، وفي عام (٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م) عقدت هدنة بين السلطان سليمان القانوني والنمسا لمدة خمس سنوات بشرط : أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما يبقى تحت يده من بلاد المجر ، وأن تبقى بلاد المجر تابعة للدولة العثمانية يحكمها ابن ملك المجر (زابولي) .^(١)

وقد تطورت العلاقات بين الدولة العثمانية والنمسا ، ومن ذلك التطور أنه في أواخر عهد السلطان سليم الثاني وافق على تجديد المصالحة مع النمسا لمدة ثماني سنوات وذلك بعد نقاش طويل ، وقد بعثت نسخة من هذا القرار فور توقيعها إلى الإمبراطور النمساوي بواسطة مترجم الحكومة العثمانية محمود أفندي ، ولكن بعد وفاة السلطان سليم الثاني ، أرسل رسولاً إلى المبعوث محمود أفندي لإخباره بوفاة السلطان ، وإلغاء المعاهدة ، وإذا كان الإمبراطور النمساوي يرغب في دوام المعاهدة فعليه أن يرسل سفيراً جديداً إلى إسطنبول ليقدم التهانى للسلطان الجديد بمناسبة جلوسه على العرش ، وعليه أن يوقع المعاهدة من جديد وهذا يستلزم إرسال الهدايا والنقود بواسطة السفير الجديد للسلطان ، وفعلاً حضر السفير النمساوي ومعه الهدايا والنقود لكل الوزراء داخل الحكومة العثمانية .^(٢)

وبهذا يظهر أن الدولة العثمانية عندما كانت في أوج قوتها تمكنت من إحباط جميع المكائد المدبرة من قبل النمسا ، من تحريض للدول

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ - ١١٢ .

الخاضعة لسلطة الدولة على الثورة ، وكان هذا يحتم على الدولة العثمانية مواجهتها والتمادي لها لإحباط ماتقوم به ، مما يدفعها في كثير من الأحيان لطلب الصلح مقابل الأموال التي تدفعها للدولة العثمانية .

هذا وقد دخلت الدولة العثمانية في حروب عديدة وطويلة مع النمسا، ففي عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) تمكنت القوات النمساوية من احتلال بلغراد ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وخروج بلغراد وسقوطها في يد النمسا معناه فتح الطريق لهم لدخول البلقان ، ونتيجة لذلك فقد طلب السلطان سليمان الثاني الصلح ، حيث بعث مندوباً من قبله إلى ملك النمسا يطلب فيه عقد الصلح وكان ذلك عام (١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) وبدأت المفاوضات التي اشترك فيها أربعة مندوبين من العثمانيين وإثنان من بولونيا، وواحد من فينديك ، وأربعة من النمسا، وعلى الرغم من أن المندوبين اجتمعوا أكثر من أربع عشرة مرة إلا أنهم لم يصلوا إلى نتيجة كما أن النمساويين لم يهتموا بتلك المفاوضات وكانوا يصرون على أن هدفهم هو اسطنبول (١) .

تعتبر المفاوضات التي أشمرت عنها معاهدة (سيثوا) ، نقطة تحول، حيث أنه لم يسبق لحكومة عثمانية أن جلست مع العدو على طاولة المفاوضات ، لأن الدولة العثمانية لم تكن تعترف لتلك الدول باستقلال، وكانت تعزز بانتصاراتها على الأعداء، وكانت تعتبر طلب المفاوضات على أنه التجاء إلى عطف السلطان ، وتعتبر كل ما يقوله سفير العدو رجاءً وتفرعاً والتماساً، كما أنها لم تكن تقوم بالتوقيع مع السفير، بل كانت تصدر مرسوماً ملكياً يوضح ذلك ليقدم إلى ملكهم أو يبعث بواسطة عريفه.

(١) Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, Part 3, PP, 511 - 513

وكان أعضاء المفاوضات لا يعرفون شيئاً عن مضمون تلك المعاهدات التي حكوماتهم ، وإن نصوص تلك المعاهدات كانت مملوءة بعبارات رديئة فيها أثر الاستعلاء ، مثل (من لطف وإحسان ملك العالم الذي ينتصر باستمرار إلى كفرة أو ستريه (النمسا) وألمانية المغلوبين المحتاجين لمغفرت الملك) . وكان ملوك المانيا وروما والنمسا المعروفين بفخامتهم وعظمتهم يتقبلون ذلك ، وجرت المعاهدة والمذكرات بينهما مثلما يحدث بين أي دولتين متجاورتين كالمعتاد ، ثم بدأ أعضاء النمسا يعرضون شروطهم على أساس إعادة المواقع التي أُحتلت أثناء الحرب ، وإعادة قلعة قاينجا مع ملحقاتها مع ضمان كل مصاريف الحرب وقطع العلاقات مع أرض أردل ، وقد استمع مراد باشا لكل ذلك ، ثم كتب خطاباً مطولاً وضح فيه (١) أن للدولة العثمانية حقوقاً في تلك المناطق ، وضرب أمثلة كثيرة وطالب (٢) المندوبين بوضع مقترحات معقولة .

إن هذه المعاهدة (سيتوا) اشتهرت تحت اسم سيتواتسورق ، وأخذت مكانتها المهمة لأنها وثيقة رسمية تبين تاريخ توقف العثمانيين وغاراتهم تجاه الغرب ، كذلك فإن أهم نقطة فيها ، أن الحكومة العثمانية اعترفت وقبلت ملك النمسا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة (ماتياس) في مستوى السلطان العثماني حيث كان للدولة العثمانية قبل ذلك ألفاظاً تدل على عظمة الملك العثماني مثل " ملجأ العالم ومأواه " ، وطبقاً لهذه المعاهدة تعدلت المادة الخاصة بالضريبة ورضيت النمسا أن تدفع مائتي ألف ذهباً مرة واحدة في السنة ، وجاء فيها أيضاً تبادل السفراء ، وتعاطي الهدايا كل ثلاث سنوات ، وأن لا تتدخل النمسا في شؤون المجر وأردل ، ومن

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٧٣ .

(٢) Ismail Hakki, Op, Cit., PP, 511 - 512 .

نصوص المعاهدة عدم التعدي على الحدود ، وسيوءدب من لايراعي ذلك ،
 وإن هذه المعاهدة ليست موقتة بل عقدت نيابة عن الأحفاد والأولاد وفي^(١)
 حالة الخلاف يحل النزاع بواسطة حكمين أحدهم من الدولة العثمانية
 والآخر من النمسا وأن يستعمل السلطان العثماني لقب (ملك فينسا)
 والسفير الذي يبعث إلى الإمبراطور النمساوي لا يختار من خدم القصر
 أو عريف ، بل لا يقل عن رئيس اللواء ، وإن هذه المعاهدة لم تقض على
 المشاكل نهائياً ، لأن اليسوعيين الذين احتلوا قصر الحكومة في النمسا
 لم يتنازلوا عن إشارة الشعب داخل المجر ، وعن تدبير الموءامرات
 على طول الحدود ، كذلك فساد النمسا أدى إلى قتل ملك المجر ، وفي
 غفلة من الحكومة استطاع سفير النمسا تعيين وريث للعرش وكانت الأمور
 الداخلية في المجر وأردل من الأمور الخاصة بالدولة العثمانية طبقاً
 لاتفاقية (سيوا) ، كما أن هذه المعاهدة لم تأخذ شكلها النهائي
 لعدم التصديق عليها من المفتي .^(١)

لم يقف الأمر عند ذلك ، بل استمرت النمسا في مواقفها
 العدائية من الدولة العثمانية ، ففي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر
 الميلادي كان موقف النمسا سيئاً بسبب حرب الثلاثين عاماً ، حيث لم تعمل
 على إيقاف الحرب ، بل أخذت تبحث عن يساعدها في تمعيدها ، فلجأت إلى
 أسبانيا وبولونيا وعدداً من الدول الأوروبية ، وعلى الرغم من عدم تدخل
 فرنسا إلا أن أوروبا لم تتورع عن تقديم المساعدة لها ، حيث أمدها البابا
 بالنقود ، وأشار الدول الكاثوليكية ضد الدولة العثمانية ، وكانت تصلها
 الإمدادات من الدول الأوروبية المختلفة . وكانت أكبر المساعدات التي^(٢)
 قدمت للنمسا من بولونيا المجاورة لها وبتشجيع من البابا عقدت

(١) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٣٨١ - ٣٨٢ .
 (٢) Ismail Hakki, Op, Cit., Part 3, PP., 438-445.

اتفاقية عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) بين النمسا وبولونيا نعهدت الأخيرة بموجبها بإعطاء النمسا أربعين ألف جندي محارب على رأسهم ملك بولونيا ، عند ذلك استدعى مصطفى باشا أمير الجيش الإنكشاري ، استدعى السفير النمساوي بأدرنة وتحدث معه عن ضرورة إرجاع القلعة التي احتلتها النمسا حتى يتجدد المصلح ، ولكن السفير رفض ذلك ، فاستعبد الجيش العثماني للخروج في عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) وبلغ عدد الجيش خمسمائة ألف مقاتل، ورأى الوزير الأعظم والقائد الأعلى للجيش أن يبدأ بفتح فيينا عاصمة النمسا، قبل الاستيلاء على قلعة (ماموران ديانق) وتحرك الجيش من بلغراد ووصل أمام قلعة ماموران، ومن هناك عبر النهر ولم يستطع جيش الأعداء منعه ، وكان تقدم الجيش نحو فيينا بدلاً من الأراضي المجرية مفاجأة لملك النمسا ، وقد تعجب السلطان من اتجاه الجيش نحو فيينا، ولكنه سكت لأنه لا مجال للمناقشة ، وقد كان هناك اضطراب في ألمانيا وروما وبولونيا ، مما دعاهم لاتفاق ضد الدولة العثمانية ، وقد حاول البابا إقناع فرنسا للدخول معهم ، وخاصة أن لفرنسا مصالح تجارية في الشرق، وعلى الرغم من موقع فيينا على الضفة اليمنى لنهر الطونة وإحاطتها بسور محكم من جميع جهاتها ، إلا أن الجيش العثماني تمكن من احتلال ما حول القلعة ولم يبق إلا قلعة فيينا، ولكن مدة الحصار طالت ، وبدأ التحرك الأوربي من بولونيا وألمانيا في جيش بلغ مائة ألف ، ألتف حول الجيش العثماني ، وتمكن من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين فولوا هاربين تاركين كثيراً من الذخيرة، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في وسط أوروبا في هذه الفترة، لم يبق العثمانيون بغزو فيينا وبدأ العد التنازلي ، وبعد أن كان الأوروبيون في موقف الدفاع بدأ الأوروبيون يهاجمون أقاليم الدولة العثمانية بين فترة وأخرى .^(١)

Ibid, Part 3, P, 449, 452, 455.

كما أن عبء الدفاع عن أوروبا وقع على كاهل أسرة هابسبورج الكاثوليكية ، وأن دور النمسا الخطير في التاريخ الأوربي هو أحد المبررات الرئيسية لوجود الإمبراطورية النمساوية قروناً عديدة وراء الحدود الجنوبية الشرقية لأوروبا تدافع عن الحضارة اللاتينية والألمانية ضد الإسلام .^(١)

مما تقدم نلاحظ أن سياسة العداء النمساوي ضد الدولة العثمانية ، ليست فريدة بل أن جميع دول أوروبا ناصبت الدولة العثمانية العداء من منطلق أنها دولة إسلامية ، تعمل على نشر الإسلام وتفتح باسمه ، في شرق أوروبا وجنوبها ، ونلاحظ أن النمسا على الرغم من أنها من دول وسط أوروبا وبعيدة عن مركز الدولة العثمانية ، إلا أن هذا لم يمنعها من التحالف مع الدول الأوربية ، والإشتراك في الإتفاقيات ضد الدولة ، ومحاولة إثارة الفتن والإضطرابات في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة العلية ، وبخاصة وأن الجيوش الإسلامية طرقت أبواب فيينا عاصمتها عدة مرات، فكان موقفها موقف الدفاع عن كيانها كدولة مستقلة حتى لا تفقد استقلالها ، لذلك لم تترك فرصة إلا واستغلتها للنيل من الدولة العثمانية ، إما بالتحالف مع دول الغرب الأوربية ، أو بتحريض دول البلقان على الثورة ضد الدولة العثمانية ، وإمدادهم بالسلاح والعتاد ، كل ذلك لإبعاد الدولة العثمانية وتقدم جند الإسلام نحو أراضيها .

وظهر كذلك أن أهم طريقة استطاعت أن تنجح بها للوقوف

(١) هيربرت فيشر ، أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٥ .

أمام تقدم الدولة العثمانية ، هي إشارة الفتن والإضطرابات الداخلية ،
 في المناطق الواقعة على حدود الدولة العثمانية ، وهي بذلك قد جعلت
 بينها وبين الدولة العثمانية حاجزاً مكانياً ، تتحقق فيه الإضطرابات
 التي من شأنها مساعدة النمسا على أن تكون بعيدة بقدر الإمكان عن
 الإحتكاك المباشر مع الدولة العثمانية ، ذلك الإحتكاك الذي قصد
 يتسبب في أن تصبح كبقية دول البلقان تابعة للدولة العثمانية .

أما بالنسبة لفرنسا فلم تكن تربطها بالدولة العثمانية حدود مباشرة وعلى الرغم من ذلك فقد تناولت فرنسا العلاقات مع الدولة العثمانية سلباً وإيجاباً ، وهي بذلك كالدول الأوروبية تنظر إلى تحقيق مستعمرات لها في أملاك الدولة العثمانية ، وبخاصة في الشمال الأفريقي أقرب المناطق إليها .

والعلاقات العثمانية الفرنسية قديمة ، بدأت منذ عهد السلطان سليمان القانوني، حيث كان هناك إتمالات بين ملك فرنسا والسلطان سليمان القانوني عام (٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) ومن هذا التاريخ بدأت الإتمالات الفرنسية العثمانية ، وفي تلك الفترة كان شارل الخامس ملك النمسا هو ملكاً لاسبانيا والأراضي المنخفضة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، وحاكماً للجزء الأكبر من إيطاليا الجنوبية ، وكانت جنوا ، وفلورنسا ، تابعتين له ، وجمهورية البندقية ، طوع أمره ، ووهران بالجزائر تابعة لسلطانه ، وكذلك جزيرة مينورقة - إحدى جزر البليار شرق أسبانيا - ، وجزيرة صقلية من أملاكه .^(١)

كل ذلك دعى بفرنسوا الأول ملك فرنسا للتحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس حتى تحاربه الدولة العثمانية من جهة المجر والنمسا، فيشغل عن جيوش فرنسا من جهة الغرب، فيتمكن بذلك ملك فرنسا من الأخذ بتأثير واقعة بافيا المشهورة عام (٩٣٠ هـ / ١٥٢٥ م)^(٢) بايطاليا جنوب ميلانو - والتي أخذ فيها ملك فرنسا أسيراً .

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٨ ؛ بسام العسلي ، القانوني القاعد ، ص ٥٩ .

(٢) خير الله أفندي ، تاريخي ، المجلد التاسع ، ص ١٩ .

ويظهر من سعي فرنسا لدى الدولة العثمانية أنها - أي الدولة العثمانية - أصبحت في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي عنصراً هاماً لحفظ التوازن في أوروبا على الصعيد السياسي .^(١)

ففي عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ م) تمكن العثمانيون من ضم البلاد العربية والأماكن المقدسة ، وشهد حكم السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٢ هـ / ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) توسعاً كبيراً وهاماً ، حيث اتجه بفتوحاته نحو أوروبا فاستولى على بلغراد بوابة أوروبا الوسطى ، وجزيرة رودس مفتاح شرق البحر المتوسط .^(٢)

وفي تلك الفترة كانت أوروبا تعاني انقساماً سياسياً ، فهناك الحروب بين شارل الخامس وملك فرنسا .^(٣) لذلك فإن من مصلحة فرنسوا ملك فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس وأعماله التوسعية .

وقد وصل أول سفير فرنسي إلى إسطنبول عام (٩٧٧ هـ / ١٥٢٥ م) واسمه (موجان مرتجيان) ومعه خطاب من ملك فرنسا إلى السلطان يطلب فيه مهاجمة المجر ، حليف شارل الخامس وقد قابل السلطان السفير الفرنسي في (٦ ديسمبر ١٥٢٥ م) باحتفال زائد وأجزل له العطايا .^(٤)

هذا وقد عقد فرنسوا الأول فرنسا معاهدة مع السلطان سليمان القانوني عام (٩٤١ هـ / ١٥٣٥ م) وكانت تلك المعاهدة ذات شقين حربي ،

Roger. B. M, Suleiman The Magnificent , PP, 50, 54(١)

Ibid. PP, 70 - 78.

Wilkinson Burke. Francis in all Hisglory, P, 204. (٢)

(٣) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٢٠٩ .

واقتصادي ، أما من الناحية الحربية فكانت معاهدة دفاعية هجومية ،
أما من الناحية الاقتصادية ، فقد منح السلطان سليمان القانوني بمقتضاها
دولة فرنسا بعض الامتيازات في بلاده ، ولم تكن هذه هي أول المعاهدات
الامتيازية ، فقد منح سلاطين المماليك الأوروبيين في مصر معاهدات
وامتيازات تجارية للبندقية وغيرها من دول أوروبا .^(١)

وقد أشار الدكتور يوسف الشقفي إلى هذه المعاهدة في كتابه
" دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور " ، بقوله
" إن هذه المعاهدة أعطت حق الاستفادة منها لملك إنجلترا والبابا وغيرهما .
ممن له الرغبة في ذلك شريطة نصديقها من السلطان العثماني ، وبذلك
حصل رعايا الدولة الفرنسية على امتيازات كانت أول شرارة تندلع
داخل الدولة العثمانية ، ظهرت أثارها البعيدة فيما بعد .^(٢)

بدأت فرنسا بعد هذه الاتفاقية في تخصيص السفن التجارية لنقل
البضائع والأقمشة والمصنوعات المعدنية من الدول الأوروبية كالألمانية
إلى الدولة العثمانية ، وتبادل التجارة مع بلدان الشرق الأدنى فـي
الصوف والقطن والحرير والبهارات ، وقد أصبح للفرنسيين في القرن الحادي
عشر الهجري السابع عشر الميلادي مجاًلاً كبيراً في التجارة مع بلدان الشرق
الأدنى وكان لفرنسا حوالي ألف سفينة تجارية ، كما كانت الدول الأوروبية
الأخرى مثل بريطانيا وهولندا تتاجر تحت العلم الفرنسي ، طبقاً للمعاهدة
المبرمة بين الطرفين .^(٣)

(١) محمود محمد زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٢) يوسف علي الشقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب

على مر العصور ، ص ١٠٧ .

Halil Inalick , Op, Cit., P, 137.

(٣)

وبالنظر إلى بنود تلك المعاهدة المتفق عليها بين كل من فرنسا والدولة العثمانية، نلاحظ بأن هذه البنود أتاحت الكثير من الامتيازات للفرنسيين داخل أراضي الدولة العثمانية، من حيث حرية التجارة — في جميع الأقطار العثمانية مع الحفاظ على الحقوق الفرنسية داخل الإطـار العثماني (١).

كما أعطت هذه الامتيازات للدولة الفرنسية الحق في فرض حمايتها على الرعايا الأوربيين، وحماية الأقليات الدينية داخل الدولة العثمانية. كما أن هؤلاء الفرنسيين قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد والكنائس، ومارسوا حماية على تلك الرعية المسيحية، وعلى النقيض من ذلك فإن التجار العثمانيين لم تكن لهم مثل تلك الامتيازات في فرنسا، ولا يحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية على نمط مساو للفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية (٢).

وقد حققت الدولة العثمانية نصراً سياسياً حين استغلت الإنشقاق الديني في أوروبا لتحقيق نصراً على شارل الخامس، ولم يكن ذلك النصر لصالح الدولة العثمانية، بل لصالح فرنسا (٣).

ومن الآثار السلبية لهذه الإتفاقية كما أشار الدكتور يوسف الشقفي أنها أتاحت الفرصة للفرنسيين للتعرف على طبيعة البلاد العربية

Halil Inalick, Op, Cit., P, 224. (١)

رأفت الشيخ، تاريخ العرب الحديث، ص ٢٩٩ يوسف الشقفي، دراسات متميزة، ص ١٠٧. (٢)

Steplenit. Fischer, Galoli. Ottoman Imperialism and German, P, 117. (٣)

Ibid. P, 117. (٤)

(١)

الإسلامية من حيث إمكانياتها وأماكن القوة والضعف بها .-

كل ماسبق مهد للإستعمار الفرنسي للبلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، ابان ضعف الدولة ، والدليل على ذلك ماقامت به فرنسا في القرون الحديثة من تحقيق أحلامها الإستعمارية ، فبسطت نفوذها على الأقاليم التابعة للدولة العثمانية واستعمرتها ، وبخاصة في الشمال الإفريقي ، فسيطرت باديةً ذي بدء على مصر بواسطة الحملة المعروفة (٢) - حملة نابليون - عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) هذه الحملة التي ساقتها فرنسا ، منافسة لبريطانيا على المصالح الاقتصادية في الشرق الأوسط ، مما جعل بريطانيا - خوفاً على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحر المتوسط - تعمل على عرقلة المشاريع الفرنسية ، وإخفاق فرنسا في تحقيق مناطق نفوذ في أملاك الدولة العثمانية مقارنةً بها . (٤)

وعلى الرغم من أن الاحتلال الفرنسي لمصر كان قصيراً وغير ناجح ، فقد كان حادثة هامة ومشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر ، فقد مهد هذا الإستعمار الطريق لحدوث تغييرات بدلت شكل مصر في خلال القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي فقد أثر العلماء الذين قدموا إلى مصر مع الحملة الفرنسية في الحياة الثقافية المصرية ، وقد دأب هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى مصر إلى دراستها من جميع الجوانب،

(١) يوسف الشقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، ص ١١١ .

(٢) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، ص ٧٩ .

(٣) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ .

(٤) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٧٢ - ٣٣٥ .

(١)
فدرسوا التربة والمناخ والمنتجات الزراعية والمعدنية ، وكان يقابل
هؤلاء العلماء في مصر المشايخ وعلماء الشريعة ، وقد حاول الفرنسيون
استمالتهم وإطلاعهم على ماحوته أبنية المجمع العلمي المصري الذي أسسه
نابليون ، ولكنهم رفضوا ذلك لإيمانهم بأن الثقافة الأوروبية قد جاءت
مع جيش غاز كافر ، كذلك عمل الفرنسيون على فرنسة التعليم ، وكان
الغرض الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يمكن إرجاعه إلى عصر محمد علي
إذ دخلت أفكار فرنسية كثيرة إلى مصر في خلال حكمه على أيدي رجال
أمثال (دروفتي) قنصل فرنسا في مصر و (منجان) والفضيل (٢)
الفرنسيين الذين بقوا في مصر بعد انسحاب فرنسا ، كما أتت المؤثرات
الفرنسية إلى مصر في عصر محمد علي مع البعثات التعليمية إلى فرنسا ،
(٣)
التي كان يشرف عليها (جومار) أحد علماء الجامعة الفرنسية .

واصلت فرنسا مواقفها العدائية من الدولة العثمانية حيث
اتفقت الدول الأوروبية الإستعمارية فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد الدولة
العثمانية ، وتذرعت فرنسا بشتى الذرائع لاحتلال الجزائر ، ولم تمنع
بريطانية ممانعة جادة ، ففي عام (١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م) نزل سبعة وثلاثون
ألف مقاتل فرنسي على ساحل خليج سيدي فرج (الذي يبعد ثلاثة وعشرين
كيلو متر غربي الجزائر) وكانت المقاومة عنيفة حيث فقد الفرنسيون
أربعمئة شخص ، بينما استشهد عشرة آلاف من العثمانيين ، ووقعت بعد
(٥)
ذلك وثيقة الإستسلام ودخل الفرنسيون مدينة الجزائر عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م) .

-
- (١) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ص ٢٢٠ .
 - (٢) محمد فؤاد شكري ، مصري مطلع القرن التاسع عشر ، ١٨٠١-١٨١١ م ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .
 - (٣) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ١٥١٦-١٩٢٢ م ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٧ .
 - (٤) ل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٢٨٧ .
 - (٥) آمال السبكي ، أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام ، ص ٢٠٣ .

فنهبوا خزينة البلاد التي تحتوي على ثمانية وأربعين مليون فرنك ،
ثم تلى ذلك في عام (١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) إعلان لويس فيليب ملك فرنسا
(١) ضم الجزائر رسمياً لفرنسا .

ومنذ ذلك الوقت وحركات المقاومة مستمرة بقيادة الأمير
عبدالقادر الجزائري، ومن تبعه من قادة الجهاد وقامت الكثير من
الثورات لنيل الإستقلال مثل ثورة لالا فاطمة عام (١٢٧٦ هـ / ١٨٥٩ م)، وثورة
المقراني عام (١٢٨٩ / ١٨٧٢ م) إلى أن نالت البلاد استقلالها .
(٢)

يعد الإستعمار الفرنسي للجزائر أشد وطأة وقوة ، فقد كان
التخريب الثقافي الذي أحدثه في الجزائر لتحقيق الفرنسة ، أو الإدماج أشد
خطراً وأكبر هولاً ، فقد كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزءاً منها ، وتريد
أن تفرض على المجتمع الجزائري عاداتها وتقاليدها ولغتها ، فقــــد
استخدمت اللغة الفرنسية أداة للقضاء على الشخصية الجزائرية ، وتربية
موظفين يكونون خدماً للإستعمار .
(٣)

لذلك فقد ناضل الأبطال أمثال الأمير عبدالقادر الجزائري
والمقراني إلى أن تحررت البلاد ، وقد ظل الجزائري محارباً للفرنسيين ستة
عشر عاماً .
(٤)

-
- (١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
 - (٢) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار
الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٦١ .
 - (٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ج ٣ ، ص ٢٤٢ .
 - (٤) عبدالله عبد الجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ١٦ - ٢٠ .

واصلت فرنسا سطوها على البلاد العربية ، فبعد مؤتمر برلين (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) ادعت وجود استغراضات على حدود تونس الجزائر ودخلت تونس بحجة حماية الأمن بقوة قوامها ثلاثون ألف جندي ، ثم عززت قواتها شيئاً فشيئاً واتجهت نحو العاصمة وحاصرت قصر الباي، وأجبرته على توقيع معاهدة ، وافق بموجبها على الإحتلال بدعوى حفظ الأمن والاستقرار ، واعترفت جميع الدول النصرانية بذلك الإحتلال ، أما الدولة العثمانية فقد أعلنت احتجاجها وفكر الباب العالي بإرسال السفن الحربية إلى هناك لاسيما بعد أن أعطت فرنسا لألمانيا حرية الحركة في تونس، وهددت بالحرب ، فأبدى الباب العالي رغبته بالحل السلمي عن طريق المفاوضات .^(١)

وبذلك ضاع جزء آخر من أملاك الدولة العثمانية ومار فريسة للدول الإستعمارية وأطماعها التوسعية في البلاد الإسلامية .

وافقت بريطانيا على إعطاء حرية التصرف لفرنسا في مراكش في اتفاقية لانزون كامبون المشهورة (عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٣ م) ووجد الحلفاء أن الوقت قد حان لحل المسألة الشرقية حلاً نهائياً وذلك باتفاقهم على تجزئة الدولة العثمانية ، وقد اختمرت فكرة التقسيم ، عندما توصلت كل من بريطانيا وفرنسا إلى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) تدعى بموجبها بريطانيا وفرنسا إلى مطالب روسيا . وفي حالة إنتصار الحلفاء فإن إسطنبول والمضائق تضم إلى ممتلكات روسيا على أن تعترف روسيا بحقوق بريطانيا وفرنسا في الممتلكات العثمانية^(٢)

(١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٥٥٩ - ٥٦٠ .

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ الشرق العربي ، ص ٤٤٦ .

الآسيوية ، ووافقت أيضاً على أن تكون الأماكن المقدسة الإسلامية والجزيرة العربية تابعة لبريطانية ، ولكن ذلك لم يحمل حيث لم تدخل هذه (١) المناطق تحت أي نفوذ .

لم تحدد بريطانيا ما كانت ترغب في الحصول عليه من ممتلكات الدولة العثمانية ، بينما طالبت فرنسا بضم سورية وخليج الإسكندرونة ، فوافق القيصر على ذلك ، ولكنه تحفظ بشأن فلسطين حيث أعلن (سارنوف) وزير الخارجية الروسية أنها لا تترك مناطق القدس والجليل والأردن وطبرية تحت حماية دولة غير أرثوذكسية ، وقد تبادلت الحكومات الثلاث إحدى عشر مذكرة تضمنت القواعد التي تم الإتفاق عليها وتضمنت معاهدة (سان بطرس برج) في مارس (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) تصفية الدولة العثمانية واقتسام أملاكها بين الحلفاء الثلاث وتأسيس مناطق نفوذ بريطانية فرنسية ، في البلاد العربية الآسيوية على النحو التالي :

* تتعهد بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تعمل يداً واحدة من أجل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها ، وتألّف حكومة إسلامية مستقلة تتولّى بريطانيا مراقبتها والإشراف عليها وإدارتها .

* التّعهد من الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيله .

* تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة حيث تضم بريطانيا العراق والمناطق العربية التي تشغل الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، والساحل الغربي للخليج الفارسي من البصرة شمالاً إلى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وعمان وحضرموت والمحميات حتى حدود عدن ونهاية

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

البحر الأحمر من الجنوب بالإضافة إلى مصر التي احتلتها عام (١٣٠٠ هـ /

(١)

١٨٨٢ م) •

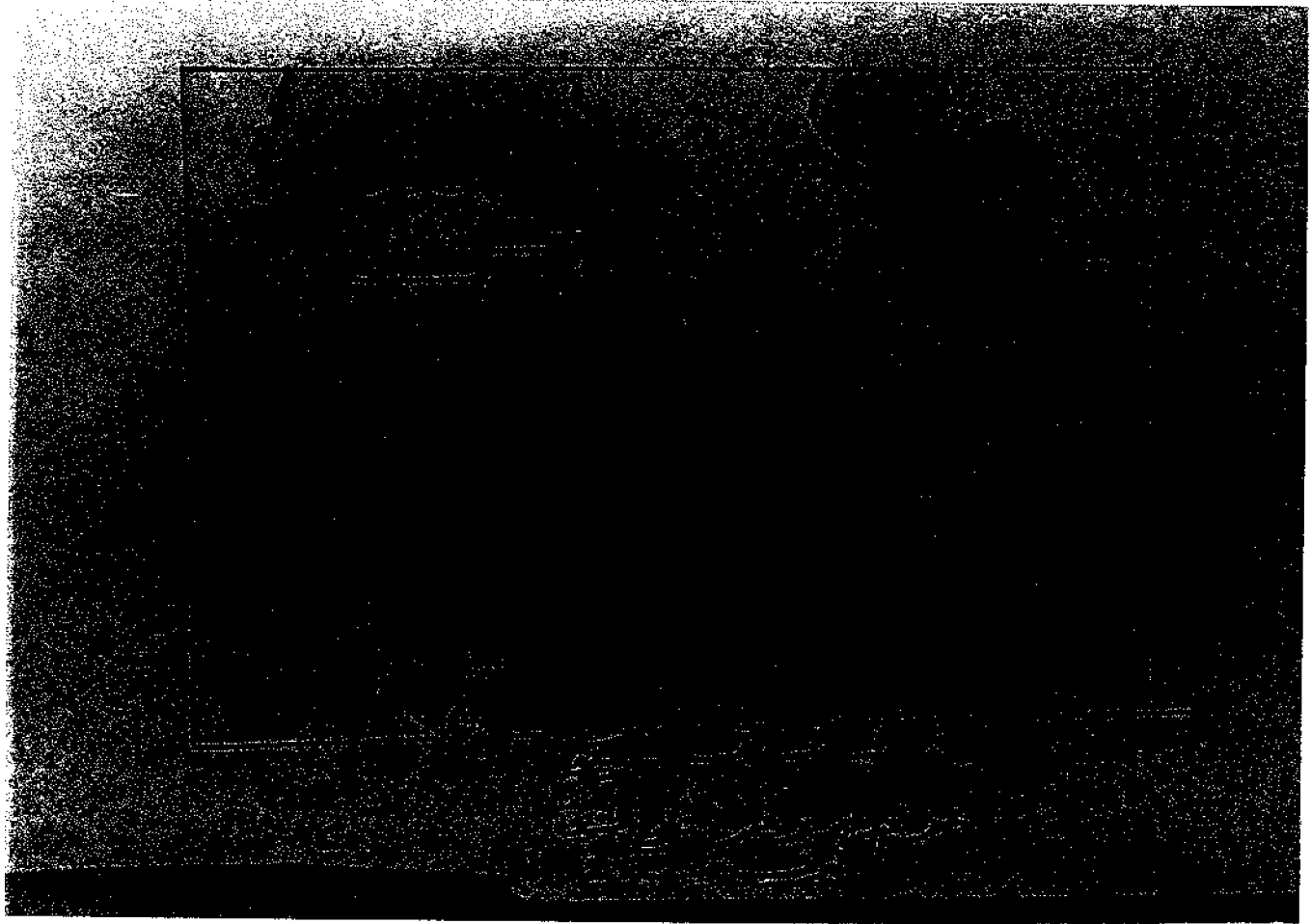
أما فرنسا فقد اختصت بالمناطق التالية من الشرق العربي وهي:

* المناطق المتفق على تقسيمها وتوزيعها بقية الساحل السوري على البحر المتوسط من الناقورة جنوباً إلى صيدا فطرابلس في بيروت واللاذقية فالإسكندرونة حتى الحدود التركية شمالاً ، وحتى الحدود العراقية شرقاً ، وبذلك تكون فرنسا قد خرجت بغنائم وأسلاب كبرى شملت لبنان ، والقسم الأكبر من سورية وكانت الموصل تعد جزءاً من سورية لذلك كانت في هذه الاتفاقية من نصيب فرنسا ، كما أنه توّلف منطقة عربية من منطقتي نفوذ فرنسا وبريطانيا ، وتكون مستقلة في شكل اتحاد من دول عربية وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسا وبريطانيا ، وأخرجت فلسطين من نطاق الدول العربية وطلبت وضع هذه المنطقة تحت إدارة خاصة ، وفقاً لاتفاقية عقدت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا ، وقد خصصت لفرنسا منطقة لونس باللون الأزرق ، تشمل الشريط الساحلي لسورية بما في ذلك لبنان ، ثم جنوب الأناضول بما في ذلك (أضنة) و (مرسن) (والإسكندرونة) وأعطيت لفرنسا حقوق إنشاء إدارة أو مرقبة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وذلك حسبما يتراءى لفرنسا ، وقد أشيرت إلى منطقة فرنسا بحرف (أ) على الخريطة وتشمل شمالي العراق بما في ذلك الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحلب وفرنسا في هذه المنطقة (أ) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية وتقديم المستشارين والموظفين الأجانب عند طلب الحكومة العربية ، أو اتحاد الدول العربية المستقلة . (أنظر الخريطة ص ١٢٠) .

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٣ •

(٢) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥١٩ - ٥٢٠ •

(٣) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ •



أما بالنسبة لبريطانية فأعطيت منطقة لونت باللون الأحمر واشتملت على أراضى ما بين النهرين بما في ذلك البصرة على الخليج العربي ثم بغداد ، كما حصلت على ميناءي حيفا ويافا في فلسطين ، وأنشأت إدارة مراقبة بنفس وسيلة فرنسا في منطقة نفوذها الزرقاء ، وإلى جانب المنطقة الحمراء ، منحت بريطانيا منطقة أخرى أشير إليها بالحرف (ب) محصورة بين خط طبرية أبو كمال - كركوك في الشمال وبين حدود المنطقة الحمراء في الشرق والجنوب الشرقي والجزيرة العربية في الجنوب ، وكان (١)
لبريطانيا في المنطقة (ب) نفس حقوق فرنسا في المنطقة (أ) .

كما نص الاتفاق على أن تكون المنطقتان (أ) ، (ب) الواقعتان بين المناطق الفرنسية والإنجليزية اتحاداً من الدول العربية أو الدولة العربية المستقلة تحت رئاسة رئيس عربي ، على أن تقسم إلى منطقة نفوذ فرنسية وإنجليزية وتشمل منطقة النفوذ الفرنسي المنطقة الداخلية إلى الحدود الإيرانية ، وأن تكون للدولة صاحبة النفوذ (بريطانيا أو فرنسا) الأفضلية في المسائل الاقتصادية وتقديم الموظفين والمستشارين الأجانب ، ونص الاتفاق أيضاً على إنشاء إدارة دولية في فلسطين لا يتقرر شكلها النهائي إلا بعد استشارة روسيا وشريف مكة . كذلك تضمنت الاتفاقية (٢)
أن يكون ميناء الإسكندرية حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية .

واصل المستعمرون الفرنسيون السيطرة على أملاك الدولة العثمانية (٣)
فاتجهت فرنسا لاحتلال سوريا ولبنان ، لاستكمال خططها الاستعمارية ضد

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٣) أحمد عسة ، معجزة فوق الرمال ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الدولة العثمانية لم يكن استعمار فرنسا لسورية ولبنان بضمراوة استعمارها للجزائر فقد وجدت فرنسا فيهما (سورية ولبنان) شعباً لاتنجح فيه الأساليب التعليمية السقيمة ، أو الإجرامية التي سارت عليها فرنسا في مستعمراتها ومحمياتها ووجدت أنه من العبث التفكير في وقف تيار التعليم ، ومحاربة اللغة العربية لفرط انتشارها في المدارس الحكومية والخصوصية لما تحدثه في محاربتها من تأثير سيء في سياسة فرنسا العامة ، وفي الشعب السوري واللبناني ، لذلك لسم تتعرض للغة والتدريس ، كما لم تتعرض للمجمع العلمي العربي الذي تأسس (١٣٣٨ هـ / ١٩١٩ م) ولكنها فرغت سياسة تعليمية تقوم على أساسين هما : فرض أساليب المناهج الفرنسية في التدريس ، وفرض اللغة الفرنسية على جميع مدارس القطرين ، وقد تضاعف عدد المدارس الفرنسية في أنحاء سورية ولبنان وكلها تدرس العلوم باللغة الفرنسية ، وقد حاربت اللغة العربية بشتى الوسائل وعملت على نشر اللغة الفرنسية .

(١) عبدالله عبدالجبار ، الفوزو الفكري في العالم العربي ، ص ٢٣ - ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

أما بريطانيا فان موقفها من الدولة العثمانية جاء متأخراً
بعض الشيء بالنسبة للمواقف الأوروبية الأخرى .

كانت علاقة بريطانيا بالدولة العثمانية - قبل بداية القرن
الثاني عشر الهجري / أواخر السابع عشر الميلادي ، وحتى منتصف القرن
الثامن عشر - تجارية فقط .^(١)

وأثناء الحرب العثمانية الروسية (١١٨٢ - ١١٨٨ هـ / ١٧٦٨ -
١٧٧٤ م) لم تكن المضائق وشرق البحر المتوسط لها أية قيمة لديها
حتى أنه أمكن لأسطول روسيا أن يحتل جزر اليونان والمورة بارشاد
وموافقة من بريطانيا .^(٢)

وقد أدركت بريطانيا أهمية الإمبراطورية التي أسستها في
شرق البحر المتوسط في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / بداية الثامن
عشر الميلادي لذلك رأت أن القيام بالمحافظة على الطرق المؤدية إلى تلك
الإمبراطورية أصبح هدفاً رئيسياً لسياستها ، وإن أقصر الطرق مابين
أوروبا والهند ، - حيث المستعمرات البريطانية - كان يمر بالبحر المتوسط^(٣)
فهذا الطريق لم تكن له قيمة إقتصادية فحسب بل وقيمة سياسة لـسدى
بريطانيا ، مما جعل المحافظة على هذا الطريق من الأمور الهامة بالنسبة
لها .^(٤)

(١) Enver Ziya, Osmanli Tarihi, Part 5, P, 207 .

(٢) Ibid. Part 5, P, 207 .

(٣) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٤٣ .

(٤) عبدالعزيز رفاعي ، قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧ م ،
ص ٧ .

لقد قامت بريطانيا واحتلت جبل طارق عام (١١٢٥ هـ / ١٧١٣ م) حتى لا تنفرد روسيا بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط مع فرنسا ، حيث كان من أهداف نابليون بونابرت ضرب بريطانيا في سياستها الإستعمارية فسارعت بريطانيا بالإتفاق مع روسيا والدولة العثمانية لإخراج فرنسا من مصر بعد عدة إتفاقيات .^(١)

لقد كانت بريطانيا تدرك أن تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية قد لا يتحقق إذ لم تقم بالدور الفعال ضد السياسة الفرنسية في المنطقة ، فقررت استغللت إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا وروسيا وحالة الضعف التي انتابتها نتيجة الحروب والمشاكل الداخلية ، كما أغراها الموقع الإستراتيجي لمصر ووجود طريق الهند الذي كانت تسلكه التجارة البريطانية من الإسكندرية إلى السويس عبر الصحراء ، فوقفت ضد بريطانيا في تلك المنطقة نظراً لموقفها من الثورة الفرنسية في تلك الفترة ، بالإضافة إلى الحرب بين الدولتين التي خرجت منها فرنسا وقد فقدت معظم مستعمراتها في الهند وكندا ، فأرادت فرنسا تعويض تلك الخسارة على حساب بريطانيا التي أجبرتها على ترك مواقعها ، وظنت أن باحتلالها لمصر تنتقم من بريطانيا وتجبرها على الرضوخ لمطالبها .^(٢)

بناءً على ذلك صدرت الأوامر لنابليون بونابرت في (١٤ ذو الحجة ١٢١٣ هـ / ١٩ مايو ١٧٩٨ م) باحتلال مصر بدون إعلان الحرب ، ويكـون

-
- (١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .
 - (٢) عبدالعزيز الرفاعي ، قصة الجلاء عن مصر ، ص ٧ .
 - (٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ - ١١٩ .

ذلك سراً وخفية عن أعين بريطانيا فجهز نابليون جيشاً قوامه ستة وثلاثون ألف محارب مدرب ، وعشرة آلاف بحار ، وبصحبه ثلاثون سفينة حربية ، ومراكب وسفن صغيرة أخرى ، ومائة وإثنان وعشرون عالماً من مختلف التخصصات ، وتحرك الجيش من فرنسا وتمكن من إحتلال مالطه ، (١) وسار بعد ذلك إلى الإسكندرية وأنزل الجند بالقرب منها ، ولم يلبث أن احتلها وقد ترك نابليون بها قائده كليبر ، واتجه هو إلى القاهرة عن طريق الصحراء ، بعد تغلبه على المقاومة ، وتمكن من دخول القاهرة (٢)

(في ١٧ صفر عام ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليو عام ١٧٩٨ م) •

وحيثما علم العثمانيون باحتلال مصر أخذوا يعدون العدة لمحاربة الفرنسيين ، لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت مستقرة وهادئة البال من جانب النمسا وروسيا ، حيث كانتا منشغلتين بمحاربة فرنسا ، خوفاً من تسرب مبادئها الحرة إلى بلادهما ، أدركت بريطانيا كل هذه الأعمال الفرنسية وأحست بأن سياستها (٣) يجب أن تتخذ المسار الذي بواسطته قد تحقق أهدافها ، فقامت بعرض مساعدتها للدولة العثمانية بهدف إخراج الفرنسيين من مصر • (٤)

وفي حقيقة الأمر كانت بريطانيا تهدف من ذلك حماية طريق الهند من أن يكون في قبضة دولة قوية تتحكم فيه وفي ذلك خطر عليها ، فقبلت الدولة العثمانية المساعدة البريطانية بكل ارتياح • (٥)

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ •

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ٣٧٤ •

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٥ •

(٤) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٥ •

(٥) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، ص ٧٩ •

هذا وقد عرضت روسيا إمداد الدولة العثمانية بمراكب بحرية فوافقت الدولة العثمانية ، وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا، فـ في الحادي والعشرين من ربيع الأول عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) وأخذت في جميع الجيوش بمدينة دمشق ، وجزيرة رودس ، لإرسالها إلى مصر ووصلت البحرية الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز إسطنبول ، وخرجت إلى البحر المتوسط مع السفن العثمانية .^(١)

وعندما علم بونابرت بذلك الاستعداد ، وجد أن الحرب لن تكون في صالحه إذا لم يفاجئ الدولة العثمانية في بلاد الشام ، ويحتل القطر السوري، فلماذا عزم نابليون على الإستيلاء على بلاد الشام فاتجه من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً الشام عن طريق العريش فاحتلها في أواخر شعبان عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) ودخل مدينة غزة في التاسع عشر من رمضان من نفس العام ، وسار منها في ثلاث وعشرون من رمضان ووصل الرملة في خمس وعشرين منه ، ومنها اتجه إلى يافا فوصلها في سبت وعشرون من رمضان واحتلها بالقوة في أول شوال ، ثم مضى إلى عكا ووجد فيها مقاومة عنيفة ، وقبل وصوله إلى يافا قام بعملية وحشية لا إنسانية حيث قتل من معه من الجرحى والمرضى من جنده حتى لا يعيقوا تقدمه ، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة .^(٢) عندما علم نابليون بقدوم الجيش العثماني من رودس ونزوله بأبي قير في جيش بلغ ثمانى عشرة ألف مقاتل ، سار بونابرت لحربهم وانتصر عليهم وأسر قائدهم الأكبر مصطفى باشا ، وفي هذا الموقف لعب البريطانيون لعبتهم فالقائد البريطاني (الأميرال كيث)

(١) على حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٧ .

(٣) على حسن ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

أرسل لنابليون عدة نسخ من الجرائد الفرنسية والتي توضح انتصار النمساويين على فرنسا وشيوع الفوضى بها فأراد نابليون استغلال الفرصة للوصول إلى السلطة فارتحل إلى فرنسا خفية ، وترك قائده (كليبير) وكيلاً عنه في مصر .^(٢)

عندما علمت الدولة العثمانية وبريطانيا برحيله فيقتت الخناق على قائده في مصر ، وتناقض عدد الجيش الفرنسي ويثن القائــد (كليبير) من الحفاظ على مصر ، فاتفق مع الباب العالي والأميرال البريطاني (سدي سميت) (٣٠ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠ م) على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلحها ومدافعها، وتعود إلى فرنسا على مراكب بريطانية، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق ، واستمر الفرنسيون في مصر إلى أن تم انسحابهم منها في (ثمان وعشرين من صفر ١٢١٦ هـ / ١٠ يوليو ١٨٠١ م) .^(٣)

إن موقف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ، كان انطلاقاً من محافظتها على مصالحها، فعندما تعرضت تلك المصالح للخطر الفرنسي على يد دولة منافسة لها وضعت يدها في يد الدولة العثمانية لحماية تجارتها في الهند من منافسة دولة قوية كفرنسا ، وحاربت مع الدولة العثمانية إلى أن خرج الفرنسيون من مصر، واطمأنت على مستعمراتها في الهند، ومع العلم أن بريطانيا ساهمت في طرد الفرنسيين من مصر إلا أننا لانعفيها كدولة أوربية من أطماعها الإستعمارية التي كانت ترغب في تحقيقها في

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوروبا الحديث ، ص ١٨ .

(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٣٧٦ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

الشرق الأوسط ، فهي لا تختلف عن فرنسا وأطماعها ، فكل منهما لا تهتمه مصلحة الدولة العثمانية ، بقدر إهتمامه بمصلحته الذاتية ، وتحقيق ما يمكن تحقيقه من مناطق نفوذ الشرق الأوسط .

إذا كانت الحملة الفرنسية عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) قد أثرت على مستقبل مصر السياسي في القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، فإنها أدت أيضا إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق العربي ، فلقد أحدثت هذه الحملة الفرنسية ردود فعل مباشرة على منطقة الخليج العربي وأصبح التنافس السياسي الحربي بين بريطانيا وفرنسا هو الموجه لتاريخ المنطقة لعدة سنوات ، فقد أدى ذلك إلى تغيير سياسة بريطانيا بالدولة العثمانية فلم تعد هذه السياسة تجارية فقط ، بل قفزت هذه العلاقات إلى الناحية السياسية ، وتولت وزارة الخارجية البريطانية تعيين السفير البريطاني في إسطنبول ، كما أدت هذه الحملة إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي .^(١)

عملت إنجلترا على إقامة علاقات صداقة مع كل من سلطنة عمان ، والعراق . ولقد حاول بونابرت في عام (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) التحالف مع سلطان عمان ضد بريطانيا ولكنه فشل ، وفي نفس الوقت أرسلت شركة الهند أحد موظفيها من الفرس - مهدي علي خان - للتفاوض مع السلطان في عقد اتفاق معه في (١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م) وقع مهدي علي خان أول معاهدة سياسية ربطت بين سلطنة عمان وبريطانيا ويظهر من نصوص هذه المعاهدة إنها تهدف إلى إقصاء فرنسا أكثر من كونها علاقة صداقة مع سلطان بن

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .

(١)

أحمد حاكم عمان ولكنه فشل .

وقد نجحت بريطانيا في ضمان وقوف العراق بجانب بريطانيا

(٢)

في النزاع الذي انتقل إلى الشرق الأوسط .

كما وقعت بريطانيا اتفاقية مع حكام البحرين عام (١٢٨٠هـ/

١٨٦٣م) كذلك وقعت معاهدة الحماية مع أمراء الكويت (عام ١٢١٧هـ/١٨٩٦م)

وبعد ذلك اعترفت بريطانيا بالكويت كدولة مستقلة تحت حمايتها فـ

(٣)

(٣ نوفمبر ١٩١٤م) وربطت باقي الإمارات العربية بمعاهدة حماية، ولم

تخضع للنفوذ الإستعماري الغربي الأراضي السعودية واليمن حيث كانت

ترابط فيهما القوات العثمانية، ثم لم يلبث أن ظهر الملك عبدالعزيز،

وعمل على استرداد ملك آبائه وأجداده فبدأ باستعادة الرياض عام

(١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م) ، وان علاقة الملك عبدالعزيز ببريطانيا لم تكن

(٤)

كغيرها من الدول .

لم تكن دول الخليج العربي وجنوب البحر الأحمر آخر عمليات

السطو المباشر على أملاك الدولة العثمانية، فلقد تمكنت بريطانيا من إبعاد

فرنسا عن سباق المنافسة معها فاحتلت مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) ،

(٥)

فبعد الهزيمة التي لقيها محمد علي باشا (١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م) أصبح

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .

(٣) أحمد حسن جودة ، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩م ،

ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(٤) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج ١ ، ص ٨٨-٩٦ .

(٥) ل . ج . شينى ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

لبريطانيا النصيب الكبير في تمذير بضائعها لمصر، دون دفع رسوم تذكر،
 وكثرت الديون المصرية من البنوك البريطانية في عهد الخديو إسماعيل،
 فبيعت أسهم القناة لبريطانيا ^(٢) ، وفي عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) بدأت
 القوات البريطانية بقصف الإسكندرية ، فأصدر أحمد عرابي وزيرالحربية
 أوامره إلى القوات المصرية بمقاومة البريطانيين ، ولكن الخديو
 توفيق انحاز إلى جانب المحتلين ، وأصدر أوامره إلى أحمد عرابي
 بوقف إطلاق النار، وعندما رفض عرابي ، أعلن الخديو عصيانه وعزله من
 وزارة الحربية، ومما مكن بريطانيا من السيطرة على مصر أن مهندس القناة
 فرديناند ديلسبس ، الذي تعهد لأحمد عرابي بوقوف القناة على الحياد، أخل
 بوعده ^(٣) فوصل الإنجليز إلى الإسماعيلية ومنها إلى القاهرة عن طريق قناة
 السويس ، بعد أن ألحقوا هزيمة بالقوات المصرية في التل الكبير، وفرضت
 القوات الإنجليزية التعويضات على الشعب المصري ، وحكم على أحمد عرابي
 وأنصاره بالموت ، الذي استبدل بالنفي إلى جزيرة سيلان، وأصبح اللورد
 (كرومر) الإنجليزي حاكماً مطلقاً على مصر .
^(٥)

(٦)

بدأت بريطانيا ترنوا ببصرها نحو السودان والسيطرة عليه،
 بعد أن أطمأنت إلى إخلاصه من القوات المصرية، فوصلت حملة إليه كان أكثرها
 من البريطانيين ، والبقية من المصريين والسودانيين ، بقيادة (كتشنر
 سردار) القائد العام، وقد لقي الجيش البريطاني مقاومة عنيفة من المهدي

-
- (١) عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ، ج ١ ، ص ٨٤ .
 - (٢) عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، ج ١ ، ص ٨٨-٩٦ .
 - (٣) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .
 - (٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٤ ، ص ٤٠٨ .
 - (٥) محمد فؤاد شكري ، بناء دولة محمد علي ، ص ١٥٣ .
 - (٦) إل . ج . شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

في السودان ، ولكن بعد وفاة المهدي تمكنت بريطانيا من احتلال السودان ، وقد قامت على أثر ذلك حركات المقاومة حيث سجل السودان ثلاث حركات تحريرية هي : حركة المهدي في السودان ، وحركة اللواء الأبيض ، وحركة الخريجين ، إلى أن نال السودان استقلاله عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) .^(١)

لم تكتف بريطانيا بما سلبته من أملاك الدولة العثمانية ، بل اتجهت نحو بلاد الشام ، وقسمتها فيما بينها وبين حليفها فرنسا طبقا لاتفاقية سايكس - بيكو عام (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦ م) ، فقد كانت بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية تكون وحدة سياسية واحدة ، وعند قيام نظام الإنتداب عام (١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) قسمت بلاد الشام إلى أربعة أقسام سياسية : سورية ، ولبنان ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، أخذت بريطانيا فلسطين وشرق الأردن وفرضت عليهما الحماية البريطانية .^(٢)^(٣)^(٤)

وفي ظل الإنتداب البريطاني بدأت طلائع اليهود تغزو فلسطين ، وتقوم بإعداد المستعمرات ، والسطو على الأراضي العربية وتحويلها إلى مستعمرات يهودية ، وبذلك زرعت هذا الكيان القذر فصار بؤرة فساد وشوكة في جنب الأمة الإسلامية يقوم بالإرهاب والاعتصام والاعتداء .

أما باقي بلاد الشام فكانت من نصيب فرنسا كما أشرنا إلى ذلك حيث استولت على سورية ولبنان وفرضت عليهما حمايتها إلى أن نالت

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٨٢ - ١٨٤ .

(٢) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٣ .

(٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٢١ .

(١)

هاتان الدولتان استقلالهما عام (١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) .

لم يكن سبيل الإحتلال والعدوان المسلح هو الطريق الوحيد الذي إتخذته بريطانيا ، بل سلكت سبل أخرى لحماية مصالحها في الدولة العثمانية .

إن بريطانيا لم تتورع عن مساعدة أبناء جلدتها ومساعدتهم في تمردهم ضد الدولة العثمانية عند شعورها بالخطر ، فعندما بدأ التمرد اليوناني ، أخذ الرأي العام في بريطانيا يؤيد هذا التمرد، وأعلنت بريطانيا أن المتمردين محاربون ، حتى وصل بهم الأمر أن طلبوا من الدولة العثمانية حماية اليونان ، ولكن رفض ذلك الطلب ——— (٢)
(١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م) .

لقد كانت بريطانيا قلقة من توطيد محمد علي أقدامه في البحر المتوسط، لأنها ترى في ذلك إضراراً بمصلحتها، ولهذا اتفقت مع روسيا ضد الدولة العثمانية عام (١٢٤٢ هـ - ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ - ١٨٢٧ م) على أن يستقل اليونان وأن يدفع للدولة العثمانية ضريبة معينة على أن يخرج جميع الأتراك من اليونان ، ثم انضم إليهم في هذا الإتفاق فرنسا ووقعوا معا معاهدة لندن عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) وبلغ هذا القرار إلى كل من النمسا وفرنسا وبروسيا ، وبلغت الدولة العثمانية بالقرار وفي حالة عدم موافقتها عليه ، فإن بريطانيا سوف تقف بجانب المتمردين

(١) لورانس ، لغز الجزيرة العربية ، ص ٢٥٧ .

(٢) إميل خوري ، وعادل إسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي، ص ١٨ .

(٣) Enver Ziya, Op, Cit., Part 5, P, 117 .

باليونان ، أما إذا وافقت على القرار فسوف يقف إطلاق النار، وعندما رفضت الدولة العثمانية ذلك اجتمعت ضدها الدول الأوروبية (فرنسا، روسيا، بريطانيا) وهاجموا الأسطول العثماني والمصري في ميناء (نافارين) وقد تسبب دخولهم ميناء نافارين في حرب بحرية ، وأغرقت جميع السفن العثمانية والمصرية عام (١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م) في نافارين .^(١)

واصلت الدول الصليبية تحزبها ضد الدولة العثمانية فوقعَت معاهدة سان ستيفانو عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) بين روسيا والدولة العثمانية وبموجب هذه الإتفاقية فقدت الدولة العثمانية جميع ممتلكاتها الأوروبية .^(٢)

مما تقدم نلمس أن بريطانيا كغيرها من الدول الأوروبية الأخرى، وقفت من الدولة العثمانية موقف الحقد والطمع في آن واحد ، فحققت أهدافها وأطماعها في الدولة العثمانية، عن طريق السيطرة على الكثير من المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية، إما بالإستيلاء والإحتلال العسكري، أو بالتحالفات مع الدول الأوروبية ، أو بتحريض دول البلقان والوقوف إلى جانبها أثناء قيامها بالثورة ضد الدولة العثمانية ، كمساعدتها للثورة اليونانية ووقوفها إلى جانب اليونان ، وتزويدها بالسلح، إلى أن نالت استقلالها، وبذلك اقتطع هذا الجزء من الدولة العثمانية كما اقتطع غيره من قبل تحقيقاً للأهداف الإستعمارية البريطانية في الدولة العثمانية ، ثم أنها تمكنت من الإستيلاء على مناطق مهمة (واستراتيجية) في الشرق الأوسط وربط بعض المناطق بمعاهدات واتفاقيات ، تجعلها تحت حمايتها وهكذا كان الموقف البريطاني من الدولة العثمانية موقفاً له آثاره البعيدة والسيئة ، ليس على الدولة العثمانية أبان ضعفها وإنما على العالم العربي، في فترة ما بعد الحكم العثماني .

(١) Seton - Watson, Magh. The Russian Empire P, 298.

(٢) على حسون العثمانيون والبلقان ، ص ٢٤١ .

الفصل الثالث

رُدُّودُ الْفِعْلِ الْأُورُبِّيَّةِ عَلَى الْوُجُودِ الْعُثْمَانِيِّ فِي أُوْرُبِّيَا

- ١- الرأى الأورجى العام وآراء المؤرخين فى الدولة العثمانية .
- ٢- الحملات الشهيرية بالدولة العثمانية .
- ٣- تضاد أول الوجود العثمانى فى أوربىا .

لقد كان لانتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى الأثر العظيم على نفوس أعدائه من الغربيين ، حيث اعتبروه خطراً يهدد مسيحيتهم ، وأستمر الرعب في نفوس الصليبيين يأخذ طريقه كلما تحقق للدولة الإسلامية ازدهار وتوسع . فما أن كان القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي حتى شعر أعداء الإسلام بأن الأمجاد الإسلامية وصلت إلى عقر دارهم ، فبدؤوا يحقدون على كل من يحمل لواء الإسلام ، وبدؤوا كعادتهم يرون أن من واجبه التصدي للفتح الإسلامي بالكلمة والسلاح على حد سواء . ولأن الدولة العثمانية هي التي كانت تحمل لواء الإسلام وتنشره في جنوب شرق أوروبا ، فقد شعرت أوروبا - وهي حاقدة - بأن الإسلام خطر عليها وعلى مسيحيتها ، وإن في كلمات الأسقف وليام كاش في كتابه (النصرانية والإسلام) أبلغ دليل على ذلك إذ يقول (إن فرائض أوروبا كانت ترتعد عندما يعلن الخليفة التركي الجهاد) ، ولهذا القول وزنه الكبير لاسيما وأن صاحبه من كبار رجال الكنيسة ، وقد استطرد كاش قوله : وينبغي لنا أن نعتبر بتاريخين هما : عام (١١٤٤هـ / ٧٣٢م) عندما هزم شارل مارترسل العرب في موقعة بواتيه (بلاط الشهداء) و عام (١٠٩٥هـ / ١٦٨٣م) عندما رد يوحنا الثالث البولندي الجيوش التركية عن فينا ، وقد أتخذ الأتراك الهلال رمزاً لهم في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي باعتباره رمزاً دينياً وحربياً ^(١) ، ويذكر الأستاذ رنجواي : " أن الهلال هذا لعلقة له بالقمر ، بل يمثل نابين من أجل الإنقضاء على الفريسة (أوروبا) وهذا يمثل صورة واضحة لسياسة الدولة العثمانية في إخضاع الشعوب الأوروبية ، فإذا رسمنا هلالاً على خريطة جغرافية فإن أحد طرفيه يبدأ من جبال البرنس ويمر إتحناؤه عبر

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ .

أسبانيا فشمالى إفريقيا فمصر وفلسطين وسورية والبسفور ، والطـرف
الآخر فى فينا ، إذاً لاستطعنا أن نرسم فى أذهاننا صورة واضحة للمعنى
المتمثل فى المطاعم الإسلامية ، وبذلك يكون ، أحد طرفى الهلال فى أسبانيا
والآخر فى النمسا ، ولقد عملت الجيوش الإسلامية لبلوغ ذلك اليوم الذى
تلتقى فيه النقطتان فى قلب أوروبا^(١) .

ومهما يكن فى هذا التمثيل من البعد عن الحقيقة ، إلا أنه
يعطى صورة واضحة عن الشعور الأوروبى العام تجاه العالم الإسلامى ، وامتداد
الدولة العثمانية ممثلة الإسلام نحو أوروبا ، وفى ذلك بيان لشعور الهلع
والذعر والخوف الذى عاشته أوروبا طوال تلك السنين ، كما أنه مما لاشك
فيه أن الشعور الأوروبى الدينى كان عنيفاً ضد المسلمين ، والتعصب الدينى
لعب دوراً كبيراً فى حركة تشويه الإسلام وسمعة العرب ، والتعمية على
حضارتهم ، ومما لا يتطرق إليه شك فى أن المهيونية والاستعمار تضافرت
جهودهما مع التعصب الدينى ، وبذلك تحزبت تلك القوى ضد العالم الإسلامى
وأنشئت مخابها فيه ، ولاتزال تعمل من أجل السيطرة والتأمر عليه بشتى
الطرق والوسائل للوصول إلى أغراضها .

كذلك نرى أن الأوربيين نظروا للفتوحات العثمانية فى أوروبا
على أنها فتوح إسلامية ، وتعمق ذلك الشعور فى أذهانهم ، أن أى نصر
عسكرى تحققه الدولة العثمانية يمثل نصراً للإسلام وهزيمة للنصرانية
فباسم الإسلام فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام (٨٥٧ هـ /
١٤٥٣ م) وأخذها عاصمة بعد أن استبدل اسمها (بإسلام بول) وأخذ
بتنفيذ المشروعات الخاصة بالمدينة ، وكذلك باسم الإسلام أخذ يخطط وينظم
للاستيلاء على روما مقر البابوية ، وبالفعل نزلت القوات العثمانية
فى روما (١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣١ .

(١)
في أوترانتوا في مملكة نابولي عام (٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) وأسرت إحدى
عشر ألفاً من سكانها ، وأعتزم السلطان اتخاذها قاعدة للانطلاق في شبه
جزيرة إيطاليا ، للوصول الى روما ولكن المنية عاجلته قبل تنفيذ ذلك
الحلم الرائع ، وبذلك تنفست أوروبا المصدأة ، حين علمت بوفاته ،
(٢)
فأمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام .

أوغلت الجيوش الإسلامية العثمانية في أوروبا حتى بلغت مشارف
فيينا ، وتصاعد العداء بين أوروبا المسيحية والعثمانيين حكام الدولة
الإسلامية ، فلم يكن عجباً أن الأجيال المتعاقبة من الأوروبيين الذين
عاصروا الدولة العثمانية على امتداد تاريخها قد ربطت بين الإسلام والدولة
العثمانية ، ورسخ في أذهان الأوروبيين أنها الرمز الحي للإسلام ، لذلك
عندما كان أحد الأوروبيين المسيحيين يعتنق الإسلام فلا يقول عنه الأوروبيون
أنه أصبح عثمانياً بل يقال عنه أنه أصبح مسلماً .
(٣)

وهكذا ارتبطت الدولة العثمانية بالإسلام وأرتبط بها ارتباطاً
وثيقاً ، وتصاعد العداء والكرهية بين الحكومات الأوروبية ضد
الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

لذلك فقد استيقظت الشعوب الأوروبية لتجد نفسها لأول مرة تخضع
لحاكم مسلم ، وعملت جاهدة لتصفية هذا الوجود الإسلامي العثماني في أراضيها
وأسهمت معها دول أوروبية أخرى ، لم يصل اليها الحكم الإسلامي ، جمع بينهم
هدف واحد وغاية واحدة هي الانتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام ، وتوزيع

Bernard Lewis., The Emergence of Modern Turkey, P, 13. (١)

Ibid., P, 13 . (٢)

Ibid., P, 13 . (٣)

ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينهم ، وإنهاك قواها وتشتيت تركيزها في جهات شتى ، وذلك بتحريض رعاياها على الثورة في مقاطعاتها المختلفة ، وإمدادهم بالأسلحة والمال لأجل ذلك ، والفتك برعايا الدولة المسلميين ، وتعددهم بالتعويض فيما لو فشلت هذه الثورات ولم تحقق أغراضها .

تلك كانت مقدمة عن الإنطباع الأوربي العام عن الدولة العثمانية التي فتحت في أوروبا باسم الإسلام ، وعملت على نشره ، وسرى بعد ذلك في الصفحات التالية ، آراء المؤرخين الأوربيين في الدولة العثمانية ، وهم في هذا الموضوع ينقسمون إلى فئتين : الفئة الأولى وهي التي كتبت عن تقدم العثمانيين إلى أوروبا ، وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، وأسندت ذلك عن قصد إلى البطش والقوة والقهر والجوع ، أما الفئة الثانية فهي معتدلة وذكرت مايجب ذكره تجاه الدولة العثمانية ولو على مفض .

من أمثلة الفئة الأولى ما ذكره هربرت فشر عن تقدم العثمانيين نحو أوروبا حيث أورد : أن العالم الأوربي في تلك الفترة لم يكن قادراً على توحيد جهوده وصفوفه ، فقد سادته التفكك والانقسام والنزاع والخصومة الشديدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كل ذلك مكن العثمانيين من تثبيت أقدامهم وتوسيع رقعة بلادهم ، وتقدم فتوحاتهم باتجاه أوروبا .^(١)

والمؤرخ الآخر هو ربنسون الذي يؤيد قول زميله السابق ، فيقول أن دول البلقان ذات التكوين الضعيف لم تستطيع الوقوف ضد قوة العثمانيين — وبذلك انتصر الأتراك في أرض المعركة ولم تصمد أمامهم تلك الدول ، كما^(٢)

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٤ .

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101 .

ذكر بروكلمان أن وضع البلقان والنزاع المتوصل بين مغار الأمراء وتنازعهم على السلطة أدى إلى أن يتوجه السلطان مراد بن أورخان إلى البلقان، ويشن هجوماً على أولئك الأمراء ويتمكن من تحقيق الإنتصار عليهم .^(١)

وهذا مؤلف آخر يحاول أن يصف العثمانيين بعدم تقدير الحضارة والإهتمام بها ، فيذكر أن العثمانيين لم يقيموا للحضارة الأوروبية وزناً ولم يدركوا قيمتها حيث عاش العثماني غريباً في أوروبا ، ليس له نصيب من عاداتها وتقاليدها ، ولاتتعدى نظرتهم إلى البشرية إلا أنها لاتصلح إلا للإسترقاق والعبودية والتبعية .^(٢)

وهذه مؤلفة أخرى هي ماري ملزباتريك تصف الجيش الإنكشاري بأنه جيش الأرقاء لخدمة السلاطين وحمايتهم .^(٣)

وهذا آخر يحاول التقليل من أهمية الفتوحات العثمانية في أوروبا ويبرر الهزائم التي لحقت بهم في أوروبا الي انهيار البنيان الإجتماعي حيث كان الفلاح يثن تحت الضرائب البيزنطية ، والمراع الكنسي الرهيب .^(٤)

ولم تخل كتابات مؤرخي أوروبا من التهكم والسخرية من طريقة الحياة ، والمعيشة العثمانية فيصف فشر البيت العثماني بأن الزائر الأوروبي

(١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٢) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .

(٣) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٣ ، فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣١ .

(٤) Norman Itzkowitz, Op, Cit., P, 13 .

إذا رأى البيت العثماني خيل إليه كأنه رأى بيتاً مهجوراً من البيوت الملحقة بقصور الأغنياء في ريف إنجلترا، وكان جماعة من المسافرين عثروا فـ في طريقهم على هذا البيت فآلفوه خالياً إلا من تراب الإهمال (١) فأخذوا في تهيئته للإقامة به بضعة أيام .

ويستطرد فشر في وصفه للعثمانيين حيث يقول : إن خلقهم أمتاز بشيء غير قليل من الهيبة الممتزجة بوقار الطلعة وبأن تفكيرهم لا يتعدى لزوميات الحكم الإمبراطوري مبادئ الأوليغاركية الإستثنائية، وهي المبادئ التي تعتمد على الرقيق وتنظر إلى البشرية المحيطة بها كأنها لا تصلح إلا للإسترقاق والعبودية، وجاء هذا الرأي متفقاً مع رأى المؤرخ الإنجليزي أرنولد توينبي حيث قال : " إن طاقاتهم الرعوية انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطعان إلى حكام إمبراطورية ومثل كل البشر فإن الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربيهم السابقة، فمزال عالقاً بتفكيرهم أنهم رعاة وكل مافي الأمر أن قطعانهم لم تعد من الماشية بل من البشر ولكي تظل هذه القطعان البشرية تحسنت سيطرتهم فقد أنتقوا ودربوا كلاباً (الإنكشارية) لحراستها وصادفوا (٢) متاعب أشد في تربيتها وتدريبها عن تلك التي صادفها أسلافهم الرعاة " .

وهذا فشر أيضاً في وصفه للشخص التركي يذكر أنه كسولاً خاملاً ، صلفاً غيبياً ، لا يصلح للعمل في الصناعة والتجارة ، لذلك رضى للمسيحيين بممارسة العمل في تلك المهن ، وكان لا يملك الثقافة الخاصة به فعـاش

(١) فشر ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٣٦٠ .

(٢) نفس المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .

(٣) Toynbee. A Study of History, The Osmanils, Part 3, P, 22 .

اليونانيون والبلغار والصرب تحت حكم عثماني متراخ غير منظم يمارسون شعائرهم الدينية ويحتفظون بعاداتهم ، وقد ميز الحكم العثماني في أوروبا طغيانه وتساهله ، حيث أبدى الأتراك إهمالاً وعدم مبالاة بل واحتقاراً (١) للمنازعات القائمة بين الكنائس المسيحية .

وعن فتح العثمانيين للقسطنطينية ذكر عدد من مؤرخي الغرب ذلك الفتح وأفرغوا ما تكنه صدورهم من الكراهية والحقد ضد السلطان محمد الفاتح فعند فتحه للقسطنطينية عام (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) عمسد فريق ممن كانوا محاصرين فيها إلى تسجيل وقائع الحصار وما أعقبه من دخول السلطان والجيش إلى المدينة ، وأفعالهم فيها ، في مقدمتهم (جورج فرانترنس) صديق الإمبراطور قسطنطين وأمين وصاحب مشورته وقد أسروا أهله بعد الفتح ثم أطلق سراحه بعد ذلك ، فاتجه إلى المورة ومنها إلى إيطاليا ، وكتب كتابه في تاريخ الدولة البيزنطية من (١٢٥٨ - ١٤٧٦ م) وأورد فيه ما شهدته من أحداث بنفسه لاسيما فتح القسطنطينية ، وقد ضمن كتابه هذا أحقاده على العثمانيين وعلى رأسهم السلطان محمد الفاتح (٢) فتقول ما تقول على ما أملاه عليه حقه وتعصبه .

وهذا الكاردينال أيسدور الذي بعثه البابا للقسطنطينية لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية كان أول ما فعله بعد خروجه من القسطنطينية إلى إيطاليا أن استنفر الدول النصرانية إلى حرب العثمانيين وصب جام غضبه على السلطان محمد الفاتح ، وقال عنه أنه عبد الشيطان وابن إبليس ، ومثل

(١) فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٣ - ٣٧٤ .

(٢) سالم الرشيد ، محمد الفاتح ، ص ١١ - ١٢ .

تلك الروح المتعصبة نجدها عند الكثير من مؤرخي أوروبا ، أمثال جيبون ، وبيوري، وهمر ، الذين أعترفوا أنفسهم بتعصيب مؤرخي الغرب (١) ولم يسلّموا هم من ذلك التعصب .

عمل كثير من مؤرخي الغرب على إصاق الكثير من الأعمال السيئة والتي لا تستقيم مع الدين الإسلامي ومع سلاطين آل عثمان كمسلمين كقول أحد مؤرخي أوروبا (شو) حيث يورد أن السلطان محمد الفاتح لم يستطيع التخلص من تأثير الصدر الأعظم ، ولكنه أستطاع أن يمنع الخطر الملحوظ عليه من أخيه الأصغر، فقتله وهذا الأمر أصبح سنة نمن جاء بعده من السلاطين لسلامة الدولة والمحافظة عليها من النزاعات على الملك، يوعيد (٢) رأيّه ذلك مؤرخ آخر هو برنارد لويس ، حيث يقول: إن الأمراء الصغار بعد سن البلوغ يبعثون لحكم المقاطعات في الأناضول ، ثم بعد ظهور كفائتهم يختار منهم ولياً للعهد، ولتجنب الصراع على تولية الحكم أتخذ العثمانيون ماعرف بنظام قتل الإخوة وكانت هذه القاعدة معمولاً بها منذ القدم، حيث أشار إليها الإمبراطور يوحنا السادس كقاعدة مقررة بتأييد دستوري من (٤) السلطان محمد الثاني وتسجيلها في القوانين الأساسية للدولة العثمانية .

لم يصدر مثل هذا القانون من السلطان محمد الفاتح ولا غيره من السلاطين العثمانيين ، فليس في الإسلام قانوناً يخول قتل الإخوة بعضهم بعضاً حيث أورد ذلك على همت الآقسكي وهو ممن كان يعمل بالقضاء ، وأكد (٥) أن ذلك لم يصدر عن السلطان محمد الفاتح أو غيره من السلاطين .

-
- (١) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٣ - ١٤ .
 (٢) Stanford, Op, Cit., P, 56 .
 (٣) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .
 (٤) Lewis Bernard, Istanbul, PP, 33 - 34 .
 (٥) على همت الآقسكي ، العاهل العثماني أبو الفتح السلطان محمد الثاني، ص ٩٩ .

وهذا رأى مؤرخة أوربية في السلطان محمد الثاني حيث أوردت بأنه من أغرب الشخصيات في التاريخ ، فهو بطبيعته شرقي ، مستبد لا يعرف شيئاً عن الروح الديمقراطية ، ورجل هذه أهواءه الشخصية لا يطمئن الإنسان على رأسه إذا عاشه أو اشتغل معه فهو بكلمة واحدة قد يقطع الأعناق .. ثم تعود لتناقض نفسها فتقول وهو من ناحية أخرى رجل متعلم حريص ، بل والأدهى من هذا أنه كان له نفسية الشاعر ويعترف بأهمية العلوم والتربية .^(١)

يحاول برنارد لويس أن يثير الحقد بين المسلمين بعضهم البعض فيذكر " ان حروب سليم الأول ضد جيرانه المسلمين بعد نصف قرن وضم الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا إلى الامبراطورية العثمانية قد قوى ذلك التقليد الإمبراطوري الإسلامي " .^(٢)

وحقيقة الأمر أن التقدم العثماني نحو المشرق العربي زمن السلطان سليم الأول في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي له عوامله وأسبابه المباشرة وغير المباشرة والتي أهمها الخطر الشيعي من ناحية المشرق (الدولة الصفوية الشيعية في فارس) ثم ضعف الدولة المملوكية عن مقاومة الغزو البرتغالي القادم من الجنوب والمستهدف الأمة الإسلامية ، والأماكن المقدسة واتحادها مع الشيعة ضد الدولة العثمانية السنية حيث لم تستهدف الدولة العثمانية من ضم البلاد العربية الاستعمار .

ويمف فيليب حتي ، نظام الحكم العثماني فيقول : إن نظام

(١) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٤ .

(٢) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

الحكم الإمبراطوري ، أخذ يتضح شيئاً فشيئاً حيث كان هذا النظام فسي جوهره ، بدأه سلطان من صلب عثمان ، فحسب هذا النظام كانت سلطنة الدولة تنحصر في جماعة عسكرية تعرف بأصحاب السيف ، وتشمل الوزراء وحكام الولايات وقواد الجيش وضباطه ، ومهما بلغت رتبة الموظف فسي الحكومة ومهما سمت رتبته ، فإنه كان يظل عبداً تحت رحمة سيده السلطان وفي مقدوره أن يقتله ساعة ما يشاء ، هذا عدا حق المصادرة التي كان يمارسها السلطان ، وكان المجتمع الإنساني في هذه الأمبراطورية يتألف من مزيج من أديان ، ولغات وأعراق بشرية مختلفة ، مسلمين وأروام وأكراد وعرب ، وأرمن وسلاف ونصارى ويهود يربطهم جميعاً رباط غير طبيعي رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون .^(١)

إن ما أورده آنفاً المؤرخ فيليب حتي ، أملاه عليه حقه وكرهه للإسلام ، إذ لو صح ما ذكره من تسلط الحكم وغلبة السيف وقهر أهالي البلاد المفتوحة لو صح أنها فتحت بالسيف لما بقى أحد منهم على دينه ولا كره الجميع ممن ذكرهم بالسيف على الدخول في الإسلام ، ولكن يترفع الإسلام عن ذلك القهر والظلم فقد ترك الحرية لكل من أراد أن يدخل في الإسلام أو أن يبقى على دينه .

واصل مؤرخو الغرب ص جام حقدهم على الدولة العثمانية ، فبدأوا يطلقوا عليها المسميات التي تنتقص منها ويشهرون بها ومن تلك الألقاب ، ما حدث في العصر الحديث عندما أطلق قيصر روسيا نيقولا الأول لقب (الرجل المريض) الذي لا يرجي شفاؤه^(٢) وعملت أوروبا جاهدة للقضاء على الدولة

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

(١)

العثمانية لاقتسامها وتحقيق مصالحها الاستعمارية .

لقد كانت الدولة العثمانية مصدر رعب وقلق للعالم الأوربي نتيجة لما تمتعت به من القوة والتقدم الحربي والثقل السياسي خلال القرنين التاسع ، والعاشر الهجري ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ، وأصبحت دولة قوية يحسب لها في أوروبا ألف حساب فلا غرو إن حسدتها الحاسدون وتحزب ضدها المفرضون ، وحقد عليها الحاقدون .

أما الفئة الثانية والتي أبدت إعجابها بالدولة العثمانية ولو على مضي ، وأن لم يخل ذلك من الحسد فمنها ريتشارد نولز مؤرخ عصر اليزبت ملكة إنجلترا (١٥٥٨ - ١٦٠٣ م) حيث وصف الشعور الأوربي العام تجاه الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد أوروبا فكتب هذه العبارة معبرة عن إعجاب مشوب بالحق ضد الدولة العثمانية (إن الإمبراطورية العثمانية هي مصدر الرعب في العالم) . (٢)

وهذا توماس أرنولد في مؤلفه (الدعوة إلى الإسلام) يبدي رأيه في السماحة الدينية التي تمتع بها رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين فيقول .. حيث سارع الكثيرون من الإغريق والذين كانوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية سارعوا إلى الدخول في الإسلام ، وأعتبروا العثمانيين مخلصين لهم ، وأفضل من بني جلدتهم بخاصة الذين قد عانوا الكثير من الإضطهاد على أيديهم . (٣)

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤٠ .

(٢) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٣) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٢ .

وهذا مؤلف آخر يعترف بما حققه الإسلام للفلاحين في أوروبا من العدل والأمن ، فيذكر رفلا لويس أن الفلاحين في ظل النظام الكنسي يعانون الكثير في جمع الضرائب ولكن عندما عرفوا النظام الإسلامي فـ في الأموال وجدوا أن أخذ الجزية من غير المسلمين ، هو أرحم بكثير من نظام سادتهم السابقين ، وأن الساحة الدينية لدى العثمانيين أقوى ففضلوا نظام الإسلام في أخذ الجزية والضرائب على النظام البيزنطي الجائر كما تعرفوا على العدل الذي جاء به أولئك الفاتحون .^(١)

كما يود فيشر أن الخليفة العثماني أمتاز في نظر الأوروبيين بشيء غير قليل من الهيبة والوقار ، وهي صفات حمدها الأوروبيون الذين خبروا العثمانيين عن كثب كما حمدا ما اتصفت به الجيوش العثمانية من القصد في المأكل والمشرب والسرعة .^(٢)

وهذا مؤرخ آخر يشيد بالمعاملة الحسنة التي أتبعتها الدولة العثمانية تجاه رعاياها ، وحتى تجاه الأجانب الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية ، إما كتجار أو زائرين ، فقد كان هؤلاء الأجانب يعيشون في الدولة ، وفق شروط خاصة ومعينة ، وقد حافظت الدولة على حقوقهم وكان لهم حق التجول في البلاد الإسلامية كزوار ، إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين .^(٣)

كما يذكر المؤرخ خالقوفونديل عن حكم السلطان أورخان

(١) Raphael a Lewis. Everday Life In Ottman Turkey. PP, 180-182.

(٢) فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ ؛

(٣) Cohun, L'Introduction, a l'histoire de l'Asie, P, 60.

Stanford Show, Op, Cit., P, 163.

فذكر " أن السلطان أورخان كان حليماً على الفقراء وأرباب الصناعات والعسكر وأنه تعامل مع النصارى أيضاً بالحلم حتى يجلبهم إليه". (١)

وهذا مؤرخ أوربي يشيد بأخلاق السلطان محمد الفاتح فيذكر أن سياسته كانت تتبع المنهج الإسلامي ، ومساعدة الشعب المغلوب على أمره حيث لم يأخذ منهم أموالهم وأكتفى بأخذ الجزية الشرعية نظير ماتقدمه الدولة من حماية لمن لم يسلم منهم . (٢)

ويصف فولتير الفرنسي الشهير موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحي بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذي يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لاتسمح أن يكون للمسلمين مسجد في بلادهم بخلاف الأتراك فإنهم سمحوا لليونانيين المقيمين بأن تكون لهم كنائسهم .. ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلاً حليماً تركه للنصارى المقيمين الحرية الدينية في انتخاب البطريرق، ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عصا البطارقة وألبسه الخاتم حتى صرح ذلك البطريرق عند ذلك بقوله : إني خجل مما لاقيته من التجليل والحفاوة الأمر الذي لم يعمله النصارى مع أسلافهم . (٣)

ويذكر أيضاً عن السلطان سليمان القانوني أنه لم يكن هناك من السلاطين العثمانيين من هو مثله حيث حصل على العرش دون نزاع أو خلاف

(١) أحمد رفيق بيوك ، تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٢) Stanford Shaw , Op, Cit., P, 87 .

(٣) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٦٥٥ .

داخلي ، فقد ترك له والده ملكاً واسعاً ، ودولة بعيدة عن النزاع السياسي في الشرق والغرب ، ففي الشرق زال حكم المماليك كما سكن الصفويون الشيعة ، كما أنه ورث أسطولاً بحرياً قوياً تحدى به أعداءه براً وبحراً وورث خلافة المسلمين عن والده سليم الأول ، ونال شرفاً وكرامة في أنظار العالم الإسلامي نظراً لفتوحاته في أوروبا باسم الإسلام ، وكان له مصادر إقتصادية في مختلف أنحاء مملكته ، ولقب (بالعظيم) و (القانوني) لما وضعه من قوانين وأنظمة للدولة ، وترك شهرة فاقته جميع السلاطين من العثمانيين وقاد الجيوش للفتح في أكثر من ثلاث عشر غزوة ووصل في فتوحاته إلى أسوار فينا ، كما أنفق عشر سنوات في ميدان الحرب ، من أجل نشر الإسلام ، وترك ملكاً كبيراً لمن جاء بعده .^(١)

وقد طاب للمراقبين والسياسيين في غرب أوروبا في القرن السادس عشر أن يتحدثوا عن شيخ الإسلام فوصفوه بأنه يشبه (كاردينالاً عظيماً) وأن مركزه يفوق مركز البابا ، وقد ربطوا بذلك بين مركز شيخ الإسلام في اسطنبول والمركز الدولي الذي تتمتع به الدولة العثمانية بين دول العالم كقوة لا يستهان بها ، وهذا أحد الباحثين الأنجليز وهو ريكوت سيربول (Ricaut, Sir, Paul) يتحدث عن شيخ الإسلام وعلو شأنه واتساع إختصاصاته وأهتمام السلطان العثماني باسترضائه وتنفيذ مايشير به عليه ، فأورد أن شيخ الإسلام هو الرئيس الفعلي للهيئة الإسلامية وهو المرجع الذي يرجع إليه في المسائل المختلف عليها من ناحية مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية ^(٢) ويذكر أن شيخ الإسلام يتمتع باحترام وتقدير من

(١) Stanford Shaw ., P, 87 .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ،

ص ٤١٦ .

(٣) عبد الكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

السلطان العثماني ، وجميع العثمانيين ويقوم السلطان بتعيينه ، ويكون ضليعاً في علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين ، كما يكون معروفاً بفضائله مشهوراً باستقامته وسلوكه الحسن وإذا أصدر شيخ الإسلام أمراً أو بياناً^(١) فلا يعترض السلطان على ذلك ، كذلك يطلب السلطان رأي شيخ الإسلام عند إعلان الحرب أو عقد صلح .^(٢)

(١) عبدالكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ،

ص ٤١٨ - ٤١٩ .

أما عن الحملات التشهيرية ضد الدولة العثمانية فقد عملت الدول الأوروبية وروسيا من أجل تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها بشتى الطرق الممكنة ، وغير الممكنة ، المشروعة وغير المشروعة من التآمر والحروب والتحريض وإثارة الفتن والإضطرابات في الولايات التي كانت تحت سلطانها ، فعملت على تحريضها على الثورة ، وإمدادها بما يلزم من الأموال ، والأسلحة ، والعتاد ، وتشجيت جهود الدولة في جبهات متعددة حتى تجهز عليها وتصل إلى مبتهاها ومرادها الا وهو القضاء عليها وتقسيم ممتلكاتها فيما بين الدول الأوروبية ، فتقضي بذلك على تقدم الإسلام نحو أوروبا .

لم تكتف هذه الدول الأوروبية بما قامت به ضد الدولة العثمانية ، من ممارسات عسكرية ، وإثارة الفتن في المناطق الخاضعة لحكم الدولة العثمانية بل أخذت تطلق الشائعات هنا وهناك للتشهير بها والتقليل من أهميتها وقوتها بهدف إضعافها ، فبدأت تطلق عليها المسميات اللاذعة مثل الرجل المريض الذي لا يرجى شفاؤه ، ومحاولة خلق فجوة بينها وبين الدول العربية الخاضعة لها بالقول بأن الدولة العثمانية عملت على عزلها عن العالم الخارجي ، والإتصال بالحضارة الأوروبية ، كل ذلك من أجل التمهيد للإجهاد على الدولة حاملة لواء الإسلام الذي حمله رجال مخلصون من حكام الدولة العثمانية .

من هذه الحملات ما قيل أن السلطان سليم الأول بعد ضمّه لمصر عام (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) أمر بترحيل أفواج كثيرة من صفوة علماء الفقه الإسلامي وأصوله ، والصناع بحيث أفقد مصر أكثر من خمسين صنعة .^(١)

(١) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ١ ، ص ٦٤ - ٦٥ .

إن هذه الثروة البشرية وترحيلها واقعة صحيحة أوردتها ابن
 إياس (١) وكثير من المؤرخين وفي ذلك يقول : (وفيه (أي عام ٩٢٧ هـ) قدم
 جماعة من إسطنبول ممن كان هناك من أهل مصر ، وأشيع أن السلطان
 سليمان نادى في إسطنبول بأن جميع الأسرى من أهل مصر يرجعون إلى
 بلادهم ، وكل من تأخر شق ٠٠٠ وفي رمضان سنة ٩٢٧ هـ أشيع أن السلطان
 سليمان نصره الله تعالى ، أعتق جميع الأسرى الذين كانوا بإسطنبول
 من أهل مصر ولم يبق بها سوى أولاد السلاطين (٢)

إن هؤلاء الصناع وأرباب المهن والعلماء والموظفين ممن
 سبق أن رحلوا إلى إسطنبول إبان سيطرة السلطان سليم الأول لمصر عام
 (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) لم يطل بهم المقام في إسطنبول كما ذكر ابن إياس
 حيث مكثوا بإسطنبول ثلاث سنوات ، ثم أعيدوا إلى مصر في عهد السلطان
 سليمان القانوني عام (٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م) وإن الثلاث سنوات لم تكن
 بالمدة الطويلة التي تشل حركة التقدم والتطور في أي بلد من البلدان ،
 وإن مثل هذا يحصل في كثير من الدول التي في طور التقدم حيث تستقدم
 الخبرة الأجنبية والأيدي المدربة للاستفادة منها في شتى الميادين من
 خبراء فنيين ومهندسين إلى غير ذلك مما تحتاجه الدولة من خبرات ، ثم
 بعد أن يحدث الاكتفاء لدى الدولة المستقدمة لهؤلاء الخبراء يعودون
 إلى بلادهم ، فحرمان البلاد العربية من عمالها المهرة والقول بنقل أعداد
 منهم ، ماهي إلا حملة تشهيرية بالدولة العثمانية أوردتها المؤرخون
 الغربيون ليوغروا القلوب العربية في مصر والبلاد العربية وغيرها من

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

الأقاليم الخاضعة للدولة العثمانية ، وبذلك تحقق الدول الأوربية أغراضها .

أما الحملة الثانية التي أراد الأوربيون شنّها ضد الدولة العثمانية فهي الإدعاء بأنّها عملت على عزلة البلاد العربية التي دانت لحكمها ، وإن الأحداث الدولية التي سبقت الفتح العثماني ولحقته كفيّلة بالرد على هذا الافتراء .

الدولة العثمانية ضمت بلاد الشام عام (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) بعد الانتصار على المماليك في مرج دابق ، ثم سيطرت على مصر بعد إحراز النصر على طومان باي في الريدانية عام (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) ، وفي نفس العام دخل الحجاز دخولاً سلمياً تحت الحكم العثماني ، ونهج هذا النهج أمراء المماليك الذين كانوا يسيطرون على اليمن ، وسيطر العثمانيون على اليمن سيطرة تامة عام (٩٤٥ هـ / ١٥١٩ م) .

وهكذا دخلت خلال عام وبعض عام أربعة أقاليم عربية تحت السيادة العثمانية ، وظهرت الدولة العثمانية لأول مرة دولة من دول البحر الأحمر . قبل دخول هذه الأقاليم الإسلامية السالفة الذكر تحت الحكم العثماني وقبل أن تصبح الدولة العثمانية من دول البحر الأحمر بدأ الغزو البرتغالي تحت ستار الكشوف الجغرافية ، وكانت تحملهم سفن مسلحة ، وتمكن

-
- (١) الشيخ عبدالواسع بن يحيى اليماني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ .
 (٢) ابن زنبيل ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني ، مخطوط رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .
 (٣) نفس المخطوط السابق ، رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .
 (٤) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٨ - ٩٩ .

البرتغاليون من السيطرة على الهند وساحلها الغربي سنة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م)
قبل وصول العثمانيين لتلك البلاد، وكان شعار هؤلاء المسيحيين الصليب
(١)
أو المدفع .

كان من أهداف البرتغاليين السيطرة على الهند، وشرق الجزيرة
العربية وجنوبها، والأقاليم المطلة على البحر الأحمر، والساحل الشرقي
لأفريقية المطل على المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا، وتطور الهدف البرتغالي
إلى تكوين مراكز تجارية مسلحة، في احتكار تجارة الشرق وقد تمكنوا من
إغلاق الطريقين التجاريين القديمين : أولهما طريق الخليج العربي والعراق
(٢)
ثم الشام ، أما الثاني عبر البحر الأحمر عن طريق السفن التي تتجه إلى
السويس ثم تنقل البضائع على ظهور الإبل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية
(٣)
ورشيد ودمياط .

لذلك قررت الدولة العثمانية وضع خطة لحماية الولايات العربية
الخاضعة لها، وتتمثل هذه الخطة في اتخاذ عدن بوابة البحر الأحمر
خط دفاع ، وقاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية في شرق الجزيرة العربية
وللسيطرة على البحر الأحمر، زاد نشاط الترسانة البحرية في السويس في بناء
السفن الحربية الجديدة بناءً لأوامر السلطان سليمان القانوني حيث بعث
بحملات بحرية (٤) منظمة من ميناء السويس إلى الخليج العربي لمواجهة الخطر

(١) على حسون، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) Stanford Shaw, P, 83.

(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ - ٦٣ ؛ محمد مصطفى

صفوت ، إنجلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ - ١٩٥٦ م ، ص ٣ .

(٤) دائرة المعارف مادة ببرزيس ؛ Subhi Labib, The era of Suleyman the Magnificent, P, 435 .

(١)

البرتغالي وسار على نهجه السلاطين العثمانيون حتى عام (١٥٥٨/٩٨٩هـ) وتنفيذاً لمخطط الدولة العثمانية العسكرية قررت الدولة كإجراء أمني (٢) داخلي وخارجي إغلاق البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية، وعمم هذا القرار على جميع السفن المسيحية ، فكان لايسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر فيما وراء شغرمخا جنوب شغرمخا الحديدية اليمني فتفرغ شحنتها، ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية تجوب أنحاء البحر الأحمر (٣) وتتردد على موانئه .

ويكمن السبب وراء هذا المنع للسفن المسيحية هو وجود الأماكن المقدسة في الحجاز الذي يطل ساحله على البحر الأحمر ، وقد ظلت الدولة العثمانية حريصة على هذا المبدأ في إغلاق البحر الأحمر حتى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لتوفير الأمن والأمان للحرمين الشريفين . (٤)

لو نظرنا إلى عزلة البلاد العربية نظرة واقعية لوجدنا أن الدولة العثمانية كانت تحاول الاحتكاك بالعالم الخارجي من طريق عقد المعاهدات التجارية التي أبرمتها مع الدول الأوروبية لتنشيط الحركة التجارية والتبادل فيما بينها وبين الدول الأوروبية ومن ذلك ماقام به السلطان محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية عام (١٤٥٣/٨٥٧هـ)

-
- (١) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١، ص ٥٤٩ - ٥٥٠؛ تاريخ جودت ، ج ٣، ص ١٣٠ - ١٣١ .
 - (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٧ .
 - (٣) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ١٩١ .
 - (٤) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ٢٣٩ .

شجع السلطان التجارة مع المدن الإيطالية ، فقد كانت التجارة في أيدي المسلمين حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكانوا يشكلون أغلب التجار ويتعاملون مع أوروبا دون وسطاء ، على الرغم من وجود الذميين الذين كانوا أكثر عدداً فيما يتصل بالتعامل مع دول أوروبا وأكثر نشاطاً. (١)

وقد كان تشجيع السلاطين للإمتميازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية يستهدف تنشيط الحركة التجارية، ومن أمثلة تلك العلاقات التجارية العلاقة التجارية بين روسيا والدولة العثمانية حيث وصل إلى الدولة العثمانية أول سفير روسي إلى اسطنبول (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ومعه جملة من الهدايا للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، ثم وصل سفير آخر وعندها بدأت تتحقق المصالح الروسية ، إذ بمساعده حصلت روسيا على بعض الامتميازات التجارية لصالحها. (٢) (٣)

وفي أثناء إقامة السلطان سليم الأول في مصر في الثاني والعشرين من شهر محرم (٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) عقدت معاهدة بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية، لتشجيع رعايا هذه الجمهورية على القدوم إلى الإسكندرية بسفنهم وبضائعهم ومباشرة نشاطهم التجاري في جو من الطمأنينة ، وقد كانت الدولة العثمانية حتى عام (١٥٦٩/١٥٧٧ م) ترتبط تجارياً بالبندقية التي أعطي لها الإمتياز بانتاج النسيج في مانسيا المركز الوحيد للإنتاج . (٤) (٥)

-
- (١) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٦ .
 - (٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٢٢-١٢٣؛ راشد البراوي ومحمد عيش ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٣١، ٣٠ .
 - (٣) علي حسن ، العثمانيون والروس ، ص ٦٣ - ٦٤ .
 - (٤) أحمد عزت عبدالكريم ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٧ .
 - (٥) Norman ، The Ottoman Empire ، PP, 133 - 134 ؛ راشد البراوي ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ، ص ٣١ .

كذلك أفاد الفرنسيون من معاهدات الإمتياز التي عقدوها مع السلطان سليمان القانوني (٩٤٣ هـ / ١٥٣٥ م) ومن ذلك الوقت وهم يتاجرون في كثير من أنحاء الدولة العثمانية ووصلوا بتجارتهم إلى الشرق الأدنى عن طريق غرفة التجارة بمرسيليا التي كانت تتركز فيها تجارة الشركة التركية والمغرب حيث كانت مرسيليا هي الميناء الذي كان يجري فيه الحجر الصحي على السفن من تلك الأنحاء .^(١)

كذلك حصلت فرنسا على امتيازات تجارية أخرى في ١٨ أكتوبر عام (٩٧٨ هـ / ١٥٦٩ م) وتشمل هذه الإمتيازات السماح بالنقل في كافة أنحاء الدولة ، وحصلت فرنسا بعد ذلك على مباني لها للسفارة في إسطنبول والإسكندرية وببيروت وطرابلس ولبنان ، وخصصت السفن الفرنسية لنقل الأقمشة من نورمندي إلى فرنسا ونقل القراطيس والمصنوعات المعدنية من ألمانيا وفي طريق العودة يحملون معهم الأقمشة من الصوف والقطن والحرير والعطور والبهارات .^(٢)

وفي القرن السابع عشر الميلادي كان لفرنسا مجاًلاً كبيراً في تجارة الشرق الأدنى، حيث كانت لها ما يقارب من ألف سفينة تجارية وكانت الدول الأوروبية الأخرى تتاجر تحت راية العلم الفرنسي . وهذا ما أتينا على ذكره في موقف فرنسا من الدولة العثمانية .

كذلك حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية داخل الدولة

Roger, B. M., Suliman the Magnificent, PP, 129-131 (١)

Norman, Op, Cit., P, 137. (٢)

Halil Inalick, Op, Cit., 137 . (٣)

العثمانية ففي عام (٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م) أعطى العثمانيون إمتيازات جديدة لبريطانيا وعادت العلاقات بين الدولتين مرة ثانية ، حيث رأت الدولة العثمانية في ذلك منفعة لها وفي عام (٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م) تأسست الشركة بإذن من بريطانيا والحكومة العثمانية وقد خفضت الأسعار للبريطانيين إلى ٣ ٪ رغم أن الفرنسيين والآخرين من الأجانب كانوا يدفعون نسبة ٥ ٪ لذلك كان الهولنديون يتاجرون تحت العلم البريطاني إلى عام (١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م) حينما حصلوا هم أيضاً (١) على امتيازات صغيرة .

كان التجار البريطانيون يبيعون الأقمشة من الصوف بأسعار زهيدة ، ويمدرون الصلب والصفوح إلى الدولة العثمانية ، وقد كانت تلك الأشياء مهمة للدولة العثمانية ، وقد فتحت بريطانيا السفارات في كل من اسطنبول ، وحلب ، والإسكندرية . (٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه لم تكن هناك عزلة بالنسبة للعالم العربي والدول العربية أو إبعادها عن الإهتمام بالعالم الخارجي فعندما رأت الدولة العثمانية أن هناك خطراً يهدد المقدسات الإسلامية نتيجة للغزو البرتغالي لجنوب الجزيرة العربية ، قامت الدولة العثمانية بإغلاق البحر الأحمر كإجراء أمني وقائي للمحافظة على الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية .

لذلك فإن هذه الحملة التشهيرية - حملة عزلة العالم العربي - مردودة كسابقتها ، اعتماداً على الأحداث الدولية والمعاهدات والاتفاقيات

Norman, Op, Cit., P, 137.

(١)

Ibid, P, 138 .

(٢)

التي أبرمتها الحكومة العثمانية مع كثير من الدول الأوروبية كما
أسلفنا .

هذا إذا ما أضفنا أن اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان له أثر
عميق في كساد الأمور الاقتصادية العابرة عن طريق مواني شرق البحر
المتوسط وبخاصة مصر بصفتها ذات موقع استراتيجي متميز بين ثلاث
قارات ، آسيا وأفريقيا وأوروبا ، لذلك فإن ما قامت به الدولة العثمانية
من منح الامتيازات التجارية لفرنسا وماشبهها من الدول الأوروبية
الأخرى ، ما هو إلا إحياء وتنشيط لحركة التجارة التي كانت منتعشة
ومزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، وقيام الدولة العثمانية
بهذا العمل يدحض أي افتراء يقول بعزلة الولايات العربية عن العالم
لذلك فإن هذه الحملة مردودة كسابقته .

لم تكف الدول الأوروبية بما الحقته بالدولة العثمانية من
أضرار جسيمة ، وذلك باقتطاع الكثير من ممتلكاتها والسيطرة عليها بل
عملت أيضاً على التشهير بها والنيل منها بشتى الوسائل ، كما أشرنا سابقاً ،
أما حملات التشهير بالدولة العثمانية فقد استمرت أوروبا في انتهاج
ذلك المسلك السيء حيث تمكنت بعد ذلك من تحقيق أهدافها الإستعمارية .

لم تكن الحملات التشهيرية السابقة كافية لأوروبا لتكف عن
الدولة العثمانية ولكننا نراهم في القرن التاسع عشر الميلادي يطلقون
عدة مسميات على السلطان العثماني فهو المريض الذي لا يرجى شفاؤه ، ورجل
(١)
أوروبا المريض .

(١) جاك س . ريسلر ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ .

وكان إطلاق تلك المسميات في البداية على نطاق ضيق في المجال الدبلوماسي المغلق ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى أذيعت تلك المسميات في الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي ^(١) لقد انتقلت تلك المسميات إلى الدول الأوروبية ووقف عليها الرأي العام البريطاني واتخذت منها مادة للتشهير بالدولة العثمانية وسواء كان هذا التوجيه بايعاذ من الدول الأوروبية وحكوماتها، أو جاءت من تفكيرهم السيء وحقدهم فقد كان الهدف الرئيسي منها هو التشهير بالدولة العثمانية متمثلة في السلطان العثماني ، والإعداد المسبق لدى الشعوب الأوروبية بأن سقوطها (الدولة العثمانية) أصبح وشيكاً ^(٢) وكان نيقولا الأول قيصر روسيا هو أول من صدرت عنه عبارة الرجل المريض ، نظراً لأطماعه التوسعية في أراضي الدولة العثمانية ، حيث وضع الخطط الكفيلة للإستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول وتحويلها إلى عاصمة للارثوذكسية المسيحية ، ^(٣) ولم يكن ذلك التصريح من قيصر روسيا وصديقه إبراهيم هو الأول من نوعه فقد سبق وأن أعلن رأياً يتفق مع ذلك التصريح حين قال : (قيصر روسيا) عام (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) (ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى ، إن الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ليس لدي ثقة في أن يستمر هذا الجسم العجوز محافظاً على الحياة ، إنه في ^(٤) انحلال من جميع النواحي) .

واصلت روسيا وقيصرتها التشهير بالدولة العثمانية ، وأنها رجل مريض ، ففي عام (١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م) قبل حرب القرم صرح قيصر

-
- (١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .
 - (٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .
 - (٣) محمد علي البار ، المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٧ .
 - (٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٢ ، ص ٨٣١ .

روسيا في حديث له مع (سيرهاملتون سيمور) ، وأقواله هذه تدور حول اعتقاده أن السلطان العثماني مريض للغاية ، وقد يلفظ أنفاسه في أي لحظة لذلك من الخير للسلام العالمي أن يفكر ملياً في توزيع ممتلكاته قبل وفاته وكان تقسيمه لهذا الميراث بين روسيا وبريطانيا دون حرب (١)

وقد قصد الروس من ذلك إيجاد أسباب الشقاق لإعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول ، وقد سافر السفير الروسي من عاصمة روسيا إلى اسطنبول عام (٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م) بعد أن اتصل ببريطانيا ووضعوا الخطط المشتركة لتقسيم الدولة العثمانية وعرض الروس على بريطانيا التساهل معهم إذا ساعدوهم ، وذلك باحتلال مصر وكريت ، ولكن السفير البريطاني لم يعط جواباً شافياً ، وأجاب القيصر ، بأن الأولى معالجة الرجل المريض وتعهده حتى يتم شفاؤه ليعود إلى سابق قوته ، لأن موته يسبب إهدار الدماء الغزيرة حين القيام بتقسيم تركته . (٢)

إن ما قامت به إنجلترا وتحفظها في موقفها مع روسيا ومحافظةها على كيان الدولة العثمانية من الإنهيار لم يكن حياً لها ولا محافظة على ممتلكاتها ، بقدر خشيتها من الإمتداد الروسي وتقدمه في الدولة العثمانية لأن ذلك تهديداً لمآلها في البحر المتوسط ومستعمراتها في الشرق الأدنى .

وقد أقنع الفرنسيون بريطانيا بضرورة مقاومة الخطر الروسي (٣)
المهدد للمستعمرات الهندية ، وطريق مصر .

(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ج ١ ، ص ١٨ .

(٢) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

عندما أدرك الروس عدم إصفاء بريطانيا لمطالبهم المحسوسا
للفرنسيين بالتساهل إذاً فلسطين ، ودعمهم إياهم لاحتلال فرنسا لتونس ،
وبلاد المغرب ولكن الفرنسيين لم يعيروا أذناً صاغية لذلك لأن اهتمامات
نابليون الثالث كانت منصبة على محاولة إرجاع مجد فرنسا السابق فـ (١)
أوروبا كما كانت في عهد عمه نابليون الأول .

أن إنجلترا رأت المحافظة على بقاء الدولة العثمانية ليس
حياً فيها ، أو إنقاذاً لها مما لحقها من الضعف ولكن الذي حملها على
الوقوف بجانبها وحمايتها هو : المحافظة على المصالح البريطانية
والحيلولة دون التوسع الروسي في الممالك العثمانية وعدم إفساح المجال
لفرنسا لمناقستها .

فبريطانيا ظلت محافظة على سياستها تجاه الدولة العثمانية
حتى عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٩ م) ، ولكن هذه السياسة لم تلبث أن تغيرت
إذ قامت بريطانيا باحتلال جزيرة قبرص عام (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م) ثم تلى
ذلك سيطرتها على مصر عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) في عهد وزارة جلاستون
الثانية ، وبذلك تكون بريطانيا قد سائرت الدول الأوروبية وعلى رأسها
روسيا وفرنسا في خطتهما التدميرية للدولة العثمانية . (٢)

(٣)
إن تعبير الرجل المريض ، أو المريض الذي لا يرجى شفاؤه

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١١٠ .

(٢) عبدالعزيز نوار ، التاريخ المعاصر لأوروبا ، ص ٩٧ ، ٩٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

إنما هو تعبير سياسي ، للدلالة على ما أصاب الدولة العثمانية من ضعف سياسي وعسكري ، بلغا بالدولة حد الإضمحلال في القرن التاسع عشر الميلادي وهذا الضعف الذي انتاب الدولة ، كان للدول الأوروبية الجانب الأكبر فيه والمسئولية العظمى^(١) كما سنأتي على ذلك في الصفحات القادمة .

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٨٣٢ -

ان تفاؤل الوجود العثماني في أوروبا كان بسبب الحملات
التشهيرية التي تحدثت عنها في الصفحات السابقة ، ثم عوامل الضعف
الداخلية والخارجية •

أخذت عوامل الضعف التي انطوت عليها الدولة العثمانية
تعمل عملها حيث نشبت الفتن والإضطرابات الداخلية والخارجية وذلك
عندما بدأ نجم الدول الإستعمارية في الظهور، ونجم الدولة العثمانية
في الأفول •

ومن تلك العوامل الداخلية التي أسهمت في ضعف الدولة
العثمانية وتدهورها وفي مقدمتها عدم التمسك بالدين الإسلامي •

لقد اعتمدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها على العلماء
واتخذت من الشريعة الإسلامية منهجاً وطريقاً ونبراساً تهتدي به، فقد
قرب السلطان عثمان مؤسس الدولة العلماء والفقهاء إليه مثل الشيخ
أدة بالي وهو شيخ جليل تفقه على علماء الشام وقرأ التفسير والحديث
(١) وكان السلطان يرجع في شئون الدولة الدينية •

وقد سار سلاطين آل عثمان على هذا المنهج في تقريب العلماء
والاعتماد عليهم في الدين وأمور القضاء وباقي شئون الدولة فهذا العامل
الرئيسي - العامل الديني - عندما اعتمدت عليه الدولة عزت واتسعت
وفتحت باسم الدين الإسلامي، وعلت على الأمم ، ونشرت لا إله إلا الله
خفاقة في أصقاع جنوب شرق أوروبا ، وكان هذا العامل عاملاً من عوامل

(١) طاشكيري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦ •

البناء والإزدهار للدولة إبان قوتها ، ولكن عندما بدأت الدولة في التدهور وتركت الإلتزام بالشرعية الإسلامية وأحكامها ، وأصبح العلماء أداة طيعة لتنفيذ أوامر السلاطين والأمراء حينئذ تبدل الحال ، وبدأت الضربات تنهال عليها من كل حذب وصوب ، وكان التنكيل الطليبي والتخريب لإسقاطها واقتسامها وانتشر الإسراف والتبذير والبذخ ، وأصبحت الدولة تنوء تحت ثقل وعبء كبير من سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف .^(١)

ومن تلك العوامل أيضاً اتساع رقعة الدولة العثمانية حيث حكمت الدولة العثمانية ولايات مختلفة الأديان والمذاهب والأجناس ، وحفظت نفوذها بحكمة وشدة ونشاط إبان قوتها وقوة سلاطينها الأوائل حتى عهد السلطان سليمان القانوني ، ولكن هذا التوازن لم يدم في عهد السلاطين الضعاف ، الذين تولوا عرش السلطنة ، حيث لم يكونوا على قدر من الكفاءة والقدرة فأضاعوا جهود من قبلهم ، وتقاعس البعض عن الخروج للحرب وقيادة الجيوش ، وتحجبوا في قصورهم وبذلك تمرد الإنكشارية الذين تعودوا على الخروج للقتال والسلطان في مقدمتهم ، وكان نتيجة هذا التحجب أن أصبح السلاطين في معزل عن معرفة حقائق وشئون الدولة وخصوصاً وأن الحاشية التي كانت تحيط بالسلطان كانت تعمل على ألا يصل إلى مسمعه إلا ما يوافق أهواءها ، وإن ضعف السلاطين وعدم خروجهم للقتال أدى إلى سقوط هيبتهم لدى الجند الذين شعروا بقوتهم

-
- (١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٤ .
 - (٢) السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكرات السياسة ، ١٨٩١-١٩٠٨ م ، ص ٧٨-٧٩ .
 - (٣) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٠ - ٥٩٢ .
 - (٤) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٣ .
 - (٥) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

الذاتية فكانوا يرغبون السلاطين على زيادة مرتباتهم والمطالبة بالأعطيات وإذا منعت عنهم كان بإمكانهم عزل السلطان وتعيين آخر وقد أدى ذلك الترف الذي عاش فيه الإنكشارية إلى فقدانهم لمفاتيح الحربية التي تمتعوا بها.^(١)

كذلك نلاحظ أن هذا الجيش الإنكشاري الذي كان أحد الأسباب الرئيسية للفتوحات العثمانية في أوروبا وعاملاً من عوامل النصر إبان قوة الدولة أصبح وبالأعلى عليها في قرونها الأخيرة ، فكان تمرد الإنكشارية سبباً في زعزعة سلطة الدولة وقدرتها الحربية وضعف حكم الدولة فـفي المقاطعات التابعة لها.^(٢)

ومن تلك الأسباب الداخلية أيضاً إنتشار التزوير في أنحاء الدولة وبخاصة في الأمور الإدارية ، على الرغم من العقوبة الرادعة وهي القتل إلا أن الرشوة انتشرت بين الكثير من الوزراء مما شجع على الخيانة والسرقات.^(٣)

وقد تفشت الرشوة بين الجند حيث أصبح ترفيع القسود وترقيتهم لا يتبع الكفاءة الشخصية والجدارة ، بل بمقدار ما يبذلونه من الرشوة للولاة وبطانة السلطان ، كذلك لم يدخل في الجيش من الإصلاحات ما يمكنه من مجارة الجيوش الأوروبية من استخدام الآلات الجديدة الخاصة

(١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .

(٢) Enver Ziya , Op, Cit., Part 5, P, 7 .

(٣) Halil Inalick. P, 103 .

(١١)
بالبقتال ، ولم يقتصر أمر الرشوة على الجند ، بل تعداه إلى الصدور
العظام وهوؤلاء الصدور العظام الذين كانوا يتولون الوزارة لـم
يكونوا بعيدين عن الشبهات : فهذا بلطه جي باشا الصدر الأعظم في عهد
السلطان أحمد الثالث (١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م) ، تقاضى
رشوة من بطرس الأكبر قيصر روسيا (١٠٩٣ - ١١٣٨ هـ / ١٦٨٢ - ١٧٢٥ م)
حيث أُلقت عليه القبض الجيوش العثمانية وهو يسير جنوباً بمحازاة نهر
بروث فلم يجد بداً من طلب الصلح ، واستجاب بلطه جي محمد باشا لطلب
القيصر ، وعقد اتفاق أو سلم بروث في ٢٣ يوليو - تموز (١١٢٣ هـ /
١٧١١ م) ووافق القيصر على هدم القلاع المعترض على إقامتها
والتنازل عن آزوف وعدم التدخل في شؤون القرم وبولندة وآلا يعـود
(٢)
بتعيين سفير في إسطنبول وعدم التآمر مع رعايا السلطان الأرثوذكس .

وان وجد هذا النوع داخل الدولة فقد وجد المالحون منهم مثل أحمد جاني الدفتردار في عهد السلطان أحمد الثاني وكذلك حاجي علي باشا، وحسين باشا عموجة زاده في عهد السلطان مصطفى الثاني الذي كاد يعيد للسلطنة مكانتها لولا المؤامرات ، وهذا كوبرلي حسين باشا في عهد السلطان مصطفى الثاني (١١٠٧ - ١١١٥ هـ / ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م) الذي تنحى عن الصدارة خوفاً من المكائد والشرور التي أخذت تجاك فذه ، ورامي محمد باشا في عهد السلطان السابق ، وكذلك داماد حسن باشا في عهد السلطان أحمد الثالث حيث خلعه السلطان تحت ضغط أصحاب الغايات ، وحكيم زادة ، في عهد السلطان محمود الأول حيث قام بالكثير من الإصلاحات فخافت روسيا منه وأفسدت مابينه وبين السلطان ، وهذا مصطفى باشا البرقدار ساعد السلطان محمود الثاني (١٢٢٤ - ١٢٢٥ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٣٩ م) فقصى عليه الإنكشارية ، والقائد ناظم باشا والي بغداد أهـاج الإنجليز الشعب فذه لسياسته المتشددة ضدهم فعزل في عهد السلطان محمد الخامس (١٣٢٧ - ١٣٣٧ هـ / ١٩٠٩ - ١٩١٨ م) (١)

كذلك من أسباب الضعف الداخلي الزواج بالأجنبيات حيث بدأت هذه الظاهرة منذ الأيام الأولى لتأسيس الدولة العثمانية وبدأ بذلك السلطان أورخان بن عثمان الذي تمكن من السيطرة على الشطر الآسيوي وجاور الدولة البيزنطية حتى حسب له ألف حساب وأرتعدت فرائصها ، ثم استنجد بأورخان الأميرطور جان باليولوج عام (٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ضد ملك الصرب وعرض أن يزوجه ابنته إذا قبل مساعدته ، فكان بذلك أورخان أول من تزوج بأجنبية ، ثم فش ذلك فيمن بعده حيث تزوج مراد الأول (٧٦٢ - ٧٩٠ هـ / ١٣٦٠ - ١٣٨٨ م) من ابنة

(١) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

أمير البلغار ، بينما تزوج بايزيد الأول (٧٩٠ - ٨٠٦ هـ / ١٣٨٨ - ١٤٠٣ م) من شقيقة الأمير اسطفان بن لازر ملك الصرب واسمها (أوليفيرا) ، وقد كان هذا الزواج في عهد المؤسسين الفاتحين ذا أسباب سياسية ، غير أن من أتى من بعدهم اقتضت غاياتهم على اقتناء الحسنات من الجواري والسراي ممن كن بلاء على الدولة حيث كان ذلك الزواج يوعدى إلى خلق عيون للدول الغربية في داخل الدولة العثمانية ، وكان من جراء ذلك مالحق الدولة من الهزائم المتلاحقة في أوروبا .^(١)

كذلك تعدد الزواج من الأجنيب والسراي كان له أضراره الخطيرة على السلطنة حيث أدى ذلك إلى التنافس بين الأمهات من أجل تولية أبنائهن للحكم فضلاً عن التنافر بين الأخوة .^(٢)

ومن أسباب الضعف الداخلي كذلك تنافر الأسرة المالكة ، فلقد كان آل عثمان في الفترة الأولى من حكمهم يسودهم التضامن والألفة وبلغ هذا التضامن إلى الحد الذي نرى فيه أن علاء الدين وهو بكر السلطان أورخان الأول يتنازل لأخيه مراد عن السلطنة مكتفياً بالوزارة ولكن سرعان ما تحول هذا الحنو والألفة إلى بغض وقساوة لامثيل لها في تاريخ الأسر المالكة فهذا السلطان يأمر بقتل ابنه لمجرد وشاية ، وذلك لعدم أخوته وأولادهم معهم ليكون في مأمن من أي طامع بالحكم إنها فظاعة وقسوة ، فهذا السلطان مراد الأول يقتل ابنه صادوجي لأنه شار عليه مع صاحب إبن عاهل القسطنطينية ، والسلطان بايزيد الأول يقتل أخاه لأنه كان مهاباً فخاف منه ، وذلك محمد الأول بن بايزيد

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١١ - ١٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٦ .

يقتل إخوته كافة ماعدا مصطفى الذي احتسب بامبراطور القسطنطينية ،
والسلطان مراد الثاني قتل عمه مصطفى والحق به أخاه مصطفى ، بسبب
التنازع على العرش ، وذلك محمد الفاتح قتل أخاه أحمد الرضيع .
(١)

ولكن إذا أخذنا بهذا العامل كعامل من عوامل الضعف فقد
ينطبق على السلاطين العثمانيين في العهود الأخيرة من تاريخ الدولة
العثمانية، فهل هذا حقاً تاريخ الأسرة العثمانية قتل وإعدام وموءمة
ومكائد، هذا يقتل وهذا يشنق، لاهم للسلطان الحاكم إلا التخلص من أفراد
الأسرة واحد تلو الآخر، لا رحمة ولا شفقة تأخذه لا لكبير ولا صغير ورضيع
ليس من المعقول أن يكون ذلك صحيحاً قد تكون هناك بعض الحوادث
الفردية التي تخلص فيها السلاطين من الشائرين في فترة الحكم
والتأسيس ولكن هذا لا يعني أن يطلق ذلك ويعمم على جميع السلاطين
فيكون بذلك بوءة سوداء في تاريخ آل عثمان جميعاً.

يضاف إلى الأسباب الداخلية كثرة الأموال وتدفقها على الدولة
من جراء الفتوحات التي غيرت الحياة الاجتماعية ، مما أدى إلى الترف
وتبذير السلاطين فقد كان آل عثمان في بداية دولتهم شديدي التقشف
والإقتماد ، وعلى شيء كبير من البساطة في العيش ، شأن الشعوب التي
هي قريبة عهد بالبداوة ، فلما توفي السلطان عثمان مؤسس الدولة لم
يترك سوى شوبين و فرس ، ولكن بعد ما انتصروا على البيزنطيين
واستولوا على القسطنطينية كان من جملة ما تركه العثمانيون تقشفهم وذلك
الإقتماد في حياتهم ، حيث لم يمض عليهم جيل واحد في اسطنبول حتى
عم البذخ والترف ، ولكن السلطنة في تلك الفترة لم تتأثر بهذا البذخ

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٣ .

(١) والترف والإسراف نظراً لاتساعها وكثرة فتوحاتها شرقاً وغرباً، ولكن ما أن شرعت الدولة في التدهور ، والإنحطاط ، وأخذ جيرانها الطامعون الحاقدون يشنون عليها الحرب المتواصلة ويشيرون الفتن والقلق فسي يلاذهم الشاسعة حتى صارت تتأثر بهذا الإسراف والبذخ وتنوء تحسب أثقال سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف ، وموظفين خصوا أنفسهم بأعلى المرتبات ، ولم يجدوا مخرجاً من ذلك سوى مصادرة أموال الأغنياء وتخفيض مرتبات صغار الموظفين ، وتقليل رواتب الجند ، مما أدى إلى شيوع الفوضى والإضطراب ، وبالتالي ، التدهور والزوال بسبب الأموال التي كانت تصرف من قبل السلاطين على قصورهم وأفراحهم وشئونهم الخاصة من لباس للسلطان ، وأسرتة من الفرو وكل من يقوم على خدمة السلطان والحرم السلطاني وأولاده ، والمطابخ والوكلاء على خيم السلطان ، وثياب الخدم والإسطبلات والأعلاف واللحوم والمأكّل ذلك كان يقدر بملايين الاقجاية (عملة ذهبية) هذا كله في الوقت الذي كانت فيه الدولة تنوء بحملتها، وخزانة الدولة شبه خاوية . (٢)

ليس السلاطين وحدهم الذين تقع عليهم التبعية في التدهور فهناك من أوكل إليه مهمة المحافظة على هذه المسؤولية كالوزراء الذين أوكلت إليهم المهام والتبعية في الكثير من مجالات الحكم، وإن الحديث عن مفاسد الوزراء وجهلهم لايعمم على كل من أعتلى الوزارة، ولكن الغالبية العظمى من هؤلاء الوزراء كانوا سبباً من أسباب التدهور بجهلهم أو لانانيتهم فالقرنين الأولين من تاريخ الدولة العثمانية الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أزهى قرونها، ولكن في الفترة الثانية من تاريخ الدولة العثمانية حيث احتجب السلاطين في قصورهم وابتعدوا شيئاً

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٢٤ - ٢٥

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ - ٢٨ .

فشيئاً عن إدارة شئون الدولة كانت هذه فرصة سانحة للحاشية لتوزيع
(١)
المناصب فيما بينهم وإسنادها إلى المقربين إليهم .

قال جودت باشا كان منصب المدارة لايسند إلا إلى الوزراء
الذين يشبتون جدارتهم بالكفاءة والأخلاق أولئك الذين تولوا تباعاً
المناصب الكبرى ، وتدرجوا من إمارة السنجق ، إمارة الأمراء ، إمارة
الأناضول فالروم إلى ، غير أن حضرة السلطان سليم خان حاد عن هذه
القاعدة الثمينة ووجه مقام الصدارة مباشرة إلى إبراهيم أغا (خاص
أوطة باش) رئيس غرفته الخاصة ونظراً لأن السلطان سليم كان رأس الدولة
وما الوكلاء إلا كآلات بيده لم يظهر أي أثر سيء في زمانه ، عن تولي
الصدارة رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد
السلطان سليم حينما أخذ خلفاؤه يحتذون حذوه في تنصيب من يشاءون
على الوزارات من الشبان الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئاً
من أصول الحكم وكان هؤلاء اعتزازاً منهم بما كسبوا من إقبال الحضرة
الشاهانية يتصرفون بالأحكام على أهوائهم دون الرجوع إلى أهل المعرفة
(٢)
ودون الإسناد إلى قانون .

(١) محمد جميع بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ٣١ - ٣٢ .
(*) السنجق : هو الحاكم المدني لمركز إداري هو دون الولاية وفوق
القضاء وكان السنجق متصرفه أيضاً ، فقد كان العثمانيون يقسمون
المراكز الإدارية إلى أربع مراتب الأولى هي : رتبة الوالي ومركزه
الولاية ، والثانية رتبة المتصرف ومركزه المتصرفية أو السنجق ،
الثالثة رتبة القاعم مقام ومركز القضاء والرابعة رتبة مدير الناحية
ومركزه الناحية . (محمد فريد ، الدولة العلية ،
ص ٢٢٦) .

(٢) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

وكان إلى جانب العوامل الداخلية الكثير من العوامل الخارجية التي أسهمت إلى جانبها في ضعف الدولة وإنهاكها .

ومن العوامل الخارجية التي ساهمت في تدهور وضعف الدولة العثمانية ظهور دولتين مجاورتين للدولة العثمانية وعلى قدر من القوة هما الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ثم روسيا ، وذلك خلال القرنين الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي (١) .

أما الإمبراطورية النمساوية فقد كانت تتوق للأخذ بالشار من الدولة العثمانية ، وما الحقته بها من ضربات موجعة ومتلاحقة في فترة قوة الدولة ، وقد رأينا كيف أن الدولة العثمانية وصلت في فتوحاتها إلى وسط أوروبا ودقت أبواب فينا (١٥٢٩ م) وهددتها أكثر من مرة وكادت أن تقع في أيديهم .

وللنمسا العديد من المواقف العدائية من الدولة العثمانية ومن ذلك حربها عام (٩٣٩ هـ / ١٥٢٢ م) حيث اتحدت النمسا مع كل من أسبانيا والمانيا والبابوية ، ثم عقد الملح قبل أن يتم النصبر لأي الفريقين وكان الموقف العدائي الثاني عندما حقق النمساويون مع حلفائهم الألمان إنتصاراً على العثمانيين عام (١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣ م) وتوالت تلك التحالفات النمساوية ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م) اتحدت النمسا وبولونيا في حرب برية انتصر فيها العثمانيون وطاردوا الجيوش النمساوية وحلفاءها حتى حاصروا فينا ، واهتزت أوروبا وارتعدت لذلك الإنتصار وبادرت إلى نجدة

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ ، ج ٢ ، ص ٧١ .

(١)
النمسا فارتد العثمانيون عنها وخسروا معركتهم وفي عام (١٠٩٦هـ / ١٦٨٤م) اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورومانيا مالطة والبابا وروسيا ضد الدولة العثمانية وكانت حرب برية وبحرية هائلة استمرت إلى عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) إنتهت بانهزام العثمانيين وجلائهم عن المجر .
(٢)

أما روسيا في الفترة ما بين (١٠٨٠ - ١١٣٨ هـ / ١٦٦٩ - ١٧٢٥ م) كان يحكمها القيصر بطرس الأكبر ، وكانت روسيا إلى ذلك التاريخ تعتبر دولة شرقية ، ولكنها بعد ذلك أخذت تفتح أبوابها في وجه الحضارة الأوروبية ومنها بدأ الصراع بينها وبين الدولة العثمانية حول حقوق التجارة الروسية في البحر الأسود (٤) الذي كان بحيرة عثمانية ، وقد أدى ذلك إلى حروب استمرت أكثر من مائتي عام ففي عام (١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م) ، إعتدى الروس على بلاد القفقاس فتمكن العثمانيون من صدّهم . ولم يرتدعوا حيث عادوا سنة (١١٠٨هـ / ١٦٩٦م) واعتدوا على بلاد القفقاس مرة أخرى مستغلين إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع بعض الدول الأوروبية ولكن الدولة انتصرت عليهم وكاد العثمانيون يأسرون القيصر الروسي سنة (١١٢٣هـ / ١٧١١م) .
(٥)

ثم توالى التحالفات الروسية ضد الدولة العثمانية تباعاً

(١) محمد جميل بيهم ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٣) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوروبي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .

(٤) فيليب حتي . موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤ .

(٥) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .

ففي عام (١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) اتحدت روسيا مع النمسا ضد العثمانيين بسبب بولونيا، ولكن العثمانيين إنتصروا عليهم ، وفي عام (١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م) إنتصر العثمانيون أيضاً ، ثم تجددت الحروب مرة أخرى عام (١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م) وانتصر الروس في هذه المرة ، ووقعت معاهدة كوتشك كينارجي والتي بموجبها دفعت الدولة العثمانية ضريبة باهظة وسمحت بمرور السفن الروسية في المياه العثمانية ، وحماية طائفة الأرثوذكس الذين هم من رعاية السلطان .

هذه الحروب التي خاضتها الدولة أنهكت قواها وشغلتها عن الإهتمام بالكثير من المهام العسكرية الأخرى ، وكانت من أسباب ضعف الدولة وتدهورها .

ومن الأسباب الخارجية الأخرى مساندة الدول الأوربية لدول البلقان الشائرة ضد الدولة العثمانية (٣) وكان ذلك الإتحاد الذي تم بين جميع الدول الأوربية - بعد انقضاء الحروب الدينية التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت - ضد الدولة العثمانية . (٤) كذلك من هذه العوامل ظهور طائفة من القواد العظام في المجر وبولندا واتحادهم جميعاً في الوقوف والتصدي للدولة العثمانية ، ومنعهم إياها من الوصول إلى وسط أوروبا حيث كان هذا أحد الأسباب في انحسار المد الإسلامي نحو وسط أوروبا . (٥)

(١) محمد جميل ببيهم ، ص ٧٦ .

(٢) علي حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٨٢ - ٨٤ .

(٣) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .

(٤) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٨٩ ؛ ومصطفى حلمي ،

الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ص ٥٨ .

(٥) موفق المرجة ، صحوة الرجل المريض ، ص ٤١ .

كذلك تقدم الدول الأوروبية بمقتضى إحياء حركة العلوم في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على إثر سقوط القسطنطينية (٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م) فقد تقدمت أوروبا في العلوم والصناعة والتجارة والملاحة ونظام الحكم ، في حين جمدت الدولة العثمانية في أواخر عهدها ولم تلحق بركب التقدم .^(١)

وهكذا عملت العوامل الداخلية والخارجية عملها في إضعاف الدولة والإجهاد عليها ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تكالب الدول الأوروبية على الدولة العثمانية زيادة في إنهاكها والإجهاد عليها والتعجيل في انهيارها ، وذلك باقتطاع أملاكها وتوزيعها غنائم وأسلاب فيمابينها مما أدى في النهاية إلى انهيارها وسقوطها ، وهنا بدأ التفكك في الحكومة والمجتمع وطريقة الحكم .^(٢)

كانت الدولة العثمانية قبيل الحرب مع روسيا عام (١٢٦٧ هـ / ١٨٦٥ م) تضم البلدان الآتية في أوروبا وشبه جزيرة البلقان حتى الدانوب وأمارتي الأفلاق وبغدان ، وبسارابيا ، والمجر وترنسلفاينيا ، يودوليا ، وجميع الشاطئ الشمالي للبحر الأسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وأرمينية وغربي كردستان ، والعراق والجزيرة الفراتية وسورية ، والحجاز والأحساء واليمن ، وفي أفريقيا تضم كل من مصر وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومن جزر البحر المتوسط ، جزيرة قبرص وكريت ، كما ضمت بلاد جورجيا وداغستان وأذربيجان .^(٣)

(١) هريبرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .
Robinson, Op, Cit., PP, 99 - 100 .

(٢)

(٣) هاملتون ، جب وهارولد بورون ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ، ص ٣١ - ٣٢ .

كل تلك المناطق السالفة الذكر كانت تحت السيادة العثمانية
أبان قوة الدولة وعظمتها ، حيث بسطت نفوذها على تلك الدول فسي
القارات الثلاثة آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ولكن بعد ذلك أخذت الدولة في
الضعف وبدأت تفقد ممتلكاتها .

ومن ذلك الحين بدأت الدول الأوروبية ترنو ببصرها نحو أملاك
الدولة العثمانية وتنتهز كل فرصة للانقضاض عليها ، فهذه روسيا توجه
نظرها وأطماعها نحو المضائق للخروج من عزلتها ، وبريطانيا نود الوصول
إلى الهند عبر أملاك الدولة العثمانية ووسيلتها إلى ذلك هو استعمار تلك
البلاد ، أما النمسا والمجر عملت من أجل الوصول إلى أغراضها عن طريق
إشارة دول البلقان والتحالف معها ضد الدولة العثمانية ، وهذه فرنسا^(١)
عن طريق دورها كحامية للأقليات المسيحية في الشرق ، حيث استولت على
كل من الجزائر وتونس سنة (١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م) وأقصت تركيا عن البحر
المتوسط ، وساندت إنجلترا فرنسا في الدور الاستعماري حيث احتلت كل
من قبرص ثم مصر سنة (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م) وشاركت إيطاليا أخواتها
في هذا المضمار حيث وجهت أنظارها نحو شمال إفريقيا واستولت على
طرابلس سنة (١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ومن ثم برقة وجزر الدوزيكايينر^(٢)
وبذلك عزلت تركيا عن البحر المتوسط الشرقي وسبق ذلك فقدان الدولة^(٣)
العثمانية للدول الخاضعة لها في أوروبا حيث استولت البندقية على
المورة سنة (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، وفي نفس العام تنازلت الدولة^(٤)
العثمانية عن المجر وفي سنة (١١٣١ هـ / ١٧١٨ م) تخلت ألبانيا^(٥)

(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، ص ١٨ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

(٣) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٥١ .

(٤) هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٥) محمد فؤاد شكري ، الصراع بين البرجوازية والاقطاع (١٧٨٩-١٨٣٨م) . المجلد

وولاشيا ، والهرسك ، من الحكم العثماني ، تلى ذلك في سنة (١٢٤٣ هـ /
١٨٢٧ م) وبعد موقعة نافارين فقدت الدولة العثمانية اليونان للأبد
(١) ومعها الصرب وملدافيا . (انظر الخريطة ص ١٧٨) .

رأينا كيف بدأ العد التنازلي للدولة العثمانية وفقدانها
لممتلكاتها الواحدة تلو الأخرى نتيجة لعوامل داخلية وخارجية مضافاً
إليها النظرة الاستعمارية الحاقدة لأملاك الدولة العثمانية والاستيلاء
على تلك المناطق ، مما أدى في النهاية إلى ضعف الدولة وسقوطها
واقترام أراضيها أسلاباً رغنائم لمليبي أوروبا .

(١) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

(1YA)



الحائز
القبلة
١٤٠٩ هـ

الخاتمة :

لقد رأينا في سياق هذه الدراسة أن الدولة العثمانية اعتمدت منذ نشأتها وتأسيسها على يد السلطان عثمان على الدين الإسلامي، واتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً ودستوراً لها، كما أن فتوحاتها وجهادها في أوروبا كانت باسم الإسلام مما أدى إلى نشر الإسلام في أوروبا وخاصة في أقاليمها الجنوبية الشرقية .

وبنظرة عامة على محتويات هذه الدراسة أود الإشارة إلى أنني توصلت إلى النتائج الموجزة التالية :-

* أثبتت الدراسة أن الأتراك العثمانيين على الرغم من أنهم لم يكونوا من العرب إلا أنهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكانت فتوحاتهم من أجل الإسلام وبأسم الإسلام .

* كما برهنت الدراسة أن الموقف العربي الإسلامي كان موعيداً للموقف العثماني في نشر الإسلام يدل على ذلك أنه عندما فتح العثمانيون القسطنطينية قام سلاطين مصر بإرسال المبعوثين للسلطان محمد الفاتح مهنيين مستبشرين ، وأقيمت الزينات أياماً في القاهرة إبتهاجاً بهذا النصر للإسلام والمسلمين .

* برهنت الدراسة أن انتشار الإسلام في جنوب شرق أوروبا ، كان بواسطة التجار المسلمين الذين ارتادوا تلك المناطق ، بالإضافة لدور القبيلة الذهبية ، ومن ثم الفتوحات العثمانية لتلك المنطقة والعمل على نشر الإسلام، وتدعيمه ببناء المساجد والجوامع ، في جنوب شرق أوروبا .

* وضحت الحقائق التاريخية أن الانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية في أوروبا لم تكسبها بسبب ضعف شعوب البلقان كما ادعى الأوروبيون بل يرجع ذلك إلى قوة الإيمان والرغبة القوية عند المسلمين في نشر الإسلام والجهاد من أجل رفع راية التوحيد إلى أبعد نقطة ممكنة ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

* كما أثبتت الدراسة ، أن الدولة العثمانية عندما وصلت أقصى فتوحاتها إلى فيينا ، وتمكنت من وضع النظم الكفيلة بتنظيم شؤون تلك الشعوب ، مما أدى إلى دخول الكثير من أهلها في الأسلام والدليل على ذلك وجود الأقليات الإسلامية ، في جنوب شرق أوروبا إلى وقتنا الحاضر ، كما عملت الدولة على تعبيد الطرق ، وبناء المستشفيات ، والمدارس في البلاد المفتوحة .

* برهنت الدراسة على أن السياسة التي اتخذتها الدولة العثمانية - تجاه رعاياها في جنوب شرق أوروبا المتصفة بالسماحة الدينية - أدت إلى اعتناق الكثير للإسلام وجعلت الإسلام ينتشر انتشاراً كبيراً بين تلك الشعوب لما يتمتع به الإسلام من الرحمة والرفقة ، والعدل والمساواة ، التي لم تعهدها تلك الشعوب إلا في عهد الدولة العثمانية .

* كما أثبتت الدراسة أن المواقف الأوروبية (الصليبية) من الدولة العثمانية - سواء كانت تلك المواقف فردية أم على المستوى الدولي - استهدفت القضاء على الإسلام في شتى الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي كانت تفتح المناطق الأوروبية باسمه .

* والذي يهمننا في هذه الدراسة ، أنه على الرغم مما حدث للدولة العثمانية من الضعف والتفكك ، الذي تسببت فيه الدول الأوروبية ، فإن الدولة العثمانية أسهمت في نشر الإسلام في جنوب شرق أوروبا وأصبح الأذان يرفع على المآذن في مناطق متعددة ، من أقاليم جنوب شرق أوروبا ، يشهد على ذلك الأثار الإسلامية الموجودة هناك من مساجد وجوامع .

* وأخيراً وصل البحث إلى حقيقة هي أن العالم الأوربي بمفقه عامة لا يحلو له أن يرى انتشار الإسلام يأخذ طريقة في مناطقهم ومن ذلك رأينا في سياق البحث مواقفهم المختلفة من عسكرية وغير عسكرية ، كل ذلك لتحاشي الفتح الإسلامي وضرب أي جهة تتبنى نشره والجهاد فسي سبيله .

الملاحق

عناوين الملاحق

ملحق رقم (١)

صورة عن نشرة الفتح الملكي لحضرة مراد خان غازي التي أرسلت إلى المالك
المحروسة والتي تحتوي نعر قوس اوه وهزيمة حاكم العرب .

ملحق رقم (٢)

صورة عن الرسالة الملكية التي كتبت من دار أبو الفتح والمغازي
السلطان محمد خان غازي إلى عزيز مصر ليُرسل إلى شريف مكة المكرمة
وذلك في شأن فتح استانبول وجوبه .

ملحق رقم (٣)

صورة عن نشرة الفتح الملكية المختمة لمدينة بلغراد التي صدرت
وأرسلت إلى الممالك المحروسة .

ملحق رقم (٤)

وثيقة رقم (٩) صفحة (٨٩) حكم رقم (٣٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ٩٧٧ هـ ،
وذلك بشأن مساعدة الدولة العثمانية لمسلمي الأندلس .

الملحق رقم (١)

صورة عن نشرة فتح الملكى السلطان حفرة مراد خان غازي التي
أرسلت إلى الممالك المحروسة والتي تحتوي نصرقوس اوه وهزم
مراد خان غازي حاكم صرب مع خمسين نفس

الحمد لله الذي يستحق الحمد والشكر وهو الرزاق على الإطلاق ومفتتح
الابواب الذي منح لواء السعادة أن يترفرف في أوج العالم بواسطة السلاطين
ودمر بلاد الكفار وأعداء المسلمين برماهم رساهمهم وجعل أصنامهم هباءً
منثوراً ومزقهم شر ممزقه والحمد لله الذي فرض الجهاد على المسلمين
(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوبة
والإنجيل والقرآن) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من غز
غزوة في سبيل الله أدى إلى الله جميع طاعته) وأخبر الله إن الذين
يجاهدون في سبيله هم الفائزون (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وحنان ولهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً
إن الله عنده أجر عظيم) (وقال رسوله الكريم) : (لا يجد شهيد من ألم القتل
إلا كمس القرصة) وهم أحياء عند ربهم يرزقون (ولا تحسن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله) (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حرّمه الله على النار)
وهذا الحديث يشير أنهم لا تحرقهم النار .

وحينما وصل الخطاب الملكي الرفيع أعلموا أن المعركة قد بدأت في
عام ٧٩١ في شهر شعبان في ميدان قوس اوه . وأخبر أن أحزاب المشركين

عليهم العنة الله والملائكة والناس أجمعين جرحوا مسلمين وقطعوا أيديهم وعلى حسب الآية (وعسى أن تكرهوا شيئاً فهو خير لكم) جهز المسلمون أنفسهم بعد صلاة الصبح للقتال وعين يلدزم بايزيد في جانب الأيمن وبعده أمير الأمراء ، وأمير روم ايلي تمرقاش باشا وكذلك أورنوس بك وطورجه بلبان ولاشاهين وعيسى بك ويخشى بك ومستجاب فوياس ، وفي الجانب الأيسر يعقوب بك وبنجه أمير أمراء أناطولي صارجه باشا وابنه بك صوباشى والوزير نظير على باشا يسر الله له ما يشاء وكل منهم أخذ مكانه على رأس الجنود وكذلك جهز الجيش في ميدان القتال مهيباً للشهادة في سبيل الله كانوا يقفون كسد منيع أمام العدو ومعهم الجيش الإنكشاري كذلك . وقبل ابتداء الحرب قاموا بالمال وتنظيم الجيش ثم الوزير الأعظم على باشا دخل ميدان القتال وهو على حصانه فبدأ يحارب قوادهم ورؤ سائهم ومنهم بوركيل بعناية الله استطاع أن يغلب عليه ويقطع رأسه وبعد ذلك بدأ الفرار في صفوف الأعداء وبعد ذلك جاء إبن يلدزم خان وساعدهم في القتال وهزم أحزاب الأعداء وقطع رأس ابن ولاس وهو من رؤ ساء الأعداء فبدأ الفرار والسرور في صفوف المسلمين حيث أنهم غلبوا الكفار . وبنود الكفار بدأوا يهربوا أمام قوات المسلمين (كأنهم حمر مستنقرة فمرت من قسورة) . والمسلمون حمدوا الله ، وشكروه حق شكره لانهم يعرفون بأن هذا النصر من الله (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) .

و اما شهداء المسلمين فهم في جنات نعيم خالدين فيها يرزقون بنعم الله وبعد انتهاء الحرب بدأ في توزيع الغنائم بين جنود المسلمين

ثم شرعوا فى الرجوع إلى الخيمة الملكية وحينئذ كتب هذا الخطاب
(فتح نامه) وأرسل إلى الممالك المحروسة • ولابد أن تقوم بفتح
الفتح وتظهروا السرور حينما يصل إليكم هذا الخطاب •

وقد كتب هذا فى شهر شعبان عام ٧٩١هـ بموقع قوس اوه •

مرا از اندوختن گرفته چنانچه آیین امانت دار است سر بمهر بتدبیر دلپذیر مشا فیهت
براز کرد. در هنگام باز نمودن نسایم ختامه مسک بمشام انس و جان رسیده دماغ
همکنار مجزوم و معطر ساخت و جواهر الحکایات نفیسه اش که دال بود بر شعله افروزی
شمع دولت آن نور چراغ سعادت و فیروزی پیمای کوه شجر افراسنج اکلیل
کامکاری نموده هر نقطه اش چو در تمکین پیمای کوشواره در کوش خرد کشیده شد و معانی
نفیسه اش را چون روح ثانی بمد حیات جسمانی انکاشته نشسته آب خضر و نمونه جام
چم پنداشت. و چون مشعر بود بتسلط و استیلاء آن ملاذ اسلام بر قلاع و بلاد کثیره
از ممالک اعدای سقر متر بد اندام و انتقام کسانیکو قرامانین بد سرانجام سپارش ملک علام
ادا نموده گفت * یت * چو بر تافت تابع زمشروع روی * یقین شد بقیه بلا مرک بوی *
مع هذا در باب عفو و امان آن آنکه شایسته لطف و احسان شاهانست بجای آورده اند
جزا کم الله خیر جزاء امید که همواره اعدا سرنگون و مخالفان زار و زبون گشته
چون مهر منبر عالمگیر باشند باقی حالات را از رسول مشار الیه استخبر فرموده علی
التعاقب فرستاده این مخلص قدیم نیز بصرب صواب غما متوجه شناسد ان شاء الله تعالی
حق جل و علا وجود شریف خداوندی را در اوج عزت مظهر داشته دولت بکام و کینی
غلام باد بمحمد و آله و صحبه الامجاد بیورت اوجان

چو جنتیگان سلطان مراد خان غازی حضرت نوری باطنه الباری قوس اوه صحرانده *
چو صرب حاکنی اقرانی اولان التي نقر بالله بوز دقند نصکره و قوصولان نصرنی حاوی *
چو ممالک محروسه شاهانه به یازمش اولدیغی قحطنامه هما یونک صورتیدر *

تینا بدکره الاعلی و له الامعاء الحسنی * قل اللهم مالک المملک تؤتی المملک من تشاء وتزع المملک
من تشاء و تعز من تشاء و تذلل من تشاء * یدک اخیبر انک علی کل شیء قدیر * جذبی غایه
و شکر بی نهایت اول کریم و هاب و مقبح ابواب و غالب علی الاضلاقی و زانق خلیقه اتفاق
جسایه لایق و سزادر که اوای سعادت انتقاسی سلاطین اسلام مداری طراز صبح جهان
افروز کی مشار قدن مغار به مطرز و معلی قیلوب و سنجاع مهر درختانی اوج رفعت
و فیروزیدن اباعد و افار به ارسال و القایدوب عکر انجم ما تر سپهر مقادیر اهل دینک
مطاعن رماح و سهام شهاب ارتسامن اعدای شیاطین نهاد رجومیحون برقی خاطف
مانندی ظلمت هیچای زیجور آورده روان و بران ابلدی و اجساد آتشی نژاد عند عیده
اصنام کفار خاکسار بحجم مقام خذلهم الله و دمر هم اوزر لینه جهادی ارباب اسلامه
فرض و لازم قیلدی و معرکه قتالده ضرب و حرب ایدوب * یقتلون فی سبیل الله
فیقتلون و یقتلون و عدا علیه حقا فی التوریه و الانجیل و القرآن * مضمون سعادت
مشکوته منظر دوشتری * من غزا غزوة فی سبیل الله ادی الی الله جمیع طاعنه * حدیث
شریفه مغتنم ایدوب * الذین آمنوا و هاجروا و جاهدوا فی سبیل الله باموالهم و انفسهم
اعظم درجه عند الله و اولئک هم الغائرون یشترهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات
لهم فیها نعیم مقیم خالدين فیها ابدان الله عنده اجر عظیم * آیت کریمه سبله درجات
عضیه به فائز قیلوب و فی سبیل الله شهید اولئکه اشارت بر بشارت حدیث شریف
حضرت رسالت * لا یجد شهید من المم القتل الا کس الثرینه * سهولتدن استنام
و استراحت نصب ایدوب و فرمان حبس بخش * و لا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله

امواتنا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله تحقیقیدن عمر ابدی
و بقای سرمندی هر زوق ابدوب من قاتل لیكون کلمه الله هی العلبا حرمه الله علی
الناس حدیث منینی اوزره رات برائت عذاب حجیم احسان پیوردی لهذا اقضی قضاء
المسلمین اولی ولاء الموحیدین حجة الحق علی الخلق اجعین وارث علوم الانبیاء والمرسلین
المختص بمزید عنایة الملك المعین الحاکم العدل بقضاء بروسه دامت قضاؤه کما طابت شیماته
توقع رفیع همایون واصل اولیحق معلوم اوله که سنه احدی و تسعین و سبعین به شعبانک
اون دردی واقع اولان دوشنبه کوئی قوس اوه صحرا منده اعدای خاکسار به معرکه غزاده
صفوفی قتال مهیا قیلنوب بخار به به آغازنده ایکن اتفاق اعدا بجا نبندن نوحا تعویق
ملاحظه اولنغین الخیر ما اختیاره الله اوزره توقف اولنوب لیکن طرفیندن فرا و لیر
جیقوب غفلت اوزره اولماغله بوجا نبندن ایچجه بلان شیرزیان و برغرانی کی اوخنا زبرک
قراولنده طرفنوب وایکی نفر برادر دلیری کسین باشنله مغرب نماز به قرب ایدی که رکاب
همایون اوکنه الی بغل و ایرشدروب نکونسا رفتند قدن صکره خبر آتندی که احزاب
مشرکین علمیم لعابن الله و الملائکة و الناس اجعین اسلام عسکرین به شبحون ندارکن
کور مشکن بورکیل نام بان شاید حاضر شکاریمزی کیجه بیه قاچورب الدن
چقاره وز دیو کبر و عجب به توقف ایتدرمش و بو خصوصک اصفا سندن عسی ان تکرهوا
شیئا فهو خیر لکم خواسته قلب مؤمننه نوحا تسلی بولنوب و بالجمعه غار و نیاز قیلنوب
درگاه کریم کارسازدن استعدای فتح و غفر اولنوب اجابتی امیده اول کیجه صبحه دکه
هرکنه اقدام اقدامی رکاب اهتمامدن ایرمیرب دیده به خواب غفلت حرام و حسام خون
آشام فرق فرق اییدانک قطعنه نیامندن خارج بی صبر و آرام ایدی که مادر ایام اللیل
جلی منظومه سی اوزره برائون باشلر عرصه لطیف تولید ایدوب آباء افلاک اسم پاک
مهر بلند اختر و خورشید برج ظفر اطلاق ایدوب و بالجمعه لشکر اسلام فریضه
صبحدن صکره پیاده و سوار اعلام نصرت نکارک یمن و یسارنده الای الای و فوج فوج
و فرقه فرقه ایریشوب آداب و خضوع و تقیاده حاضر اولوب طور دیلر و ترتیب صفوفه
شروع قیلنوب صباغ قولده فرزند ارچند دولنبار و قائم مقام سلطنت شعار انوید
من عند الله الملك المنان اوغیم یلدرم بایزید خان ادام الله تعالی ایام عزه و اقباله تعیین
قیلنوب و اندن اشاعه امیر الامراء الکرام روم ایل بکیر بکسی قرقاش پاشا دام اقباله
وامراء کرامدن اورنوس بک و ایچجه بلان و طررجه بلان و لالا شاهین و عیسی بک
و یحیی بک و مستجاب صوباشی وصول قولده فرزند سعادت مند عاقله دار اوغیم یعقوب بک
طال بقناه مقرر قیلنوب و انت بانجه امیر الامراء الکرام اناطولی بکیر بکسی صاروجه
پاشا قوشوندی لشکر به و عسکرمونی و جید و منش و شک بک زاده لری و عکرمیان
سباهلر به اینه بک صوباشی و قره مقبل طوروب و ذات همایونم جسد ده روح کی قلب
سباهی به کوروب و وزیر لا نظیر علی پاشا یسر الله له مایشاء مقدمه اجیش مر اسمن برینه
کتوروب کتوروب که تقبل ایدوب علی وار شهادت میدا نده سبقی اختیار ایدوب
مهیا ایدی و یکچیری اغا سی محمد اغا عرصه سطر نهجده شاه اوکنده پیاده
طوررکی برین بکوروب فرزند بدک منصوبه سنه استعکام و ربوب وایکی بیک نفر
تیرانداز دخی طوس و اشکیبوس جنکنه معادل قبضه کاندن پنجه دین منک ایتوب
خندک جان ستانی دشمنه حواله ایتک اوزره طوررزدی مقابله دن دخی ماده الفساد اولان

فكانها ثعبان له سبع رؤس من قلاهما المشتهرة أولئك القليل سبع رؤس شامخات حصينة
رفيعة مهيبات بامر الله عز وجل لمقر الخلافة الإسلامية ومروزة لنا بتقدير الحكيم
السجانية ولا شك انها سلطان البلاد والاخريان من جنسها عينا وشمالا كخادمين في طرفي
السلطان فلما توجهنا وعزنا عليها هجم علينا الكفار المملوءة فيها خارجا وداخلا
وحاربوا منا فقام المحاربة بيننا وبينهم قريب شهرين بعد ابلتهم عن اعطاء الجزية
الشمرعية ثم عجزوا عن القتال وهربوا من الجبال فاهزجهم اهل الاسلام وساجد كل
من المجاهدين عن البزو البحر حق الجهاد ففربوا من السور وسعدجهم كثير من الكفا
الموحدين فوق منافع جدرانها المدرسة من المبحيق والعادة فدخلوا في نفس هذه
البلدة المباركة المنورة بقدم الموحدين بالكبير والتليل يوم الثلاثاء والعشرين من شهر
جادي الاولى فقطع في مساء الاول رأس رأس هذه الملاعين اعنى الكفور والعين
اولحق بجهنم مع سائر المقتولين من المشركين فخر بواؤرهم وكسر واصلبتهم واغادوا
خزائهم واموالهم وانسروا ذرارهم وصبيانهم وجعلوا معايدهم انفسية مساجد
الامة المحمدية وجع المنة الاحدية وظهرت تلك المواضع عن الارجاس الزهانية والانجاس
النصرانية ففقطع دابر القوم الذين ظنوا والحمد لله رب العالمين واما بقية السنيوف
فغفروا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية شعبة لبيت المال فلما تشرف منابر الخطب
بشرف انقضاء العلية الباهرة وزين وجوه الدارهم والدنا بتر المسكوك بزيه اسمائنا
الجليلة الضاهرة جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخر المقربين وزين بتجاسر الحرمين خواجته
حاجي محمد الزيتوني حفظه الله في الذهب والاياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير
والصواب لتبلغ الرسالة وترسل البشارة فالأمول من مقرر حرك الشريفة ان يشش
بقدم هذه المسرة العظمية والوهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء
والسادات المهنددين والزهاد والعبيد الصالحين والشافع الاجداد الواصلين والائمة
الاخبار المتقين والصغار والكبار اجمعين انتمسكين باذبال سرادقات بيت الله الحرام
التي كعروة الوثقى لا انفصام ومشرفين بزعمهم والمنقام والمعتكفين في قرب جوار رسول الله
عليه التحية والسلام واعين لدوام دولتنا في العرفات متضرعين من الله نصرتنا
اغاض الله علينا بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبي النبي وآله وذويه وبعثنا مع اشار اليه هدية
لكم خاصة التي فلورى من الذهب الحاصل التام الوزن والعبارة المأخوذ من تلك الغنينة
وسبعة الاف فلورى آخر الفقراء منها الغان السادات والنقاء والائف للخدام الخصوصية
بالحرمين والباقي للمعتكفين المحتاجين في مكة المعظمة والمدينة المكرمة زادهم الله
شرفا لما رجو منكم التمسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقدهم واشعار كفيته السير
الينا وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما بالنطف والاحسان ان شاء الله تعالى
والله يحفظكم ويبقيكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمدينة الى يوم الدين
آمين يارب العالمين وصلى الله على سائر الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين

✽ جنتكان ابو الفتح سلطان محمد خان غازي حضر تلمري در كاهندن استنبول فتحه دارمكة ✽
✽ مكرمه شريفه كوندريك اوزره عز بر مصره كوندركش اولان نامة هما يونس صور بدير ✽

اعز الله تعالى انصار المقر الكريم العالي الكبيرى العالمى العادلى النجا هدى المزابلى
الغبائى المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى معن الاسلام والسليين ناصر الغزاة

ذكر المجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين محمد الدول مشيد الممالك
 حامى الثغور الاسلامية غياث ائمة المحمدية ملك الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين
 وهما بهذا القمع الذى جاء الاطياب فى بلاغته وجبراً وابتهل كل موحده واعلم
 بسيرة القمع وتلاجه ونصرك الله نصراً عزيزاً لا زالت وجوه النصر ترى فى مرآة
 صفاحه وثمرات النصر تجنى من اعصان رماحه وفروض الجهاد بسيرفه المستنونة فى كل
 وقت تقام وبلاده الاسلامية بحر وسعة بالجناب المحمدى عليه السلام ومهرات هوامله
 بصدور الكفار مرصولة والنسب سيرفه بشعر بلادهم من رشف ارماق دماهم مبلولة وهم
 ابطاله منتظمة فى نصرة دين الله كالعقد النظيم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم
 ولا برحت عزمانه تحلى من اعداء الاسلام المقاعد وتحتل منهم المقاعد وتحتلوا عليهم مواقف
 الحرب مستقرة المواقف وتصلح فى حياء النفع من سيرفه نجيماً وقادة وتشهد على الكفار
 فى محضر الغر وما يعجز وكيف وذلك المولى يحمل الشهادة فيهو بحمد الله ماسلك خلف
 الكفار برا الا ان قاتلوا لقد بقينا من سفرنا هذا نصيباً ولا خاض عباب بحر لا اتخذ
 سبيله فى البحر نجيباً اصدروا هذه المقارضة الى المقر الكريم معرفة عما نحن منطوون عليه
 من التباين بهذا القمع الذى وضع على جبين الصباح بشره ورجح على ميزان الكواكب
 قدره ونخصه بسلام يثار عرقاً وبقيلج وصفا ويكاد يمازج النسيم لطفاً وشاء وجلل
 ملايس الاكرام واضنى واعذب مراد الوداد واضنى قد اتخذ نفحات المسك طليعه واجل
 زده المنيك تغريقه وتوشيعه وانشر به بناء الحب الذى استردعه من الصدور الرسائل
 بحفظ الله هذه الودعة ونهى لعمرك الكريم ورود كناية الكريم وخضابه الذى ازرى بالدر
 التظيم على يد المجلس السامى الاميرى الكبيرى الاوحى الاكلى المؤمنى المغربى الجمالى
 يوسف القاوى الناصرى احسن الله وفادته ويسر الى المقر الكريم اقامه فاكر مناه حين
 قابلناه ورفعنا محله لدنا وثنا واستشفنا المسك لما مضى من ايتناج الظمان بورده
 وانفردنا منه الى احسن من برود الروض اذا حل الندى ازرار وروده فشمعنا بحايل النصر
 من سذوره وتزهنا الدواظر فى رياض منظره ومشوره وتلمعنا من خطه وخطابه ما هو ازاله
 من زهر الخمايل عند مر النسيم ورجدناه مشغلا على انواع البراقع نحاش وشى الرقيم
 محتويها على بديع الانفاذ التى سحبت ذيل البلاغة على سحبان فى الزمان القديم متصفا
 بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه النصرة على اهل الكفر والعناد وبلوغه
 من ارقام اعداء الله وزسونه بنى الاصفر اقصى المراد واتمينا انى ما اشار اليه من مسيرة
 على القسطنطينية العظمى بعساكره الاسلامية وجنوده المحمدية وانهم احد قوايها
 فكانوا اليها اصفادا وزلزلوا ارضها بجياد دجيل وقفت صابرة فكانت اوتادا وانه ارسل
 اليها فى البحر جوارى كالاعلام ومد ما فى النج سوار كانها معلقة بالايام ورمها بفرسان
 من البرواقيد على منازلها بمن اطاع الله وبره وحظها بكر افتمعت واطالت فى التحنى
 فزفمت فلما تحققت عظم امرها فى النفوس ورأت كثرة ما انى اليها من نيار الرؤس ضجت
 الى الاحصان بعد النشور علمت ان الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز فامكنت زمامها
 من يد خاطبها وامتنعت على رغم انف مراقبها وانشد لسان الحال * شعر * خطبها بكرا
 وما امهرتها * الاقيا وقواضيا وفوارسا * من كانت السمى العزلى مهرة * جلبت له
 بيض الحصون عرايسا * الله اكبر ما جنب ثمارها * الا وكان ابوك قبلك غارسا * هذه كلها
 بفرام لم يشبها فى الحرب نكول ولا تقصير فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة وجمع الاعضاء

جمع تكثير فآخذهم أحد القرى وهي ظالمية وأعلمهم أن السيوف الإسلامية لم تترك لهم
بقوة الله بدا في الحروب مبسوطه ولا رجلا في المواقف قائمة فزول بعون اقتدامهم ونكس
أعلامهم وقابل العدو وبصره وقابل حتى أفضى جديد يعنه وسمره وهبت أسنات النصر
على جيوشه فقبل بأخيل الله أركبي وبأيد النصر أكتبي وقام الحرب على ساق واضحى كل
من الأعداء إلى حقه بساق وهجرت سيوفهم الانحساد وأقسمت أنها لا تفر إلا في الرأس
والأسنة أسرعت وألت أنها لا تروى نملهاؤها إلا من دماء النفوس والسهام قد انزمت أنها
لا تلج كذا بينها الأمن النجور ولا تعرض عن جثا بالنفس بجبايا الأضلع الأتربة فعمها لأتحل
إلا في الصدور والدرع قد لامت الأبطال قائمة لا تفارق الأبدان حتى تلى سورة الفتح المبين
والجباب حرمت وضئ الأرض وقالت لغرساتها لأنطاء الأجنة القتلى ورؤس الممجدين
فعد ذلك أثبت سيفه الثا صر الحق لأنه القاضي في ذلك النجبال ونفذت سهامه لأجل
تصميمه فلم تمهل حتى أخذت دين الأجل وهو سال * شعر * الله أكبر هذا النصر
والظفر * هذا هو الفتح لأن يزعم البشر * فظهر الله منهم تلك الديار وسلوا عندما أيقنوا
بالدمار وصارت بحمد الله نجوم الضلال أفنة ومواطن الكفر بالاسلام أهلة وعن الأذان
يعرب حيث كان الساقوس يضرب وأصوات حباتكم الإسلامية بالتكبير والتوحيد بها
عالية فقد فهمنا ذلك وجدنا الله تعالى وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذي جعل
جيوش الاسلام حيث سلكت ملكك وابن نجت من بلاد أسرت وفكت فله الحمد
الذي أيدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم في قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو
وحصره وظفركم على حزب المشركين الذين زرع هيتكم دانيهم وقاصيهم وأنزل الذين
ظاهر وهم من أهل الكتاب من صبا صيهم وسدد سهم رأ بكم الذي دل على هلاك العدى
سرعة نفاذه ووعدهم مغا ثم كثيرة تأخذونها فنجعل لكم هذه وحكمكم في بلاد العدى
لتنشر وأما المهابة وتطوؤها وأورثكم أرضهم وديارهم وأرضهم لم تصورها ولقد أيدتم
هذا الدين الحمدي الذي وضع به طريق النجاة واسنار وفزتم بقوله عليه الصلوة
والسلام ما أغبرت الله ماعبد في سبيل الله فتمسه أنبار وقوله صلى الله عليه وسلم إن الجنة مائة
درجة أعداها الله للعباده في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض
رواه البخاري ومسلم رضي الله عنهما فله الحمد على ما أنعم به عليكم من النزوات التي سخرت
أجورها في صحابكم وصحبايف أسلافكم الكرام وصار خبرها غرة في جبهة الدهر
وحسنة في صحيفة الأيام ونعدناشد شاعر حضر تشا * شعر * كذا فليكن في الله
جل العزائم * والأفلا تجفون بحفون الصوارم * كذا بك البحر أخضم جبا دها *
إذا ما تهادت موجه المتلاطم * تحبب تنصور اللواء مظفر * له النصر والتأييد عبيد
وخادم * فبا ناصرا الاسلام بأمن بغزوة * على الكفر أيام الزمان مواسم * نهن بفتح ساء
في الأرض ذكره * سرى الغيث يمدوه الصبا والتعائم * فعد ذلك أمرنا بإعلان البشارة وأظهار
الزينة والمسرور بمالكنا الشريفة لما من الله به من هذه النصرة وأعد دناكم بإصلاح الدعاء
مع نضاعف المسرة واضحى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التي تسربل كل واحد منها
بأهلي لباس وتلاك كل منهم ذلك من فضل الله علينا والشاس وجهنا أمينكم مفضل
الحجاج والزوارين الدين حاجي محمد الزيتوني زاد الله تقواه وبسرفناه مع الأفلوريان
المسكوك بالسكة الجيدة الجديدة السلطانية المنبئة إلى شريف مكة المكرمة وفقراء
الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية فالرجو من الله أن يصل إلى المقصود وبالخير

سبحون ان شاء الله تعالى واما ما اشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بمجلوسنا على سرير
ملكنا الشريف واذ كان جميع الرعايا لطاعتنا وامرنا المنيف من المشروق والشريف
وانه اخذ بالحظ الوافر من هذه البشري التي خصت الاسلام وامت سيدنا محمد عليه
الصلوة والسلام وانه اهدانا بدعائه ان الله يشد ازر سلطاننا ويشده ويجعل الربة ملكنا
الشريف مسيلة على مقامنا ويخلده وما اشار اليه من انه عاقبة هذه الغزوة الشريفة
عن المكاتبة والابتداء بالتحامية لتحقيق بغواطنا الشريفة تأكيد اسباب الورداد وتحقيق
على الانحاد فقد فهمنا ذلك ونحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستديعة والمودة
بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستقيمة وقد تواردت الجواهر منا ومنكم على عقود المحبة
بجليل الاعتقاد وتأكد المودة بعز اخلاص وانوداد واما التهدية التي شرفنا برسالتها فقد
وصلت وبالاقبال قبولت وشكرنا صدق محبة مهديا وثبتنا على جيل مولاته التي لم نزل
في ملاء ملكنا بتدبيرها وقواعد المجلس السامي الجمالي فاصدكم اشاراته بعد ان هو مل
بمزيد الاكرام ووافر الاحسان وغرر الاحترام وارسلنا معه احدا امرائنا واعز اخصائنا
المجلس السامي الاميرى الكبيرى الذخرى المؤتمنى الاخصى الاكلى المقرئ الارحدى
السبى بروندى الشرفى ادام الله سعاده وكتب سلامته بما على يده من كتابنا الشريف
وخطابنا المنيف والهدايا والتعفى انى تؤكد اسباب الورداد وجبل المصافات والاتحاد
وحملنا من السلام للمقر الكريم ما يتسم بقر الدهر عند ادائه ويسفر وجه البشر عند ابدائه
وسيجيط علمكم الواسع بما نعملنا من ذلك فنتخف بتجهيز رسله واخباره السارة من هناك
والله تعالى يمد باعزائه وانصاره ويخلد نعمه عليه بدوام ليله ونهاره بمنه وكرمه
كتب فى اواخر شهر ذى القعدة اخرام سنة سبع وخمسين وثمانية الهجرة النبوية على
واضعها السلام

شريف مشار اليه طرفه من هدايا منبر كه اليه براكش اولان جوابا بانه مك صورتيه

بقبل الارض فى حضرت السلطانى الخدوى المظفرى المنصورى المجاهدى المربضى
الاغضى المؤيدى المشيدى العزى العزى النصيرى الناصرى معين الاسلام والمسلمين
سلطان الملوك والسلاطين نور عيون المجاهدين نور حديق لطف الله فى الارضين قهرمان
الماء والطين محيى الشريعة المحمدية منبى الملة الاجدية الفايق على اسلافه فى الغزو
والجهاد المياهى بين اقاربه بالفتوح ونسخير البلاد الذى يفخر بعهد الشريف السوابق
واللواحق من آل عثمان المشرف بشريفه ان الله يأمر بالعدل والاحسان لا زالت
اوليائه منصوره واعدائه مقهوره وحصون الخصماء بصلايته مفتوحة ونواحي بلدانهم
وديارهم بمهاتته مضبوطة ومارحت نواحي احباء دولته فى غداة غزواته مبيضة وشفاههم
ضاحكة من بشرة وجوه المشركين عليهم اغيرة رهة قرة اولئك هم الكفرة الفجرة وعساكره
المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب واعلام نصره منشرة بكتايب نصر من الله
وقبح قريب ما قرئت الغبراء قراها ودارت الخضراء ادوارها بالنبى النبى وآله وذويه
وبعد يبدى لعلى اعلاه الله وادامه بالدولة الابدية والسعادة السرمدية ان مشرفكم
الشريفة ومبشركم المنيفة وردت الى المخلصه الداعى بالاخلاص ومحبة المباهى
بالاختصاص هلى بد فخر الزوار وزين الخجاج خواجه حاجى محمد الزينونى زاد الله تقواه
وجعل اخريه خيرا من اوليه فى احسن الاوقات واطيب الساعات فاستقبلنا ها بالتعظيم
وقبلنا ها بالاجلال والتكريم وفتحنا ها بكمال الادب وقرأنا ها مقابل الكعبة المعظمة

بين اهل الحجاز وابناء العرب قرأنا فيها من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وشاهدنا
 من غايبها ظهور معجزة رسول الله خاتم النبيين وما هي الا فتح القسطنطينية العظمى
 وتوابعها التي منانة حصنها مشهورة بين الانام وحصانة سورها معروفة عند الخواص
 والعوام وجدنا الله تعالى يتيسر ذلك الامر العسير ويحصل ذلك المهم الخطير جدا يوافي
 بحمد وشكرا يكا في كرمه على ان اداها فريضة مشكلة واحضاءها خارج عن الطائفة
 البشرية مقربين بالعدو والتقصير راجين الاعانة منه في طاعته انه على ذلك قد يحسب ما ورد
 في الاخبار من الاخبار الاخيار ان اعتراف العبد بصور خد منه لمولاه عند الغلة منها
 او من عدم الاقتدار سعي معدود من احسن العبادات والقبول موقوف على رضائه حال
 التضرع في الخلوات اللهم يارب الكعبة والعرفات ويانور الارض والسموات النصر
 من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين واكتب السلامة على كافة العزاة وعامة المجاهدين
 والحجاج والمسافرين في برك وحجرك يارب العالمين وفرحنا بها نهاية المنيرة وبثنا بذلك
 غاية البشاشة وابتهجنا من احباء مراسم آبائكم العظام والسلوك بمسلك اجدادكم الكرام
 روح الله ارواحهم وجعل اعلى غرف الجنان مكانهم في اظهار المحبة لسكان الاراضي
 المقدسة من الفراق الاسلامي عملا بعد لول والحب يتوارث واهدائكم لنا ولسائر السادات
 والفقراء والصلحاء والعلية المسرورين بما قال رسول الله عليه وسلم خييار امتي قوم بضحكهم
 جهرًا من سعة رحمة ربهم ويكون سرا خوف عذاب ربهم بالغداة والعشي في البيوت
 الطيبة يدعون بالسنة ربهم ورهباء وبسألون بايديهم خفضا ورفعاً مؤتمهم على الناس
 خفيفة وعلى انفسهم ككثيره الحديث تسعة الاف اقلوزيات الجديدة بالسكة الحمديّة
 من انفال تلك البلدة العظيمة المعينة تقسيمها في مراسلتكم المحيطة فعملنا بحسب
 الاشارة الشريفة فقبض كل واحد من المستحقين كل القبض وقال الناظرون
 عليها النرجس الاصفر خير من الابيض وامتلأت اكف الفقراء من الذهب الاصفر
 فصاروا كضبابي الاكسبر الواصلين الى الكبريت الاحمر واعين لكم بخلوص الجنان
 راجين قبوله من الله الملك المنان كما قال عليه السلام دعاء المحسن اليه للمحسن لا يرد
 حامدين لله على انعمه في الايام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام الحمد على النعمة امان
 من زوالها والمسؤل من فضل الله الكامل ان ينالكم خير الدارين العاجل والاجل
 كما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها الا نبي
 او صديق او امام عادل اخر الحديث والمتن من جنابكم السامي ان يحيط عليكم على
 احوال فقراء هذه الديار بالاصل والفرع ويزيد لطفكم على الضعفاء للثنتين بواد
 غير ذي زرع ابتغاء لمرضات الله يوم معاده كما قال عليه السلام خصتان ليس فوقهما
 شيء من الخير الايمان بالله والتفجع لعباده وبعثنا مع الحاجي زين الدين الشاراني قدوة
 الصلحاء والمنورعين مولانا نجم الدين السيوطي زاد الله تقواه لينوب منابها في تقييل
 سدنكم السنية وتلثيم عنتكم العلية وتحفظ الخدم منكم برفع باب المسكة بفضة والاقشة
 الهندية المتنوعة سبع طقوزات وعشرين شاشاة المبلولة بماء زمزم ورأس رمكة معلة
 طائفة في الهوى كحمامة الحرم فالمرجوم من نواب ابوابكم الغالية الانعام بالقبول والعدو
 عند كرام الناس مقبول ادامكم الله وابدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة الى يوم الدين آمين

جنته كان ابو الفتح سلطان محمد خان غازي حضر تلي دركاهندن خواجه كريمي انشاسله
 ايران شاهي جهانشاه ميرزا به اسنانبولك فتي تشريه كوندزاش اولان نامه همبولك صور تدر

ملحق رقم (٣)

صورة عن نشرة فتح بلغراد والتي أرسلت إلى قضاة الممالك المحروسة

مفاخر القضاة والحكام ومعادن الفضائل والكلام والمختصون بمزيد
عناية الملك العلامة ياقضاتى لممالك المحروسة حينما وصل إليكم هذا
الأمر تفكروا فى مضمون هذه الآية (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) .

والصلاة على عبدك الجميل الشفيع المشفع يوم التذليل والتبجيل
وعلى جنده الذين مثلهم فى التوارة والإنجيل ، أن تفعلوا أقدامكم فى
طريق الشريعة الإسلامية بموجب أمره (فاستقم كما أمرت) . وعلى
مضمون آيه (ولئن شكرتم لأزيدنكم) علينا الشكر على النعمة التى منحنا
وعلىنا كذلك التمسك بأمر الله تعالى (قاتلوا المشركين كافة) لكى
نسقط الوجوب عن كافة المسلمين لأن من قاتلنا فيتوجب القتال على الجميع
والله يساعد من قاتل لأجله كما قال الله تعالى: (والذين جاهدوا فىنا
لنهديهم سبلنا) إنه دولتنا قد شيعت من آذاهم إلى الهزائم ولم تكن
بقاياهم النتيجة العفو والتسامح من أسلافنا إذا قدرت على عدوك فاجعل
العفو شكراً للقدرة . وهذا نتيجة لعفو الملك ومن لم يشكر العبيد
لم يشكر الله . ولكن إن مالخولباي من شدة غفلته وبلادته لم يحسب
حساباً جيداً فظن أن العالم خالى من الأبطال ، ولم يراعقته وأوقدنار
الفتنة والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها وهو لم يفكر فى هذا .

وحينما بدأت الفتنة أرسلنا عليهم فرهاد باشا ليقطع دابراهم
(ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) فيحينما تحرك جيش فردها باشا وهو

مركب من عساكر أناتولي فهاجم الجيش العدو ، والعدو لم يتحمل القتال لمدة طويلة فبدؤوا يغفرون من ميدان القتال (حمر مستنفرة فرت من قسورة) ولكن لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الموت (إن الموت الذي تغفرون منه فإنه ملائكم) وجهز الجيش من عساكر روم آيلي ، فوصل الجيش إلى موقع القتال في زمن يسير ، وكان على رأس الجيش من يسمى أحمد باشا وقد فتحوا قلعة (بكوردلان) وكذلك تسمى بقلعة (باطوب) وتمكن الجيش في موقع ساحل نهر صاوه فجعلوا هذا الموقع معسكراً لهم وفتح قلعة بلغراد كان أصعب من كل شيء ولهذه القلعة أهمية كبيرة ، ولفتح هذه القلعة قد أرسل وزير أعظم بير محمد باشا حيث أنه كان رجلاً عاقلاً وقائداً عظيماً ليس له مثيل في العالم . ونهبوا وسلبوا ما كان موجوداً حول نهر صاوة وذلك حول قلعة بلغراد (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) وأصبحوا مهزومين أمام قوة محمد باشا . كأنهم (كان لم يكن شيئاً مذكوراً) وبعدما حصلوا على الغنائم من أموال ونساء وغير ذلك بدأوا يتحركوا نحو قلعة بلغراد . فأرسل الوزير مصطفى باشا لفتح القلعة فهاجموا بالمدفعية ودارت المعركة بينهما فرجموا القلعة بالمدفعية كرجم الشياطين وجعلوا عاليها سافلها ، ولم يكن لهم مفر (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) (كل نفس ذائقة الموت) وأخيراً بعض منهم قد ندموا والتجؤوا إلى صفوفنا (فتمسحوا على ما فعلتم نادمين) (من يهدي الله فهو المهدي) وبعضهم لم يلحقوا بنا (من يضل الله فلا هادي له) وأعرضوا عن الإسلام وقبلوا أن يدفعوا الجزية وطلبوا الأمان ، وبعضهم كان يظهر من

سيماهم أنهم من العماة والأشقياء ، فقتلوا وأرسلوا إلى نار جهنم
ومغارهم قد أرسلوا إلى دار الإسلام حيث أن كل مولود يولد على فطرة
الإسلام . وأما شيوخهم وعجائزهم لم يقتلوا . إنما أرسلوا إلى وسط بلاد
المسلمين . وذلك ملكهم وجمع أمرائهم للاستفادة منهم وأرسلوا إلى
دار الحكومة .

تحريراً في أواخر شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعمائة
بورت قصبة بلغراد .

فله قوناغنه اجد پاشايه بوجه استعجال كده سز ديونيشه آدم كمشيدى بكون كلوب
اردويه ملاق اولدى يوم الاثنين في ٥ توقف يوم الثلاثاء في ٦ توقف يوم الاربعاء في ٧ يوم الخميس
في ٨ قبالو قريه سنه كه دربند در يوم الجمعة في ٩ سمن جه قريه سنه يوم الاحد في ١٠ نفس
چرخ قوناغنه يوم الاثنين في ١١ شهر ادرنه يوم الثلاثاء في ١٢ توقف سعادتله شكره سوار
اولدير يوم الاربعاء في ١٣ بابا اسكسنى قوناغنه يوم السبت في ١٥ قارشدران قريه سنه
يوم الجمعة في ١٦ عربلو قريه سى قوناغنه يوم السبت في ١٧ سلورى قوناغنه دولتو خداوند كان
قوناغنه كلكه بر مقدار آرام ايدوب بعده قاينغ بنوب مدينه استانبوله روانه اولوب سعادتله
سراى عامره به وصول بولدى

ممالك محروسه قاضيلر شه كوندريلان بلخراد قننامه سى صورتيدر

مفاخر القضاء والحكام معادن الفضائل والكلام المخصوصون بمزيد غناية الملك العلام
ملك محروسه قاضيلرى زيدت فضائلهم توقيع رفيع همايون واصل اوليحق معلوم
اوله ككه چون آيت وافيه الهدايه **﴿قُلْ اَللّٰهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءِ
وَتَنْزَعِ الْمَلِكِ مِنْ تَشَاءِ﴾** وكذا واجهة اندلانه تقصم القلاع وتنطق نارها وتضع الحرب
وتعطل دارها في الاجراح من وراء نار ولا جحارة وتبخر عن الاوجاع من دون غسل
ولا عصارة مضمون يلوب والصلاة على عبدك الجليل الشفيع المنفع يوم التذليل والتجليل
وعلى جنده الذين مثلهم في الثروة ومثلهم في الانجيل **﴿هَرَجَادِرْ كِهْ بِرْحَسْ﴾** فاستقم
كما امرت **﴿قَدْ قَدِمَ هَمْنٌ جَادَةٌ شَرِيعَتُهُ رَاسَتْ قُرُوبُ﴾** اجيبوا داعي الله **﴿مَقْضَا سَمْعِهِ
اجَابَتْ دَعْوَاتِ رَجَائِي سَبَبُ ظَلَالِ غَفْرَانِ وَامْتَالِ اَوَامِرِ زِدَائِي مَوْجِبُ زَوَالِ عَصِيَانِ
بَيْتِهِ لَا جَرَمَ بِمَقْضَايْ خَوَايِ﴾** لئن شكرتم لازيدنكم **﴿اَلَا يَلٰهَ سَابِغٌ دَوْلَتِيْ عَامَةً رَعَايَا سَابِغَانِ
حَسْمَتِيْ كَافَةً بِرَايَا اُوزُرِيْنِهِ مَدُودِ اُولُوبِ عَكْسِ سَمِ سَمْعِدْ كَيْتِيْ نُوْرِدْنِدَنْ صُوْرًا قَرَا كَمَرَانِيْ
وَبِرْوَعِيْ عِلْمِ عَالَمِ اَرَا سَدْنِدَنْ مِثَالِ شَمُوسِ شَادِمَانِيْ ظُهُورَايْدِوبِ نَاصِيَةً سَعَادَتِ نَمَاسْتَنْدِهْ نُوْرِ
نَصْرَتِ وَاضِحِ وَجْهَةِ دَوْلَتِ اَفْرَاسَنْدِهْ سَتَارَةِ رَفْعَتِ لَايْحِ اُولُوْرِ فَلَذَلِكْ چُونِ خَوَايِ
كُشُوْر كَشَايِ﴾** قاتلوا المشركين كافة **﴿اَلَا يَهْ صَدْرُ نَشِيْطَانِ سِرِرِ﴾** انا جعلناه خليفة
في الارض **﴿مُتَانِدِهْ شَامِلِ بِلْ عَامَةً مُشِيْطَانِ دَامِنِ مِلْتِ اَجْدِ وَكَافَةً مَمْسَكَانِ عُرُوَّةِ وَتَشَاءِ
شَرِيعَتِ سَمْعِدِيْ بَابَنْدِهْ مَتَاوَلِ اُولُوبِ بِنَاءِ عَلِيْ هَذَا ذِمِّ مُسْلِمِيْنِدَنْ بِالطَّوْلِ وَالْعَرْضِ اَزَالَةٍ
وَاجِبِ وَاسْقَاطِ فَرْضِ اِيْمَانِكِ اِيْحُوْنِ رَكَابِ هَمْتِ وَضَانِ عَزِيْمِ غَزُوْ وَجْهَادِ جَانِبِنِهْ مَصْرُوْفِ
طَوَمَقِيْ اَمْرِنْدِهْ خَرَكَاتِ فِكْرِيْهِ اِيْلِهْ تَبَعِ طُرُفِ اِرْبَابِ ظَلَالِ اِيْدِيْمَكِ بِرْمَوْجِ﴾** والذين
جاهدوا فينا لهدينهم سبلنا **﴿اَلَا يَهْ مَرَشْدَانِ قَتُوْحَاتِ غِيْبِهْ وَنَهْمَانِ فَيُوضَاتِ لَا رِيْبِهْ
اَنْكُرُوسِ مَا يُوْسِ كِهْ اَبَاعْنِ جَدِ غَدَايِ شِيْر دَوْلَتِ وَطَعْمَةِ شَمِيْرِ رَفْعَتِ اَنْكُرِ اَعْضَابِ وَعِظَامِ
وَخُوْمِ اَعْضَايِ عَقُوْبِ اَنْجَامِلَرِنْدَنْ بِرُوْرْدِهْ اُولُشْدَرِ اَنْطَرُفْنِهْ رَاسَتْ اِيْدُوبِ اَمَّا سَابِقَا
سِرْدَارِ سِرْكَشَانِ كُرُوْهِ اَشْقِيَا جَانِبَرْدِيْ بَاغِيْ كِهْ جَبَاءِ بَقَايَايِ شَمِيْرِيْزْ جِهَانِ كِيْمَرِزْ اِيْدِيْ
اِذَا قَدَرْتَ عَلَى غَدُوْكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ مَوْجِبَةً تَرْبِيَّتِ عَفْوَ شَاهِيْ اِيْلِهْ
نَشُوْغَمَا يُوْلُشْكِيْنِ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْعَبْدُ لَمْ يَشْكُرِ اللّٰهُ مَضْمُونِنْدَنْ غُضَلَتْ كُوْسُوتُوبِ وَسُوْسَةُ
نَشِيْطَانِيْهِ اَعْوَجَاجِ جَلِيْتِهْ تَقْوِيْتِ اِيْمَانِكِهْ كَاسَةُ دِمَاغِيْ شُرُوْرِ وَغُرُوْرْدَنْ مَمْلُوْ اُولُوبِ يِيَا بَانِ
عَفْلَتْنْدِهْ تَحِيْلِ اِيْتِدُوْكِ اِلْخَوَلِيَايِ فَاَسَدِهْ سِيْ﴾** كسر اب بقية بحسبه الضمان ما **﴿اَلَا يَهْ
قِيْلَتْنِدَنْ وَاَقَعِ اُولُوبِ غَايْبِ عِبَادَتِ وَنَهَايَتِ بِلَادَتْنِدَنْ غُرُوبِ اَقْصَابِ مَوْلِدِ طَاوَعِ دِيْكَرِ
وَظُهُوْرِ ظِلْتِ مَعْدَنُوْرِ اَخِرْ اَوْنِهْ جَفْنِيْ فَهَمِ اِيْتِيُوْبِ مَلِكِيْ حَفْظَةُ مَلْتِنْدَنْ حَالِيْ خِيَالِ اِيْدُوبِ﴾**

کفتی ترازوی کلمات حکمت مقاماتند غلط ایتم سبی ایله النجیة من عمل الشیطان دامنہ
تثبت مقامند انفرصه تمر مر السحاب کریانسه متعلق اولندوغی اجلدن الفتنة نعمة
لعن الله من ابتغیها فواسیه عمل ایتموب اذارت غبار فتنه وایجاد نار فساد ایتمکه مباشرت
ایدیجت وینی کفرتم ان عذابى لشدید ایله مقتضا سنجه کلزار عالمی انک خار وجزودن
بیرید ودامن جهنم فی یحیاست عیندن تطهیر ایتمک واجب اولدینی سبیدن بند کان
درکاهمزدن بعضیسی ایله اناطولی عسکرینه افتخار الوزراء انکرام وزیر صاحب تدبیر
نصرت بشیر دولت مشیر فرهاد پاشا که خلق شیرین شاه عادل هراسیله دلاورک میدانی
سیاننده سودا زده قهر اعدای دولت اولدقده خسروان کزه وقار ردلاوران خصم شکار
مقابله سنده پادار اونیق قبیل محالانددر فلذات لشکر مذکوره سردار ایدوب هدم اساس
ارباب عدوان وقضع عرق احتساب عصیان ایتمک قصدینه مترجه اولیحق عند تقابل
انصفین زمره جیمور باغیان معركة قتالنده بار کران کرزیننه تحمل ایده میوب عزم کمر
مستغفرت فرت من قسورة ایله جاده فرار اختیار ایتمک کزنده منشور بجاترینه طغرای
ان امنوت نئی تقرون منه فانه ملاقیکم ایله چکینوب غزالی واجب ازوانک رأس
برأسی عتبة علی مد کلدی ولشکر مذکور هنوز عسا کر نصرت شعارمه ملحق اولدین
عزم من یترک علی الله فهو حسبه ایله مقتضا سنجه ترتیب عسا کر کران بی کران وجع
جیش مائده وقران ایتمک سوزن عتبة علی مدده حاضر یولشان خاص قوللم ایله مجرد
روم ایلی عسکرین غزا نیتنه تکمیل ایدوب چون امواج بی وباسیل عزم تزل ودهان وشرخ
اصواردن کدر قلوب مدت بسیرهده مسافه کثیره قطع ایدوب دار کفاله مشرتک سرحد
قریب مرزعدن روم ایلی عسکرینی سر لشکری احمد پاشا ایله که شهسوار معركة سربازی
وسر رشته سلسله سرفراز بدر کوبدروب بکر ردلان دیمکه معروف قلعه باطوب وفتک
یک حبه خسروانی ایله فتح ایدوب عقبنجه اردوی همایون لشکر مذکوره ملحق اوزوب کنار نهر
صاوه که یت اگر جمع اولنسه فرات ایله نین مهابنده اولمز یونهره عدیل اصراف
وجزائب نهر مذکور مجیم اردوی لشکر منصور واقع اوزوب مدتی چند برای عبور از نهر
مزبور وضع قنضه امر بنده اشتغال کوستریلوب یت یونهریله بویلدن اولوز نشان
سیمایله اوستنده کی کهکشان وبلغراد نام قلعه که پای اساسی پنجه کیرساق سمت وقت
قه سی بابوس فرقدان فک وکوشی رازدار اسرار اهل سما وخیج بناسی سرکوب پایه سریر
عنبر سا اولوب قوت دست انسان بل زور بازوی امکا نه دایره تصرف انای زمانده واقع
اولمی خرط قتاددن اصعب وخرق معتاد دن ابعد ایدی لکن همت شهریار سعادت
شعاره عزن ربانی دستگیر اولوب کیفیت تحصیلده خارجدن تطهیر ظاهر اولدین اول
سور معسور محصور وقلعه محتاط محاط اونیق ایچون مقدما افتخار الوزراء انضمام
وزیر اعظم پیر محمد پاشا که حامل تدابیر جواهر ام وکامل مصالح اکابر و اصاغری آدم
مرآت جمال قوانین عثمانی کنجینه درر معارف و معانی دل مشکل کشاسی فک ناسع کی
واسع وطبع عالم آراسی عقل عاشق کی حاضر در وار رب کاخاطه الهیاله علی القمر احاطه
واحصار ایتدی ونهرین عجیبین بل بحرین مهیین توبه ایله صاوه ماییننده سرواق
اولان سرم اطمه سی که معموره دیار مالک کفاردند از سر تا پا مرة بعداخری خب و غارت
اولوب عزم ترکوا من جنات و عیون و زروع و مقام کریم ایله انلک باندده ظهور بولوب
اطمه مزبوره واقع قلاع ورسوم محل کلاغ و بوم واقع اولوب عزم کان لم یکن شایا

مذکور است که الایه قلندی و افراد عسا کر منصوره دن هر فرد نقصات کلزار امانی و نسایم
 غنائم فراوانی و غلامان غلبان شرشت و کنیزکان رشک حوریمشت فاحصل از زمین
 و بساط ظهور خبول بل رهگذار موز و مار از زاق بینهار و اموال مالا مال کنشار ایله ملو
 اولوب خندان و قرحان اولدقدنصره عسان عزیمت کیتی نورد و برق رفتار بلغراد طرفه
 معضوف قلوب قلعه مزبوره ک هر طرفی رخند دخول و تقینه وصول قلوب اول هیومده
 و اروش قلعه قمع اولوب بعده مدبر امور احوال جهان و مری اهل زمین و زمان
 صاحب العز و التکین مرغم النوف المردین و ذریم مصطفی پاشا قلعه مزبوره ده پایدان
 اولوب روز و شب کاه غفول عقلایه عقل امور صعبه ده کره کشای عقد اشکال اولوب
 بیت که آفتاب رأی او کر سایه بر چرخ افکند ماه را عار آید از خورشید کردن
 اقتباس که بجمره طوب و تفنکله عضر دماغ دادوری و کرد کرد معرکه ضرب و خرنی
 توتای بصر بهادری ایدوب بیت که فیک مشام کسی خوش کند بنوی مراد که خاک
 معرکه باشد غیر غیر او کفره مذکوره انواع مکرله کروه اسلامی دفع آیت قصد
 ایتد کیر بجه پاشای مشارالیه توابعیه که کانهیم بیان مرصوص الایه جاده همنبده
 ثابت قدم اولوب زلازل طوب و تفنک گذاردن متحرک و متزلزل اولوب کاکان افکار
 صابیه سی مقتضای سجه مواضع متعدده دن طوب و تفنک ایچون مترسلر وضع ایدوب اصل
 قلعه نک دخی که جمعنا علیها ساقلها که موجبه بعض دیوارن بدستاری طوب
 ساوی روی زمین قلوب و قله رینک بعضی طوب لقامله تخریب و بعضی شراره
 آتش انتقامله تخریق قیاب چند روز طرفیدن متوالی و متتابع ضاعتهای طوب و تفنک
 و شراره های آتش بی درنگه جوانب ست جهات بل همه اجزای جو کائنات چون کره
 خدادین انشین اولوب شراره های طوب و تفنک جهاتی قایلایوب باعث زلزله و سبب ولوله
 زمین و زمان واقع اولدی و عسا کر منصوره دن بکیمیری طاقه سی که بلنک افکنان کوه
 داوری وصف شکستن میدان بهادری و شیران پیشه شجاعت و نهنگان بحر جلادندر
 برق و اراول قلعه آسمان اسانک برج و بار و سینه عروج ایدوب که رجوع مالشیا ضین الایه
 اول طائنه طاغیده ک حیاتلری خاکستر ایدوب و یا خود سجد و ارا طبقات هوادن کره ناره
 صعود ایدوب بازوی بازی تیر منقار بجه کیر تخمیرهای کفار واقع اولوب برسیل که ایتد کونوا
 بدر کیم الموت ولو کستم فی بروج مشبهه الایه هیچ وجهه اول حصن حصین و حصار
 متبینه تحصنلری مفید اولوب ناصیه حیاتلریه رقم کل نفس ذائنه موت الایه چکیلوب
 حفظ نمود و عصمت نمروده ارحال ایتدیر و اهل اسلامدن قتل اولان شهدا که ما عندک
 یبق و ما عند الله باقی الایه ملاحظه سیله که فی مقعد صدق عند منک مقتدر الایه
 دارجنیان و جوار رحنده مقارن ساکیان خند برین و شاهد شاهدان اعیان حور العین
 واقع اولوب که کل نفس بما کسب رهینه الایه فوای ان الله ملک یسوق الاهل
 الی الاهل هر فریق شاتنده صادر اولدی و طرفیدن هنوز قید حیاته مقید اولور
 ما یبندده مصادمات کیمیره واقع اولدقدنصره صدق مضمون که لا یستطیعون
 حبله و لا یهدون سبیلا اول مرده ملاعین حقدیه واقع اولوب و بعد النبا و الی
 کند و نفوس خبشدرانه قوت مساومت و قدرت مدافعت فهم ایچیک بر موجب که قصصجوا
 علی ما فعلتم نادمین که کفره مذکوره ک صیت و صدا و صولات و صلابت اصلیدن
 بعضی من نجار اسه فقیر یح میاکنه سلوک ایدوب که من یددی الله فهو المهدی

الایه موجبیه ورطه هلاک کفرین بحیات بولوب نفیحات کلرا از اسلامه دماغ قلبی معطر
ورسحات باران ایمانه چهره زین نور قبول و بعضی من یضل الله فلا هادی له
مقتضا سبجه قبول اسلامدن اعراض ایدوب جزیه قبول اتمک اوزره طلب امان
دامنه تشبث ایدوب لیکن بوظائفدن بعضی من یعرف المجرمون بسببهم
دلالتی الیه فرات مرآتده الشقی شقی فی بعض امه زمره سندن اولمسی معلوم اولدوغی
اجلندن و الذین کفروا اولیاءهم الضاعون موجبیه اول مر جع مرده ضاعیان
ولان سرکرده لری طرفه اخلاق اونوب بعضی کل مولود یولد علی فطرة الاسلام
مقتضا سبجه الشقی قدیس بعد ملاحظه اونوب دار اسلامه کوندلدی و اگر چه تیغ خون
آشام سیده کینه خواه خدام عتبه عتبه بوعدای عاد عناد و دشمنان نمودنهادنه
فاندرینه تشنه اعناق اعدای اصحاب دین و عراق دشمنان ارباب یقین مقصود و نفعیدی
فاما قاعده شرع مصطفی و قانون ضریقت اصحاب صفاء عیون ارباب بیضا واقع اونوب
امر طلب امان قتل اصحاب عدوانه جمع اونوعین ائمه علماء دین مجبور یا تمکد کیری اجلندن
اوزمره بجزیه رخصت و امان و بر بولوب رسد و ثابت اسلامیه سورلدی و اصل فاعنه اگر مه
اون جمع سرکشکان بادیه ضلالت و مرجع کمراندن وادی غوایت قرال مغرورک سرکنون
و مکسور اولمسی ایدی فاما بر موجب و شاورهم فی الامر بودیارک امراء نامدار و کبرای
کامکار اوزندن تفحص اونقدقده وقت مضاردر ان شاء الله وقت وسعتده فرصت
کور دینوب انتقام بهجت انتظام صورت اتمام بویه بو اجلندن فاقبلوا بنعمه من الله
و فضل موجبیه عنان عزیمت برق رفتار جهت استراحت اشکر منصور و تشریف
مک مشکور ایچون ظرف دارا خلافته معصوف و منصور قلسدی تحریرا فی اوخر شهر
رمضان المبارک سنه سبع و عشرين و تسعمه بیورت قصبه بغداد

دوانقدر حاکمی علی بکه کوندیلان بغداد قمتنا مه سی صورتدر

جناب امانت امانت نصاب سعادت انتساب حاوی محاسن الشیم مائک نواصی
الام سائک افاضی الهم حائر قصبات السبق فی مضمار الحکم و حکم الفائز
بالقدح المعنی من قدح المحمد الائم و نعم الاشیم و النجیات و الکرم المختص بعناية
المک المباری ولی ولایت دوانقدر علی دام اقباله و زاد اجلاله دعوات صاخات باد شاهانه
اتحاددن صکره اعلام اونان اولدر که جرن آینه و افیه الهدایه قل اللهم مائک المک
توق المک من تشاء و تنزع المک من تشاء و کلمه و اخجه الد لانه عریه و تقم القلاع
و تعفی نارها و تصنع الحرب و تعضل دارها فترحل فی الاجراح من دراء نار و لا جاره
و یجهر عن الالوجاع من دون عسل و لا عصارة مضمون سندن نصرت الیمنی ازلی و فرصت
نامتاهی لم یزل ایدوی درجه و ضوحه ایشوب و الصلوة علی عبدالله المجل الشفع
المشفع یوم التذلیل و التبیجیل و علی جنده الذین مثلهم فی التوریه و مثلهم فی الانجیل
الایه دیوهر تاجدار که بر حسب فاستقم کما امرت الایه قدم همتن جاده شریعتده
راست قیوب اجیبوا داعی الله مقتضا سبجه اجابت دعوات رجائی سبب ظلال
غفران و امثال اوامر یزدانی موجب زوال عصیان بیه لا جرم بر مقتضای خورای
لئن شکرتم لازیدنکم الایه سایه دولتی عامر عایا و سایبان حشمی کافه برایا و زیننه مدرد
اونوب عکس سم سندن کتی نور دندن صور افسار کامرانی و بر تو علم عالم ارا سندن مثال
شمس شادمانی ظهور ایشوب ناصیه سعادت نمانسند نور نصرت واضح و جهره دولت

افرا سنده

مهمة دفتری رقم (٩) صفحة ٨٩ حكم رقم (٢٣١) بتاريخ ٢٤ شوال ٩٧٧ م

أعطى الى خليل جاوش في ١٠ ذى القعدة .

حكم إلى أهالي الأندلس .

وصل الى آستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم
الدمار وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من تحييد
العربية ، وأنهم يتعرضون لنشائكم ، ويمارسون كل أنواع الظلم والتعدي
عليكم . وتعلمون أنه يوجد حالياً لديكم ٢٠ ألف رجل مسلح كما أن هناك
١٠٠ ألف رجل قادر على حمل السلاح ، وعلمنا باستلامكم مقداراً من السلاح
من الجزائر وأن ذلك قد ربط على قلوبكم وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفار
العديد من الخسائر فالحمد لله على نصر أهل السلام ، ويكتب لهم الفوز
على الكفار جعل الضلالة لهم شعار .

وقد عرض بالتفصيل كل ما جاء في حالكم من تحريرات وتقارير على
سرير سعادتنا ، وأحاط علمي الشريف الملوكي وشمل كل ما يتعلق بأحوالكم
وأخباركم وأن أنظاري منصرفة دائماً نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة
من ممالك المحروسة والتي كانت على العهد والأمان منذ أجدادي العظام
أنار الله براهينهم إلا أنهم نقضوا تلك العهود واخذوا بالتعدي على التجار
وأهل الإسلام والمسافرين ، بحرّاً لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضرة
سيد الأنام عليه أفضل العلاء والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلك
فأنهم معرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والإعتماد على علو عناية
الحق سبحانه وتعالى والتوسل والإسناد إلى المعجزات الكثيرة البركات
لفخر الموجودات ملوات الله عليه وسلامه ، وكذلك بالاستمداد بالأرواح الطاهرة
لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين فقد استقرت نيتي
الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المزبورة في الربيع الأخير القاسم
ونضرم إلى عبة حضرة الحق جل وعلا أن ييسر لنا فتح وتسخير تلك الجزيرة
وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكى تقام فيها
شعائر الشرع الشريف وحتى يآمن التجار ويسلموا في غدوهم ورواحهم وينصرفوا
للدعاء وثبات ومجد رفعة الدولة وبما أن الوضع على هذا الحال فإن إرسال
الأسطول الهايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر ريثما يتم إعمال المراكب

للعساكر المنصورة للجزيرة المزبورة وسيتم ذلك إثر إنهاء الأسطول لمهمة
 بعناية الحق وقد أرسل أمري الهمايوني الموكد إلى أمير أمراء الجزائر
 الذي تتجأ أنظاره وافعدتة نحوكم لإرسال النجدة والمعونة لكم إمبارسال
 العساكر المظفرة أو بأرسال العدة والعتاد ، وبموجب أمري الشريف فإن
 أمير أمراء الجزائر سيكون خير معين وظهير لكم .

كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأمله في جيل..تكم عدم
 التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين فلتظهروا أنواع اقدامكم
 وأمناف إهتمامكم في الحرب والقتال والجداول ضد الكفار الأذلاء والمأمول
 الا يفسن علماء وملحاء وسائر أهل الإسلام في تلك الديار بالدعاء ليل نهـار
 بتيسير الفتح والنصر للغزوة المظفرة ولا تتوانوا عن إعلامنا باستمرار عن
 أحوال وأوضاع تلك الديار .

نَيْلُ الْخَيْرِ وَالْإِثْمِ

أولا : الوثائق

- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٧٧ حکم رقم ٢٠٤ ، بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ٩ صفحة ٨٩ حکم رقم ٢٣١ ، بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيف العثماني .
- مهمة دفتری رقم ١٤ صفحة ٢٠٠ ، حکم رقم ٢٨٤ ، بتاريخ ٣ صفر سنة ٩٧٩ هـ ، الأرشيف العثماني .
- وثيقة رقم ٣٦٢٥ سياسة روسيا الخارجية ج ١٢ ، صفحة باللغة الروسية موسكو : ١٩٢٨ م . (دار الوثائق القومية ببغداد) .

ثانيا : المخطوطات

- (١) ابن زنبيل : أحمد بن علي .
آخر المماليك واقعة السلطان الغوري —
سليم العثماني مخطوط تحت رقم ٤٨ بدار الكتب
المصرية .
- (٢) البكري : محمد بن أبي السرور .
عيون الأخبار ونزهة الأبصار مخطوط بدار الكتب
بالقاهرة تحت رقم ٧٢ باسم تاريخ ، يتكون من
٢٠٣ صفحة هذا المخطوط مكون من تسعة عشر
باباً من بدأ الخليفة إلى أبناء ملوك العسرب
والفرس واليونان والروم ، وذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم والأمويين والعباسيين —
والبويهيين والسلاجقة والفاطميون والأيوبيين —
والأتراك والجراسة إلى خروج السلطان الغوري
إلى مقابلة السلطان سليم .
- _____ : المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية
مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم
١٩٢٢ تاريخ يقع في ١٩٣ صفحة .
- (٣) جودت :
تاريخ جودت باشا . مخطوط مصور تحت رقم
١٣٢٨ / ١٣٢٦ المكتبة السليمانية ، اسطنبول .

- (٤) السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن .
نظم العقيان في أعيان الأعيان ، مخطوط بدار الكتب
المصرية تحت رقم ١١١١ تاريخ تيمور مصور على
ميكروفيلم .
- (٥) العيني : محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) .
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، المعروف بتاريخ
العيني ، ٢٣ جزء ، ٦٩٠ مجلد تحت رقم ١٥٨٤ دار
الكتب القاهرة .
- (٦) زاده : طاشكيري .
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية
مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ تاريخ تيمور مصور على
٢٥٢ صفحة بدار الكتب المصرية .
- (٧) موللي : أحمد جواد .
الدورة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت على
الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ بالمتحف
البريطاني ، باللغة العثمانية في ٥٢ ورقة ، جماد
الأولى سنة ثمانية وتسعين ومائة وألف .
- (٨) المقدسي : مرعي بن يوسف (المتوفي ١٣٠٢ هـ) .
نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء
والسلاطين ، مخطوط تحت رقم ٢٢٦٩ تاريخ مصور على
ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية .

(٩) مؤلف مجهول :

تقليد نبوط إعانة الجرجي في حروب الدولــــــــــــة
العثمانية مع اليونان . لغة عثمانية . مخطوط
تحت رقم ٢٦٥٣ تاريخ تيمور . مصور على ميكروفيلم
بدار الكتب المصرية .

ثالثا : الكتب المطبوعة

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ . الطبعة الثالثة . بيروت :
دار الكتاب العربي . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٢) ابن اياس : محمد بن أحمد .
بدائع الزهور في وقائع الدهور . الطبعة الأولى .
المانيا : دار فرنشتانيو . ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٣) ابن أيوب : السلطان المؤيد عماد الدين بن الأفضل نور الدين
على بن جمال الدين .
تقويم البلدان . طبعة مدينة باريس : بدار الطباعة
السلطانية . ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م .
- (٤) ابن حنبل : أحمد .
المسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأئمة وال
والأفعال . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .
- (٥) ابن خلدون : عبدالرحمن .
المقدمة . الطبعة الرابعة : بيروت دار القلم .
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- (٦) ابن سعد :
الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر للطباعة .
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .
- (٧) ابن عرشاه : أحمد بن محمد بن عبدالله .
عجائب المقدور في نوائب تيمور . القاهرة : دار نافع
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- (٨) ابن فضلان : أحمد بن راشد بن حماد .
رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك
والخزرو الروس الصقالبة . سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م .
تحقيق د. سامي الدهان . دمشق : المجتمع العلمي
١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- (٩) ابن كثير :
البداية والنهاية في التاريخ . الطبعة الأولى .
القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٠) إبراهيم أفندي : (الطبيب الأول للعساكر الشاهانية) .
مصباح الساري ونزهة القاري . الطبعة الأولى .
بيروت . مطبعة إبراهيم أفندي . ١٢٧٢ هـ / ١٨٥٥ م .
- (١١) الألوسي : أبو الشناء شهاب الدين محمود أفندي .
نشوة الشمول في السفر إلى اسلابول . ليس هناك
معلومات نشر ، موجود بمكتبة الحرم المكي .
- (١٢) أرسلان : شبيب .
حاضر العالم الإسلامي . القاهرة : مطبعة الحلبي .
١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .
- (١٣) أرنولد : توماس .
الدعوة إلى الإسلام . بحث في تاريخ نشر القصيدة
الإسلامية . الطبعة الثالثة . القاهرة : مطبعة
الشبكشي بالأزهر . ترجمة : حسن إبراهيم
حسن وآخرون .

- (١٤) إسماعيل : عادل اسماعيل وأمیل خوري .
السياسة الدولية في الشرق العربي . طبعــــــــــــة
بيروت . ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- (١٥) أغلو : سليمان ملا .
جامع السليمانية إنشائه وخصائصه . طبعــــــــــــة
جوشكون أوفست . إسطنبول .
- (١٦) أنيس : محمد .
الدولة العثمانية والشرق العربي . من ١٥١٤ - ١٩١٤ م
القاهرة . طبعة مكتبة الأنجلو المصرية . ١٤٠١ هـ /
١٩٨١ م .
- (١٧) أومان :
الإمبراطورية البيزنطية . بيروت : دار الفكر العربي
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
- (١٨) باتريك : ماري ملز .
سلاطين آل عثمان الخمسة . ترجمة حنا عضر . بيروت :
دار صادر . ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- (١٩) البار : محمد علي .
المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ . المطبعة
الأولى . جدة : دار الشروق . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٢٠) بجوي :
تاريخ بجوي . كتاب في جزئين . إسطنبول : ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠ م .

- (٢١) البحراوي : محمد عبد اللطيف .
حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني
١٨٠٨ - ١٨٣٩ م . الطبعة الأولى ، القاهرة : دار
التراث . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٢٢) البخاري : أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي .
التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .
- (٢٣) بروكلمان : كارل .
الأتراك العثمانيون وحضارتهم . الطبعة الثانية .
ترجمة نبيه أمين فارس ، ثلاثة أجزاء : بيروت
دار العلم للملايين . ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- (٢٤) بردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف تفرى .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . خمسة
أجزاء تحقيق : جمال الدين الشيال وفهيم شلتوت
القاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .
- (٢٥) بيهم : محمد جميل .
فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية
العثمانية وزوالها . طبعة عام : ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .
- (٢٦) بيشون : جان .
بواعث الحرب العالمية الأولى . ترجمة محمد عزت .
بيروت . مطبعة الكشاف .

- (٢٧) الشقفي : يوسف علي .
دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب
على مر العصور . الطبعة الأولى : مطبعة العفنا .
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- (٢٨) جاويش : سليمان خليل .
التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية .
ثلاثة أجزاء . بيروت : دار صادر ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م .
- (٢٩) الجبرتي : عبدالرحمن .
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . الطبعة الأولى ،
القاهرة : البيان العربي ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- (٣٠) جب : هاملتون وبورن هارولد .
المجتمع الإسلامي والعرب . ترجمة أحمد عبدالرحيم
مصطفى وأحمد عزت عبدالكريم . جزءان . القاهرة :
دار المعارف .
- (٣١) الجندي : أنور .
الإسلام وحركة التاريخ . القاهرة : مطبعة الرسالة
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (٣٢) جودة : أحمد حسن .
المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م .
ترجمة حسن علي النجار . بغداد : مطبعة الإرشاد .
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- (٣٣) جيبون : إدوارد .
إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ترجمته
محمد علي أبو درة ، في ثلاثة أجزاء . القاهرة :
دار الكتب .
- (٣٤) حتى : فيليب .
موجز تاريخ الشرق الأدنى . ترجمة أنيس فريحة .
بيروت مطبعة دار الثقافة .
- (٣٥) حسون : علي .
تاريخ الدولة العثمانية . الطبعة الأولى ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والروس . الطبعة الأولى . بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- _____ :
العثمانيون والبلقان . الطبعة الثانية ، بيروت ،
المكتب الإسلامي . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٣٦) الحصري : ساطع .
البلاد العربية والدولة العثمانية . الطبعة
الثالثة . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٥ م .
يوم ميلون : دار الاتحاد . بيروت .
- (٣٧) حقي : إحسان .
المسلمون أمام التحدي العالمي : الطبعة الخامسة .
بيروت . مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- (٣٨) حلمي : مصطفى .
الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية .
دراسة حول كتاب " النكير على منكري النعمة من
الدين والخلافة والنعمة " الطبعة الأولى .
الإسكندرية : دار الدعوة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٣٩) حليم : على بك .
التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية . الطبعة
الأولى . القاهرة : ديوان عموم الأوقاف ١٣٢٣ هـ /
١٩٠٥ م .
- (٤٠) حمادة : محمد عابد .
تاريخ الشرق والغرب من منتصف القرن التاسع عشر
حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . الطبعة الثانية .
دمشق : دار اليقظة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م .
- (٤١) خير الله أفندي :
تاريخي . الطبعة الأولى . إسطنبول : مطبعة سنده
١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م .
- (٤٢) دحلان : أحمد زيني .
الفتوحات الإسلامية . القاهرة : مطبعة محمد مصطفى
١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .
- _____ :
خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام . جزءان ،
الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية بمصر المحمية :
١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م .

- (٤٣) الدسوقي : محمد كمال .
تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
_____ : الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة :
مطبعة دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- _____ : تاريخ أوروبا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- (٤٤) دقاق : باسل
تركيا بين جبارين . القاهرة : منشورات دار المكشوف
- (٤٥) الديراوي : محمد .
الحرب العالمية الأولى ، عرض مصور ، الطبعة الثانية :
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٤٦) الرفاعي : عبد الرحمن .
عصر إسماعيل ، جزءان ، القاهرة : مطبعة النهضة ،
١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- (٤٧) الرفاعي : عبد العزيز .
قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧ م .
القاهرة ، دار القلم ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .
- (٤٨) رفعت : إبراهيم .
مرآة الحرمين ، جزءان ، طبعة بدون . بيروت :
دار المعرفة .
- (٤٩) رفيق : أحمد بيوك .
تاريخي عمومي إسطنبول . مطبعة إبراهيم حليمي ،
١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥٠) راسم : أحمد .

رسملي وخريطة لي عثمانلي تاريخي . الطبعة الأولى .
إسطنبول : صاحب وناشري إقبال كتبخانه شمس مطبعة
سي ، محفوظ بالمكتبة السليمانية ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م .

(٥١) رسم : أسد .

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم
مع العرب . الطبعة الأولى ، بيروت ، دار المكشوف ،
١٣٣٧ م / ١٩٥٦ م .

(٥٢) ريسلر : جاك سي .

الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، مراجعة
د. أحمد الأهواني . القاهرة : الدار المصرية
للتأليف والترجمة .

(٥٣) الزركلي : خير الدين .

شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ثمانية
مجلدات . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم
للملايين . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

(٥٤) زكي : عبد الرحمن .

المسلمون في العالم اليوم آسيا الإسلامية - ٣ - القاهرة :
دار النهضة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

(٥٥) زيادة : محمود محمد .

دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل
العصر الحاضر ، القاهرة : مطبعة التأليف ، ١٣٨٨-١٣٨٩ هـ /
١٩٦٨ - ١٩٦٩ م .

(٥٦) السبكي : آمال .

أوروبا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام
الطبعة الأولى . جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٥٧) السخاوي :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة الحرم
المكي الشريف ليس هناك معلومات للطبعة وسنة
الطبع ومكان الطبع .

(٥٨) سرهنك : إسماعيل .

حقائق الأخبار عن دول البحار . الطبعة الأولى .
جزءان . القاهرة : ١٣١٢ هـ / ١٩٨٤م .

(٥٩) سلانيك :

تاريخ سلانيك ، القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
دور سيده ختام أولمدر في رجب ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤م .

(٦٠) سليمان : أحمد السعيد .

تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . القاهرة :
دار المعارف ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٦١) شاكِر : محمود .

العالم الإسلامي . الطبعة الثالثة . بيروت . المكتب
الإسلامي . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

_____ :
المسلمون تحت السيطرة الشيوعية . الطبعة الثالثة ،

بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

- (٦٢) شكري : محمد فـوـاد .
مصرفي مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ - ١٨١١ م .
القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .
- _____ : بناء دولة مصر محمد على . القاهرة : ١٣٩٧ هـ /
١٩٤٨ م .
- (٦٣) الشناوي : عبدالعزيز .
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها .
ثلاثة أجزاء ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٦٤) شلبي : أحمد .
موسوعة التاريخ الإسلامي : الطبعة الثالثة ، القاهرة :
مطبعة مكتبة النهضة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- (٦٥) الشيخ : رأفت .
تاريخ العرب الحديث . القاهرة : دار الثقافة ،
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٦٦) شيني : ل . ج .
تاريخ العالم العربي . ترجمة محي الدين حفني ناصف
مراجعة على أدهم . القاهرة دار النهضة .
- (٦٧) عاشور : سعيد عبدالفتاح .
أوروبا العصور الوسطى ، القاهرة : مكتبة الانجلو
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م .
- _____ : الحركة الصليبية . القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- (٦٨) عبد الجبار : عبد الله .
الفزو الفكري في العالم العربي . الطبعة الثالثة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٦٩) العسلي : بسام .
الفتاح القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار
النفائس . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- _____ :
القانوني القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت دار
النفائس ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٧٠) عسـه : أحمد .
معجزة فوق الرمال . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- (٧١) عطـا : زبيده .
الترك في العصور الوسطى وسلاجقة الروم والعثمانيون
بيروت : دار الفكر العربي .
- (٧٢) العظم : حقي .
تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ،
الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة الترقـي ،
١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م .
- (٧٣) عمـر :
عمر عبدالعزيز .
تاريخ المشرق العربي (١٥١٦ - ١٩٢٢ م) بيروت :
دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
_____ :
دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر . بيروت :
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

- (٧٤) عنان : عبداللّٰه .
مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
- (٧٥) أبو غنيمة : زياد .
جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . الطبعة الأولى . عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر .
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
- (٧٦) فاروق : طه زاده عمر .
تاريخ أبو الفاروق . سبعة أجزاء . اسطنبول : مطبعة الأمدى ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م
- (٧٧) فريدون بك : أحمد .
منشآت الملوك والسلاطين . إسطنبول المكتبة السليمانية ، أوائل شهر جمادي الآخرة لسنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م
- (٧٨) فشر : هربرت .
أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية حتى الثورة الفرنسية . ترجمة عصمت راشد وأحمد عبدالرحيم ، مراجعة أحمد عزت ، القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م
- _____ : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ترجمة السيد الباز العرينى ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار المعارف .

- (٧٩) فهمي : عبد السلام عبد العزيز .
السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر
الروم ، ٨٣٣ - ٨٨٦ هـ / ١٤٢٩ - ١٤٨١ م ، الطبعة
الأولى ، دمشق : دار العلم ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- (٨٠) قبعن : سليم .
تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، القاهرة :
مطبعة التقدم .
- (٨١) الاكسكي : علي همت .
العاهل العثماني أبو الفتح محمد العثماني ،
فاتح القسطنطينية وحياته العدلية ، القاهرة :
مطبعة السعادة ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .
- (٨٢) كامل باشا :
تاريخ سياسي دولت عليية عثمانية . ثلاثة أجزاء في
مجلد واحد ، إسطنبول : مطبعة أحمد إحصان ١٣٢٦ هـ /
١٩٠٨ م .
- (٨٣) كوبرلي : محمد فؤاد .
قيام الدولة العثمانية . ترجمة أحمد السعيد
سليمان ، و أحمد عزت عبدالكريم . القاهرة : دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر . ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- (٨٤) ليبس : حسين .
تاريخ الأتراك العثمانيين . ترجمة حسين ليبس ،
القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

- (٨٥) المحامي : محمد فريد بك .
تاريخ الدولة العلية العثمانية . الطبعة الأولى
والثانية . بيروت : دار النفائس ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- (٨٦) المرجة : موقف ينبي .
صهوة الرجل المريض . السلطان عبدالحميد الثاني
الكويت : دار الكويت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٨٧) مسلم :
صحيح مسلم بشرح النووي . ثمانية عشر جزء . القاهرة
المطبعة المصرية ومكتباتها .
- (٨٨) المصري : حسين مجيب .
صلات العرب والفرس والترك . دراسة تاريخية أدبية ،
القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- (٨٩) مصطفى : أحمد عبدالرحيم .
أصول التاريخ العثماني . الطبعة الأولى بيروت : دار
الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٩٠) الميداني : عبدالرحمن حبنكة .
أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشيرة الإستشراق ،
الإستعمار ، دمشق : دار القلم .
- (٩١) مونس : حسين .
أطلس تاريخ الإسلام - الطبعة الأولى ، القاهرة ،
الزهراء للإعلام العربي ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- (٩٢) ناتنج : أنتوني ، ولويل شاماس .
لورانس لغز الجزيرة العربية . بيروت مؤسسة
المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٩٣) نشانجي : محمد باشا .
سير أنبياء عظام وأحوال خلفاء كرام إسطنبول :
الدار العامر ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٣٧ م .
- (٩٤) نعيما :
تاريخ نعيما . القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م .
- (٩٥) النهرأولي : قطب الدين .
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . مكتبة الحرم
المكي . ليس هناك معلومات نشر عن الطبعة والمطبعة
ومكان الطبع وسنته .
- (٩٦) نوار : عبدالعزيز سليمان .
الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون - الفرس
مسلمو الهند . بيروت : دار النهضة العربية ، ١٣٩٢ هـ /
١٩٧٢ م .
- _____ :
تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق . بيروت ، ١٣٩٣ هـ /
١٩٧٣ م .
- _____ :
التاريخ المعاصر لأوروبا من الحروب البروسية الفرنسية
إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ - ١٩٤٥ م . القاهرة .
- (٩٧) هونكة : زيجفريد .
شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية
في أوروبا . بيروت : المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ،
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٩ م .

(٩٨) اليماني : عبدالواسع بن يحي الواسعي .

تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث
وتاريخ اليمن . الطبعة الثالثة ، الدار اليمانية
للطباعة والنشر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .

_____ :
السلطان عبدالحميد الثاني مذكراتي السياسية
١٨٩١ - ١٩٠٨ م ، الطبعة الخامسة . بيروت : مؤسسة
الرسالة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٩٩) مجهول: تاريخ تيمور لنك اسطنبول : المكتبة السليمانية
ليس هناك أي معلومات عن الطبعة والمطبعة وسنة
الطبع .

رابعاً : رسائل جامعية

بابكر ———ور : عمر •

حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين •
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى •

رضوان : نبيل عبد الجي •

الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد
افتتاح قناة السويس (١٢٨٦-١٣٢٦ هـ / ١٨٦٩-١٩٠٨ م)
جدة : الطبعة الأولى ، مطبوعات تهامة - ١٤٠٣ هـ -
١٩٨٣ م •

شعوط : المنتصر بالله إبراهيم •

جهاد العثمانيين ضد الدولة البيزنطية حتى فتح
القسطنطينية (٧٥٥ - ٨٥٧ هـ / ١٣٥٤ - ١٤٥٣ م) ،
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي
١٣٩٩-١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩-١٩٨٠ م ، جامعة أم القرى •

صيرفسي : نوال •

النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، رسالة لنيل
درجة الماجستير ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، جامعة أم القرى •

خامسا : الدوريات

أ - المجلات

- التميمي : عبد العزيز .
إسطنبول جسر بين الحضارات عمره (٥٠٠ عام) مجلة
عالم السعودية . العدد الأول . المجلد الثامن .
يناير ١٩٨٩ م .
- زيادة : محمد مصطفى .
نهاية السلاطين المماليك في مصر . المجلة التاريخية
المصرية . العدد الأول ، المجلد الرابع ، مايو
١٩٥١ م .
- المصفاي : أحمد المرسي .
الدولة العثمانية والولايات العربية - مجلة
الدارة . العدد الرابع ، السنة الثامنة ، رجب
١٤٠٣ هـ / أبريل ١٩٨٣ م .
- عبدالبقيت : نوري .
روسيا ومشروع سكة حديد بغداد . مجلة المؤرخ
العربي ، العدد الخامس عشر . ١٩٨٠ م .

ب - الصحف

- جريدة أخبار العالم الإسلامي :

العدد ٩٢١ الاثنين في ٢٥ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق
٥ إبريل مقال عن محنة المسلمين في بلغاريا ،
إعداد الشيخ بابكر درويش .

- جريدة المسلمون :

العدد الثالث والثلاثون ، السبت من ٧ - ١٣ محرم
١٤٠٦ هـ / ٢٢ - ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ م ، مقال - صفحات
من دفتر ذكرياتي بمكتبة الشيخ محمد محمود
الصواف .

- الشرق الأوسط :

يوم الأحد ٢٨ / ٧ / ١٩٨٥ م (مقال سورية في
القرن العشرين ، قلم نموج بابيل) .

- جريدة الندوة :

عدد ٩٠٨٧ الثلاثاء ١٨ جماد الأولى ١٤٠٩ هـ ، مقال
بعنوان تطور نظرة المسلمين إلى أوروبا ، بقلم
د . خالد زيادة .

سادسا : المصادر الانجليزية :

- Burke. Wilkinson,

Francis in All His Glory, New York :

Farrar, Straus and Giroux, 1st, Ed., 1972 .

- Cahun : L. N.,

L'introduction al'Histoiredel, Asie,

1896 .

- Enver Ziya Karal ,

Osmanli Tariki, Ankara : 1983.

- Fischer Steplen agalali,

Ottoman Imperialism and German Protestantism, 1521 - 1525, Cambridge Harvard University , Press 1959 .

- Halil Inalick ,

The Ottoman Empire and the Classical Age, 1300 - 1600, Translated by, Norman Itchowetz and Golin Imber , London, Weidenfeld and Nicolson, 1973 .

- Ismail Hakki ,
Osmanli Tarihi , Vol 16, Ankara,
Turk Tarih Kurumu Basimevi, 1983.
- Itzkouitz Norman :
The Ottoman Empire and Islamic tra-
dition , New York , Alfred , A. Knopf prince
University , 1972 .
- Lewis Bernard ,
Istanbul and the Civilization of the
ottoman Empire, Norman , University of Oklahoma
Press.
- -----,
The Emergence of Modern Turkey London,
Press, 1966.
- Lewis Raphaela,
Everyday Life in Ottoman Turkey, B. 1.
Batsford Ltd London G.P. Pulman , New York .

- Roger B. M. ,
Suleiman the Magnificent 1520 - 1566,
Cambridge : Harvard University , 1944.
- Robinson J. Stewart ,
The Traditional Near East, Prince
Hall , Inc., Aspedrum Book Englwood Gliffs , N.
J. .
- Shaw Stanford J ,
History of the Ottoman Empire and
Modern Turkey 1280 - 1808 Cambridge University,
Press, 1976.
- Seton - Watson, Hagh,
The Russian Empire , Oxford at the
darendon Press, London, 1967 .
- Toynbee Arnold ,
A study of History , Vol. 3., Oxford
University Press, 1935.

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

محتويات البحث

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١	المقدمة
	الفصل التمهيدي
	النشأة والتكوين
٧	١- أصل الأتراك العثمانيين
١٠	٢- إسلام العثمانيين
١٢	٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم
	الفصل الأول
	الوجود الإسلامي العثماني في أوروبا
٤٢	١- دخول الإسلام إلى شرق أوروبا
٦٣	٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية
٦٩	٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية
٨١	٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام
	الفصل الثاني
	موقف الدول الأوروبية من الدولة العثمانية
٩١	١- موقف روسيا من الدولة العثمانية
١٠١	٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية
١١٠	٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية
١٢١	٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية

محتويات البحث

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الفصل الثالث	
ردود الفعل الأوربية على الوجود العثماني في أوربا	
١- الرأي الأوربي العام وآراء المؤرخين في الدولة العثمانية	١٣٥
٢- الحملات التشهيرية بالدولة العثمانية	١٥٠
٣- تضائل الوجود العثماني في أوربا	١٦٣
الخاتمة	١٨٠
الملاحق	١٨٤
ثبت المعادر والمراجع	٢٠٧
محتويات البحث	٢٣٥